الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ
رقم التسجيل :.....
الرقم التسلسلي:.....

كليةأصول الدّين
قسم العقيدة و مقارنة الأديان
شعبة العقيدة

تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي

ـ مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة و الفكر الإسلامي المعاصر ـ

إعداد الطالب :
بوساحة أحمد الشّريف

إشراف الدكتور:
عبد الوهّاب فرحات

لجنة المناقشـــــة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
صالح نعمان	رئيسًا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
عبد الوهّاب فرحات	مشرفًا ومقرّرًا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
عمار طسطاس	عضوًا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
احسن برامة	عضوًا	أستاذ محاضر-أ-	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الجامعية: 1434هـ ـ 1435هـ/ 2013م ـ 2014 م.

شكر و عرفان

بكل عرفان وامتنان، أتقدم بخالص الشكر
والتقدير لأستاذي الدكتور :
عبد الوهاب فرحات على تفضله بالإشراف
على هذا العمل ، الذي شمله برعايته
وأفادني مرشدا وموجها بصبر كبير و
رحابة صدر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

- والآن وقد وصل هذا العمل إلى نهايته ،لا يسعني إلا أن أتقدم بإهدائه إلى : أمي الغالية في دار الخلود كدعاء موصول لها ، وإلى أبي عرفانا له بالمساعدة على مصاعب الحياة ، وإلى من وقفت إلى جنبي منذ التقينا في الحياة زوجتي : محتالي سميرة ، وعلى حثها دوما لإخراج هذا العمل إلى النجاح ، كما أهديه إلى زهرات حياتي ، أبنائي عبد المجيب لبيب ، أنمار ، سامي ، وإلى كل من ساهم من قريب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يعد " علم التصنيف " واحدا من أهم المباحث العلمية التي ازدهرت بشكل ملحوظ في الحضارة العربية الاسلامية، فقد أصبح في فترة وجيزة من انطلاق الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي علما قائما بذاته، له مبادؤه و أصوله و أهدافه، بالإضافة إلى ممثليه من العلماء و الفلاسفة الذين اهتموا بالتعريف به ، وذلك وفق تصور فلسفي معين .

ليس "علم التصنيف" علما وصفيا صرفا، يكتفي بإحصاء ما هو كائن من المعرفة البشرية ،بل إن هذا الوصف التقريري يحمل في طياته غاية معيارية ،توجه العقل إلى مواضيع المعرفة سواء على المستوى التربوي بالإرشاد إلى كيفية استيعاب العلوم و تمثلها ،أو على المستوى الإبداعي بالتوجيه إلى المستجدات بحسب ما تقتضيه الحياة الإنسانية .

لقد ظل " علم التصنيف" يعكس الخصائص الفكرية و الثقافية للبيئات التي تحتضنه و الأعلام الذين عرفوا بالتأليف فيه، و خاصة عندما يتعلق الأمر بطور من أطوار التجديد، إن الصفة المنطقية لهذا العلم ترشحه لأن يكون مقياسا لدرجة الكشف عن الحياة العقلية للأمم و الحضارات و الشعوب .

و لقد اختلف بشأن "علم التصنيف" من كونه جزءا من الدراسة يندرج ضمن عدد من التخصصات مثل : الفلسفة ،و المكتبات، و تاريخ العلوم و فلسفة العلم، و بغض النظر عن كونه علما قائما بذاته أو جزءا من التفكير الفلسفي، فإن حقيقة هذا التخصص ،تكمن في أبرز مهماته و هي تحديد المبادئ المعرفية الأولى ،التي تتخلل العلوم جميعها، كما أنه يمثل الجانب النقدي للأسس و الأنساق المعرفية المتعددة ،سواء بالنظر بعضها إلى بعض أو كل على حدة، أو بالنظر إلى أنماط العلاقات و أشكال الإرتباط التي تجمع بينها .

إن "علم تصنيف العلوم" موقف وجودي للإنسان فيما يراه حقيقة ،هو ذاته، تلك الحقيقة التي تصوغ منهجا و نسقا يتناسب مع ذلك الموقف الذي يخدم المآل الذي يرسمه لنفسه .

و من هنا فهو يسعى إلى الكشف عن حدود العلوم و مجالات عملها، و الأساسات التي تقوم عليها، وبيان تقاطعها بحسب طبيعة موضوعاتها و غاياتها، فينسبغ عند المصنفين بنظرتهم الإيديولوجية و المذهبية و العقدية .

إن هذه المعاني تبدو واضحة في قراءة وجيزة لكبري المحطات المعرفية للحضارات عبر التاريخ، فالتصنيف المأثور عن " **أرسطو**" و الذي يعكس تصورا نظريا مجردا للوجود تابعا لصورة الوجود في الذهن، أكثر من إنبناء تلك الصور على الواقع، و منه تأصلت العلوم عنده على مبدأ الثنائية و

المفاضلة و المباعدة في الفكر الأرسطي، فكانت غاية المعرفة ،هي القبض على الحقيقة في عالم المجردات .

كما قدم مفكرو الاسلام جهدا معتبرا في مجال تصنيف العلوم بلمسة دينية عقدية خاصة، و تقديم أكثر من إحصاء له، و لعل أقدم تصنيف للعلوم ،هو ما وصلنا عن **جابر بن حيان** (ت 200 ه)، من خلال كتابيه، "الحدود" و "إخراج ما في القوة إلى الفعل" ثم توالت التصنيفات مع **الفارابي**، و **ابن سينا**، و **ابن حزم**، و **ابن عبد البر**، و **ابن تومرت**، **وابن خلدون**، و غيرهم و لكن هذه الجهود لم تنل حظها من العناية اللائقة بها، على الرغم من أنه من الموضوعات التي زاد الإهتمام بها في الوقت الحالي وخاصة في العلوم الإنسانية .

لقد أولى فلاسفة الغرب عناية خاصة ب" علم التصنيف" و لعل أول تصنيف يقابلنا، هو تصنيف فرانسيس بيكون (1561-1625) ثم تليه التصنيفات مع **ديكارت**، و **أوجيست كونت**، و **سنبسر** و غيرهم، غير أن مواقفهم الإبستيمولوجية اختلفت كل حسب رؤيته الفلسفية .

و على الرغم من المساهمات العربية الاسلامية النوعية و المتميزة ،في مجال تصنيف العلوم فإن أغلب الدارسين الغربيين الذين اشتغلوا بالتأريخ للعلوم، و الذين اهتموا بمراحل التأليف في هذا الموضوع، قد تجاهلوا تجاهلا غير مبرر، و غير موضوعي، عن دور العرب و المسلمين في تطوير هذا الفن ،حيث انطلقوا من التجربة اليونانية و انتهوا إلى المؤلفات الغربية فحسب .

مشكلة الدراسة: إن الإطلاع على بعض مؤلفات التصنيف شد الانتباه الى حقيقتين هامتين :

أولهما: أن إصدار الأحكام السريعة دون مناقشة – من طرف بعض المستشرقين و غيرهم من الباحثين غير المتخصصين- و اتهام العرب المسلمين بالنقل و التلقي عن أرسطو دون أن يضيفوا شيئا جوهريا، هو موقف غير صائب ، يحتاج إلى إعادة نظر و تمحيص .

و ثانيهما: أن معظم الدراسات في فن " تصنيف العلوم" كانت تجميعا أكثر من كونها نظرة في التصنيف، فهي لا تتعدى مجرد الإشارة إلى المؤلف و تصنيفه على سبيل الرصد .

و هنا ينبغي الإشارة إلى مسألة هامة ،وهي أن ذكر تصنيف العلوم شيء ،و الدراسة النقدية التحليلية لهذا التصنيف شيء آخر، فكشف الأساس الفلسفي الذي يقوم عليه ينبؤ عن أصالة الفكر ومرجعيته .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومنه ،فإن مشكلة الدراسة تنطلق من أزمة العزوف و عدم الاهتمام بأعمال المصنفين و المفكرين العرب و المسلمين في هذا الفن، الأمر الذي أثر سلبا على الفهم العام لأصالة الفكر الاسلامي و مرجعيته الأصيلة .

تحديد نطاق الدراسة: لقد أشار" سالم يفوت" في مقال له في مجلة دراسات عربية، ع 5 ، السنة 19، عدد مارس1983م ، تحت عنوان: " تصنيف العلوم لدى ابن حزم ،يقول فيه : "لا نكاد نعثر عند الباحثين و الدارسين لأصناف العلوم عند الفلاسفة المسلمين، على حديث أو ذكر لأصناف العلوم لدى ابن حزم إلا فيما ندر، فجلهم ينطلقون من الكندي إلى الفارابي، ثم إخوان الصفا و ابن سينا و أحيانا نادرة جدا ابن رشد مؤثرين الوقوف عند هؤلاء، لأنهم أول من طرق هذا الموضوع".

و انطلاقا من هذه الإشارة التي توحي بأن فلاسفة المغرب الاسلامي لم ينالوا حظهم من الاهتمام و الدراسة، فقد عمدت إلى حصر نطاق الدراسة في رقعة جغرافية معينة ترجع تاريخيا إلى فترة زمنية محددة ،وهي بلاد المغرب والأندلس ، " بلاد المغرب الاسلامي ابتداء من : ابن حزم (ت 456ه/1064) و ابن عبد البر، و ابن تومرت، مرورا ، بابن خلدون ثم الحسن اليوسي، و ابن عجيبة (ت 1224 ه 1809 م) ".

و لذلك كانت العودة إلى البحث و الدراسة العلمية و الأكاديمية للإجابة على الأسئلة التالية:

-إلى أي حد كانت تصنيفات العلوم عند مفكري المغرب الاسلامي انعكاسا لواقعهم الفكري و الحضاري ؟

– و هل كانت مستقلة عن تصنيفات غيرهم من اليونان والغرب ؟

– و هل تميزت تصنيفات مفكري المغرب الإسلامي بخصوصية ذاتية تعبر عن هويتهم الخاصة بهم ؟

– و بماذا تميزت تصنيفاتهم عن المشارقة في إطار الفكر العربي الإسلامي عموما ؟

أسباب اختيار الموضوع: و من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع يمكن النظر إليها من زاويتين : ذاتية و موضوعية .

أما الأسباب الذاتية :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فتتعلق بالرغبة الشخصية في الإطلاع بشيء من التفصيل على الفكر الإسلامي في مؤلفات كبار الفلاسفة و العلماء ، و لما كان الفكر الاسلامي بحر مترامي الأطراف لا يحيط به عقل، و لا يبلغه عمر إنسان، وقع في الإختيار على موضوع لا يزال البحث فيه فتيا لم يبلغ مداه، و هو **نظم تصنيف العلوم** و تحديدا عند **"مفكري المغرب الاسلامي"** بغية الكشف عن بعض الحقائق الهامة التي يغفل عنها كثير من الباحثين .

أما الأسباب الموضوعية :

فتتجلي في الأزمة المعرفية و العلمية في وقتنا الحالي حيث انشغل كثير من الباحثين بالدراسة و التحليل لموضوعات فكرية و ثقافية مفتعلة مقطوعة الصلة بخصوصيتنا الفكرية و الثقافية، فكانت لمشكلات الغرب و قضاياه و أزماته القسط الأوفر في دراستنا الأكاديمية التي لا طائل من نتائجها في واقعنا الثقافي و الإجتماعي.

ومن الأسباب الموضوعية أيضا ، وجوب إعادة النظر في قضية العلاقة بين الفكر العربي الإسلامي و الفكر اليوناني، و قد أثيرت هذه المسألة مع عدد من المستشرقين أمثال: "أرنست رينان"، و "روجي أرنالديز"، "لوي ماسينيوس" و غيرهم .

أهداف الدراسة: يعتبر موضوع "تصنيف العلوم" الصورة الصادقة للحياة الفكرية و الثقافية لدى الشعوب و الأمم و الحضارات، و يتضح ذلك في مسار حركة العلوم و أزمنة ظهورها و نشاطها، و استقصاء لهذه الحركة مع بعض النماذج في فلسفة المغرب الإسلامي يهدف إلى :

- كشف طبيعة الحياة العقلية عند مفكري المغرب الإسلامي.
- رصد جوانب التجديد في أنساقهم التصنيفية .
- بيان أصالة الفكر الاسلامي في تصنيف العلوم عند فلاسفة المغرب الاسلامي .
- تسليط الأضواء على بعض أعلام المغرب الإسلامي في هذا الفن .
- إثبات حقيقة تجاوز الفكر الاسلامي التصنيف المعهود عند اليونان والغرب .

الدراسات السابقة: إن علم "تصنيف العلوم" فن له أصوله الممتدة في التاريخ، فقد اشتغل به الأوائل و غيرهم، فهناك محاولات عديدة قد تكون غير كافية ،و لكنها موجودة ،و من بينها :

- " **تصنيف العلوم عند العرب و دراسات أخرى** " لأحمد عبد الحليم عطية، الذي حاول فيها بيان الأسس الفلسفية التي تقوم عليها كل محاولة، بشكل تحكمي ،حيث قارن بين هذه المحاولات و بين تاريخ الفلسفة القديمة و الحديثة .

- و " **تصنيف العلوم في الفكر الاسلامي بين التقليد و التأصيل** " ، و هو مقال نشره عبد المجيد النجار في كتابه" مباحث في منهجية الفكر الاسلامي" ، و هو يركز على ارتباط أعمال تصنيف العلوم بالتأثيرات المذهبية و العقدية وهي دراسة إلتقيت معها في كثير من النتائج .

- و "**تصنيف العلوم بين ابن خلدون و الفارابي**" لمحمد علي أبو ريان و هي دراسة قيمة في مجال عالم الفكر، عرض فيها تصنيفات عدة منها، تصنيفات اليونانيين و المسلمين التي سبقت و تلت ابن خلدون و الفارابي .

- " **تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي و ناصر الدين البيضاوي**" لعباس محمد حسين سليمان، دراسة و تحقيقا، و هو كتاب تناول فيه بالتحليل تصنيف كل من الطوسي و البيضاوي مبرزا علاقة التطور الحضاري بفن "تصنيف العلوم".

- و "**فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الاسلامي و أثرها في التوجيه الحضاري** " لابن بوذينة عمر.

- و"**تصنيف العلوم بين المعيارية والوصفية – ابن سينا ،وطاش كبرى زادة واليوسي ،نموذجا** " وهي مذكرة لنيل درجة الماجستير ، عامر صبيرة .

أما هذه الدراسة فتختلف عن الدراسات السابقة من حيث الموضوع و الأهداف ، فتصنيف العلوم عند "مفكري المغرب الإسلامي" على ما يبدو يستند إلى رؤية كونية فريدة متميزة ، في منأى عن شوائب الفكر الفلسفي اليوناني و كل فكر غريب دخيل ،وحول هذه الفكرة انصبت الدراسة .

منهج الدراسة: إذا كانت طبيعة الموضوع هي التي تفرض علينا منهج البحث و الدراسة، فإن المتأمل في عنوان البحث "تصنيف العلوم عند مفكري المغرب الاسلامي" يدرك تماما أنه يستوجب توظيف عدة مناهج للوصول إلى الأهداف المتوخاة من البحث .

فتتبع نشأة و تطور أعمال المصنفين التي وصلت إلينا عبر أزمنة مختلفة و أعلام متعددين تلزمنا بتوظيف المنهج التاريخي لاستقصاء هذه الحركة، ليس فقط عند مفكري المغرب الاسلامي بل في جوانب كثيرة من التصانيف العربية الإسلامية الأخرى، إضافة إلى الإطلاع على تصانيف الأمم الأخرى سواء اليونان أو الغرب.

و لإبراز الخصائص الفكرية الثقافية و الأسس الفلسفية عند كل مصنف و مقابلة بعضهم إلى بعض ،وجب توظيف المنهج المقارن لبيان مواطن الاتفاق و الاختلاف بينهما تعميقا للفهم و رفعا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

للبس ، ولامناص لنا من استخدام المنهج التحليلي النقدي لضبط المفاهيم و تحديد المصطلحات الأساسية و كيفية توظيفها في الأنساق التصنيفية .

كما التزمت في هذه الدراسة على العموم بـــــــــــ :

- عزو الآيات بأرقامها إلى سورها و جعل كل ذلك في الهامش .
- تخريج الأحاديث الواردة في المتن .
- التعريف ببعض الشخصيات تعريفا موجزا .
- توثيق النصوص و الأفكار المنقولة من مصادرها وذلك بذكر : اسم المؤلف ، الكتاب ، رقم الطبعة ، الجزء ، سنة الطبع ،المحقق إن وجد ، ، دار النشر ، مكان النشر ، و الصفحة .

خطة الدراسة : وبغية الإلمام بالموضوع رسمت خطة حاولت من خلالها الإحاطة بأهم عناصره ، حيث قسمت البحث إلى مقدمة تناولت فيها التعريف بالموضوع ، وبيان مشروعية نشأة هذا العلم والحاجة المنهجية إليه ، وقد تضمن هذا العمل سبعة فصول ،كان أولها فصلا تمهيديا أدرجت فيه أربعة مباحث ، المبحث الأول تضمن تعريفات تمهيدية ، ثم ثلاثة مباحث أخرى تطرقت فيها على التوالي إلى : مبحث حول تصنيف العلوم عند اليونان ، يليه عند الغرب (عصر النهضة) ثم عند المسلمين ، أما الفصول الستة ،فقد أفردت فصلا لكل مفكر على حدة بداية من ابن حزم ،ثم وابن عبد البر ، وابن تومرت ، وابن خلدون ، والحسن اليوسي ، وابن عجيبة ، وكان لكل فصل من هذه الفصول نفس المباحث مبرزا في كل مبحث ترجمة الفيلسوف ، ونسقه الفكري ، وتصنيفه للعلوم ، وأخيرا الخاتمة ، والتي أوجزت فيها نتائج البحث .

صعوبات البحث : لقد واجهتني عدة صعوبات أثناء القيام بهذه الدراسة ، ولعل أبرزها قلة المراجع المتخصصة في هذا الموضوع ما عدا القليل منها ، وكذلك صعوبة لم شتات تصور الفيلسوف حول نسقه الفكري وموقفه من المحاور الكبرى للوجود ، الله ، الطبيعة ، الإنسان . أما الصعوبة التي أخذت مني الوقت الكثير فهي بداية الدخول في الموضوع وكيف السبيل للوصول إلى الأهداف المتوخاة ، فكان للتهيب وعدم الرضا بالجهد المبذول القسط الوافر في نفسي .

و في اللأخير ذيّلت ذلك بفهارس عامة ، هي على الترتيب :

- فهرس الآيات القرآنية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس المحتويات .

و في الختام أسأل الله تبارك و تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول : تعريفات تمهيدية .

المبحث الثاني : تصنيف العلوم عند اليونان .

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند الغرب (عصر النهضة).

المبحث الرابع : تصنيف العلوم عند المسلمين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : تعريفات تمهيدية

1- التعريف اللغوي للتصنيف:

التصنيف في لسان العرب لابن منظور هو تمييز الأشياء بعضها من بعض، وتصنيفه جعله أصنافا[1]ومن معاني التصنيف في اللغة التميز والتنوع، والتأليف، يقال: صنف الشيء جعله أصنافا ميز بعضه عن بعض، ويقال صنف الكتاب أي ألفه ورتبه[2].

2- التعريف الاصطلاحي للتصنيف:

التصنيف جعل الأشياء أصنافا وضروبا، على أساس يسهل معه تمييزها بعضها من بعض، أو أن ترتب المعاني بحسب العلاقات التي تربطها بعضها ببعض، كعلاقة الجنس بالنوع أو الكل بالجزء [3].

وتعني كلمة تصنيف " classification " معنيان:

أ- العملية الذهنية التي من خلالها يتم إدراك التشابه أو الوحدة. وهذا المعنى فعل منطقي مجرد [4].

ب- العملية الواقعية والتي يتم من خلالها ترتيب الأشياء، وهذا هو المعنى العلمي [5].

ويقصد بالتصنيف في مناهج البحث تصنيف البيانات إلى فئات لتسهيل فهمها [6].

فالتصنيف إذن هو ترتيب الأشياء والحدود والمعاني، بناء على ما بينها من تشابه وفوارق ، أي جمع الأشياء المتشابهة بعضها الى جانب بعض تبعا لدرجة تشابهها وفصل الأشياء غير المتشابهة عن بعضها، وهذا بوضع الأشياء في نظام واحد، وعلى أساس مقصود حتى تتميز مثل تصنيف المعارف إلى عقلية وتجريبية، وإنسانية ومعيارية، ونظرية وعملية، وعلوم دينية وعلوم دنيوية...

والتصنيف في أبسط بيان له هو وضع الأشياء المتشابهة معا، وإذا وصف بصورة أوفى فهو ترتيب الأشياء وفق التشابه أو الاختلاف، إنه فرز الأشياء وتجميعها [7].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر، 1997م، ج9، ص 198

[2] المنجد في اللغة والأعلام، ط26 بيروت، دار المشرق، ص 437

[3] جميل صليبا المعجم الفلسفي، بيروت، القاهرة، دار الكتاب اللبناني والمصري، ج1،ص، ص 279- 280

[4] أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بيروت، دط، دت، ص 64

[5] المرجع نفسه، ص 64

[6] جلال محمد موسى، مهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دت، ص 55

وهو أيضا العملية الذهنية التي يتم من خلالها التعرف على أن للمفاهيم العقلية أو صور الأشياء تشابها وتوافقا وهو سلسلة أو نظام من الأقسام أو الأصناف مرتبطة وفق مبدأ مفهوم [1].

والتصنيف أيضا هو البحث الذي يكون مجاله دراسة الموضوعات الناجمة عن الظواهر الطبيعية والإنسانية والرياضية [2]

3- شروط عملية التصنيف:

تقوم عملية التصنيف على مجموعة من الأسس لتكون صحيحة ومكتملة ومنها:

أ- اكتمال عملية التصنيف:[3]

بأن يكون الصنف الواحد جامعا لكل ما يمكن أن يوضع فيه وأن يوضع الشيء الواحد إلا في صنف واحد. بحيث لا يهمل أي عنصر تشتمله عملية التصنيف فكل العناصر مرتبطة في حركة دائرية تابعة للكل. فإذا أردنا تصنيف الإنسان على أساس الجنس فإننا لا نهمل أي جنس من أجناس البشر.

ب- أن يقوم التصنيف على أساس واحد فقط:

كأساس الجنس أو اللون أو اللغة أما إذا جعلناه يقوم على كل هذه الأسس في وقت واحد فإن التصنيف يضطرب ولن يكون دقيقا. [4]

ج- مراعاة عدم تداخل الأنواع في بعضها البعض في عملية التصنيف:

ومعناه العمل على منع دخول أفراد نوع معين تحت نوع آخر فمثلا لا يصلح تصنيف البشر إلى كائنات عاقلة وأخرى تمشي على رجلين وأخرى تبصر بعينين. [5]

4- أسس التصنيف:

* التصنيف على أساس الموضوع:

وهو الطريقة الأساسية للتصنيف، ويمكن تعريف الموضوع ببساطة بأنه "لفظ أو عبارة تطلق على مفهوم معين اتفق عليه اجتماعيا أو علميا".

---

[7] برجس عزام، مدخل إلى علم التصنيف في المكتبات، ط 1، مطابع الصباح، 1976، ص 63

[1] برجس عزام، المرجع نفسه، ص 63

[2] المرجع نفسه، ص 64

[3] جميل صليبا المرجع السابق، ج1 ،ص 280

[4] مهدي فضل الله، مدخل إلى المنطق التقليدي، ط2، دار الطلعية، بيروت، 1979، ص 85

[5] المرجع نفسه، ص 86

* التصنيف على أساس النوع:

والنوع هو "لفظ أو عبارة تطلق على مجموعة أفراد لهم صفات مشتركة".

* التصنيف على أساس الاسم:

ويمكن تعريف الاسم بأنه "لفظ أو عبارة تطلق على فرد واحد له ذاتية محددة".

* التصنيف على أساس المكان الجغرافي:

والمكان الجغرافي هو لفظ أو عبارة تطلق على مكان على الكرة الأرضية ومعلوم أن العالم مقسم جغرافيا بالكامل وكل مكان له اسم محدد.

* التصنيف على أساس التسلسل التاريخي:

والتسلسل التاريخي هو عبارة عن الأيام والشهور والسنوات ويتم ترتيب الأحداث طبقا لزمن حدوثها.

* التصنيف على أساس فترات زمنية محددة:

قد تتطلب الحاجة إلى هذا النوع من التصنيف لتسهيل عملية البحث والدراسة وهو يدخل في التصنيف على أساس التسلسل التاريخي وقد نضيف إليه أحيانا المكان الجغرافي للتحكم والدقة.

* التصنيف على أساس الشكل الخارجي للمادة:

ويتم استخدام هذا التصنيف على أساس الشكل الخارجي بصرف النظر عن المضمون، كتصنيف بعض الأفراد على أساس الطول أو القامة أو الوزن، وهي صفات شكلية.

علما أن هناك عدة تصنيفات أخرى منها الذي يعتمد على الأحرف الأبجدية أو الأرقام وقد انتشر هذا النوع من التصنيفات وخاصة في علم المكتبات وترتيب الكتب [1].

5- أنواع التصنيف:

تباينت أنواع التصنيف تبعا لموضوعه ومادته والغرض الذي وضع من أجله فالوحدة الموضوعية تفرض نفسها في كل نوع من أنواع التصنيف ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

أ- التصنيف الصناعي: "classification artificielle"

وهو عملية نضعها بأنفسنا ،وهو أن يختار المصنف ما يشاء من الصفات الظاهرة وأن يرتب الأشياء بحسبها في أصناف مختلفة كتصنيف الطلاب حسب أعمارهم أو تصنيف الكتب حسب

[1] http : //learn.hoxxs.com/t357-topic

أسماء مؤلفيها ،وفوائد هذا التصنيف كثيرة، منها ترتيب الأشياء وتمييزها بعضها من بعض ومنها تسهيل معرفتنا بمواضعها وتيسير وصولنا إليها [2].

فالتصنيف الصناعي لا يهتم بالمعرفة الجوهرية لمفهوم و طبيعة الأشياء ولا خواصها الذاتية وإنما نستعمله لترتيب الأشياء ووضعها في نسق معين من أجل غاية عملية [1] وهو أكثر استعمالا وشيوعا في ترتيب المعاجم والأسماء وترتيب الحروف من الألف إلى الياء... فغايته عملية وهو يسهل علينا تذكر الأشياء.

ب- التصنيف الطبيعي: "classification naturelle"

فهو ترتيب الأشياء في نظام مبني على معرفة صفاتها الأساسية وعلاقتها الضرورية [2] كتصنيف النباتات أو الحيوانات بحسب صفاتها الذاتية، أو تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها وهذا يوجب أن تكون الأشياء الداخلة في جنس واحد أكثر تشابها من الأشياء الداخلة في جنسين .

إن التصنيف الطبيعي يبرز نظام الموجودات طبقا لصفاتها الجوهرية المستندة للماهية، كتصنيف العلوم حسب موضوعاتها والذي اعتبره المناطقة سر تقدم العلم وتطوره.

بالإضافة إلى أن هناك تصنيفين أساسيين:

الأول : هو التصنيف البنيوي، وهو تصنيف البنيات والأشياء.

الثاني: هو التصنيف الوظيفي، وهو تصنيف الأدوار والوظائف.

فمرجع التصنيف حتمي وهو الأساس ،وهدف التصنيف هو الغاية التي يرمي إليها [3] .

6- تصنيف العلوم:

يعتبر مبحث "فن تصنيف العلوم" جزء من مهمة المفكر وأنه لا يجوز لمن أخذ بسهم من الدراسة الفلسفية أن يهمل هذه الناحية لأن مزاولتها تعني دربة فكرية على رؤية الأصول والفروع فهو يعد من أهم المباحث المنهجية ومن الأدوات التنظيمية للمعرفة التي تسعى إلى ترتيب العلوم وحصر موضوعاتها ومناهجها وفق تصور فلسفي معين [4].

---

[2] جميل صليبا ، المرجع السابق ، ص 280

[1] علي عبد المعطي محمد، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، ط2، دار المعرفة الجامعية، بيروت 1984، ص 4

[2] جميل صليبا، المرجع السابق، ص 280

[3] عمر بن بوذينة ،فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي و آثارها في التوجيه الحضاري ،مذكرة ماجستير غير منشورة ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة ، 2009-2010 ، ص 45 .

[4] رسائل بن حزم، مقدمة تحقيق، إحسان عباس، الجزء 4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 08.

فترتيب العلوم عملية تندرج ضمن نسق للمعرفة وفق مبادئ محددة والتي تعكس صفات الموضوعات التي تدرسها العلوم المختلفة والتي تعكس أيضا الصلة بين الموضوعات أو العلوم.

وقد أشار "**طه عبد الرحمن** " الفيلسوف المغربي إلى هذا المعنى في العلوم الآلية بحيث تكون "الصلة" خاصية إضافية تلحق كل علم يشترك في تحصيل غيره فيكون كل علم دخل في علم آخر بمنزلة آلة من آلاته، فإذا كان دخول الحساب في الفقه يجعل منه آلة له ، فإن دخول الفقه في التصوف يجعل الفقه آلة له، كما أن دخول التصوف في علم الأخلاق يجعله آلة لهذا الأخير وهكذا تكون الآلية صفة تعرض العلوم من جهة استخدامها في غيرها بحيث لو صرف عنها الاستخدام صارت علوما مقصودة لذاتها فيكون بذلك كل علم من جهة مقصودا لذاته ومن جهة أخرى آلة لغيره [1].

وعلى العالم الفيلسوف أو الفيلسوف العالم أن يصنف العلوم تصنيفا يبين حدود العلاقة القائمة بينها، والأمر هنا يحتاج إلى نظرة واسعة شاملة تنظر إلى المعرفة الإنسانية جملة واحدة [2] فالفلسفة دائما تعنى بالتفكير العلمي في عصرها، أعني انها لا تختلف عن العلم أصلا وجوهرا وأما موضع الاختلاف بينهما فهو درجة التخصيص أو التعميم فالعلم الواحد يختص بموضوع واحد والفلسفة تحلل لتصل إلى القاعدة العميقة التي تشترك فيها العلوم كلها [3].

وعليه وجب تحديد المرجع والأساس الذي يبنى عليه كل تصنيف كما يحدد الهدف أو الدور الذي يقوم به وغايته ، وقد أدرك ذلك بنسب متفاوتة جميع الفلاسفة والعلماء فلا نكاد نجد في تاريخ الفلسفة فيلسوفا لم يتناول علوم عصره بالتصنيف، ولئن اختلف الفلاسفة في تصنيفهم للعلوم فذلك راجع لاختلافهم في وجهة النظر واختلاف العلوم نفسها عصرا بعد عصر [4]

---

[1] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، ص 84

[2] زكي نجيب محمود، الكندي فيلسوف العرب (سلسلة أعلام العرب) القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، 2001 ، ص 87.

[3] المرجع نفسه، ص 87.

[4] المرجع نفسه، ص 88

المبحث الثاني: تصنيف العلوم عند اليونان

تمهيد:

لا شك أن الوقوف على أهم المحطات التاريخية "لأصناف العلوم" والمحاولات المختلفة لأكبر الفلاسفة ورصدها ولو على سبيل الإيجاز سوف يضعنا في صورة شاملة لبداية هذا "الفن" وكيف نشأ وتطور حتى أصبح ضرورة ابستيمولوجية وأداة معرفية تقوم عليها كل العلوم والمعارف وقد ارتبط هذا الفن "تصنيف العلوم" بالفلسفة تماما عبر عصور الفكر المختلفة بدئا بالفلسفة اليونانية حيث ظهرت أول بوادر التصنيف لدى أفلاطون واتضحت صورتها الكاملة عند أرسطو.

1- تصنيف العلوم عند أفلاطون: [1]

أ- فلسفته:

لا يمكن فهم حقيقة تصنيف العلوم عند أفلاطون دون التطرق ـــــــــــــ ولو في خطوط عريضة ـــــــــــــ لفلسفته وموقفه المعرفي ،لأن نظرية المعرفة ترتبط ارتباطا وثيقا في ذهن الفلاسفة بموضوع الاعتقاد belief والاعتقاد فكرة تسيطر على الإنسان بحيث يهتم بها ، وقد تدفعه إلى السلوك وفقا لها [2]، وقد توصل أفلاطون إلى أن موضوع المعرفة هوما يتوفر فيه الثبات والمطلق والكمال، فموضوعها عنده هوعالم المثل، و يدرك بالعقل [3] إنه عالم ثابت أزلي نقي، وهو بدوره يكشف لنا عن عالم آخر زائف وزائل متغير، إنه عالم المحسوس .

---

[1] أفلاطون (427 ق.م-347ق.م) فيلسوف يوناني، من أهم مؤلفاته الجمهورية.أنظر : محمود يعقوبي ، معجم الفلسفة ، ص 266 .

[2] محمود زيدان،نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب والمعاصرين،ط1، 1989م ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ،ص14.

[3] المرجع نفسه ، ص 21.

فالأزلي عند أفلاطون ليست المادة الفيزيائية وإنما المبادئ الروحية المجردة فلا توجد معرفة أكيدة في عالم المحسوس ، والحواس لا تقدم سوى افتراضات وتفسيرات غير أكيدة ويعتقد أفلاطون أن النفس كانت تسكن سابقا في عالم المثل ، فالمعرفة عنده تذكر وتحصل عن طريق منهج الجدل الصاعد والجدل النازل والنسيان جهل والتذكر هو كشف الحقيقة ،ومحاكاة المثال، وهي العلاقة الثابتة بين العالمين فالحقيقة التي نبحث عنها تكمن دائما وراء الأشياء المحسوسة ، تساوقا مع هذه المنطلقات الفلسفية، عرض أفلاطون في كتابه الجمهورية تصنيف العلوم وتقسيم المعرفة من هذه الزاوية .

ب– تصنيفه للعلوم :

قسم أفلاطون المعرفة البشرية إلى قسمين رئيسيين حيث يقول "فافرض أنك أخذت خيطا مقسوما إلى قسمين غير متساويين يمثل أحد قسميه الموضوعات المنظورة والآخر العقلية ثم أقسم كلا منهما إلى قسمين على النسبة نفسها فإذا أخذت طول القسمين مثلا متباينا في درجة الوضوح والخفاء،فأحدهما الذي يمثل العالم المنظور يمثل (بأحد القسمين) الصور أعني بها أولا الظلال وثانيا عكس عن سطح الماء المواد الصقلية اللامعة وما هو نوعها إذا كنت قد فهمتي[1].

يقسم أفلاطون عالم المعرفة إلى:

1: الموضوعات الحسية أو عالم المحسوسات .

2: عالم المثل أو المعقولات .

ويقسم عالم المحسوسات بدوره إلى قسمين :

- الموجودات الحية كالإنسان والحيوان والنبات .
- الصور الوهمية المتخيلة وهي الظلال الناتجة عن انعكاس المحسوسات .

أما عالم المعقول فهو بدوره يقسمه إلى قسمين فيقول: "قسم منه يمثل ما تخطر النفس أن تدركه مستعينة اضطرارا بأقسام الخط الأول، التي تستخدمها الصور مبتدئة من الفروض ومتجهة ليس إلى مبدأ أولي بل إلى نتيجة ويمثل القسم الآخر موضوعات النفس المرتقبة من الفروض إلى مبدأ أول ليس هو فرضا ولا مستعانا على إدراكه بالصورة التي استخدمها القسم

[1] أفلاطون، جمهورية أفلاطون، حنا خباز، ط2، دار القلم، بيروت، 1980، الكتاب السادس من الجمهورية، ص 203.

السابق وهي "النفس" نصوغ تقدمها بمساعدة الصيغ الجوهرية الحقيقية... ويعني من هذا كله أن القسم الأول منه يشمل الرياضيات والقسم الثاني يشمل الإلهيات [2]

وهنا يشير أفلاطون إلى أهمية المعرفة الرياضية والتي يطبق فيها المنهج الفرضي الإستنتاجي كالحساب والهندسة و يسميها المعقولات السفلى وهي معرفة وسط بين الظن والتعقل وهي الجسر الذي ينقلنا من المحسوس إلى المعقول الذي هو ذاته المعرفة اليقينية أو عالم المثل [3]

موضوعات المعرفة

شكل

توضيحي:موضوعات المعرفة عند أفلاطون

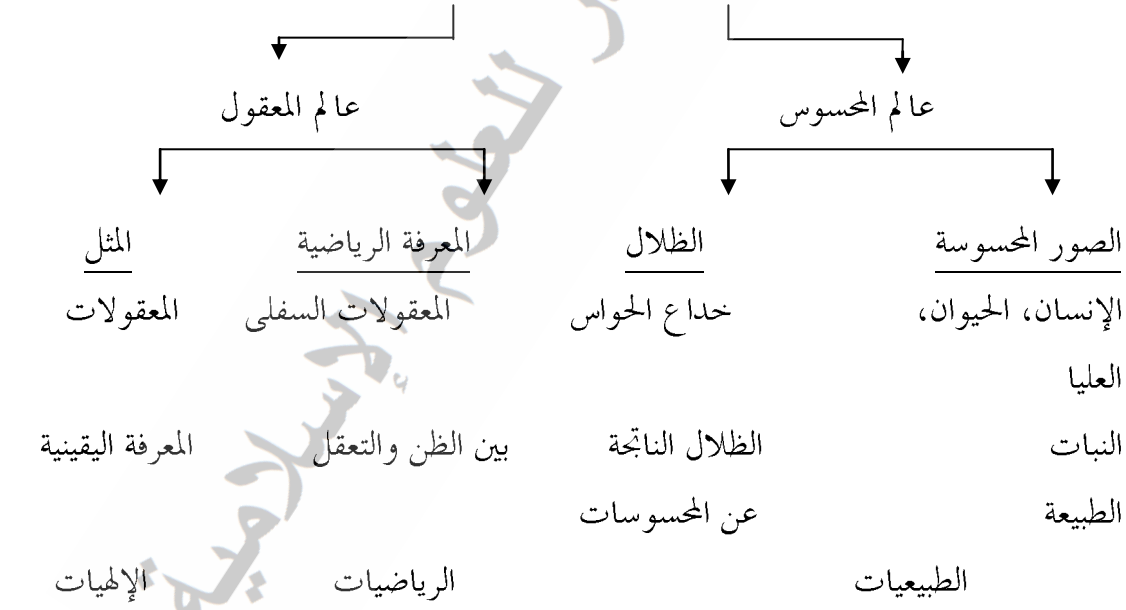

يلخص هذا الرسم التخطيطي لتقسيم المعرفةعند أفلاطون إلى الملاحظات والنتائج التالية :

---

[2] المرجع نفسه، ص 204.

[3] المرجع نفسه، ص،ص 203-204.

- تتدرج العلوم والمعارف عند أفلاطون إلى ثلاثة :
- العلوم السفلى: تمثل العلوم الطبيعية .
- العلوم الوسطى: وتمثل الرياضيات .
- العلوم العليا: وتمثل الإلهيات .

أن أساس تقسيم العلوم هو المادية (الكثافة) فكلما كان الموضوع ماديا كان أكثر تغيرا ،كان أسفل،وأن المعرفة الرياضية حلقة بين المادية والعقلية أو الطبيعية والإلهية ، و تعقل المحسوسات يعني الوصول إلى المثل باعتبارها حقائق تأملية ، وأداة الإدراك هو العقل ،يتأمل العلوم العليا وبه تحصل المعرفة بالكليات، و يتأمل العلوم السفلى و تحصل به المعرفة الظنية بالجزئيات .

2- تصنيف العلوم عند أرسطو:[1]

أ- فلسفته:

على الرغم من أن أرسطو لم يقبل نظرية المثل عند أفلاطون فقد رأى أن المعرفة تكون دائما معرفة بالأشياء الثابتة وهي ص ور الأشياء المحسوسة [2]، فجعل العالم المحسوس هو موضوع المعرفة وأن المعرفة هي الصورة المنبثقة في المادة .

فالمعرفة تتألف من إدراك العلاقات الأساسية بين الصور [3] والحواس لم تعد خادعة كما كانت عند أفلاطون، ولمعرفة شيء يجب إدراكه تحت جنس أو نوع للتعرف على ماهيته وهي صورته وعلته. ومن هنا بدأت ملامح النظرية العلمية أو السببية تظهر عند أرسطو وتحدد مفهوم الميتافيزيقا عنده، فقد قسم العلة إلى أربعة أشكال : علة فاعلة، علة مادية، علة صورية ، وعلة غائية .

أنزل أرسطو إذن "المثال" الأفلاطوني من السماء إلى الأرض وسماه "صورة" وسماه أيضا "طبيعة" [4]، وعرف الجسم الطبيعي على الوجه الذي يقتضيه العلم أي العلة فإن الهيولى والصورة علتان ذاتيتان يتكون فيهما الشيء ويعلم بهما ،كما يتكون التمثال من النحاس وصورة

---

[1] أرسطو: فيلسوف اغريقي (384ق.م-322ق.م) من أهم مؤلفاته " الأرغانون " أنظر : محمود يعقوبي، معجم الفلسفة ،ص 264 .

[2] محمود زيدان، مرجع سابق ، ص 22

[3] المرجع نفسه ، ص 23.

[4] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بالجامعة المصرية ، 1936، ص 175.

أبولون، على أن العلة تقال أيضا على نحوين آخرين ،الأولى : ما تصدر عنه بداية الحركة والسكون، والثانية : الغاية التي تقصد إليها الحركة، ومرة تكون العلل أربعا كما أسلفنا الذكر [5].

ب- تصنيفه للعلوم:

تذكر العديد من الدراسات أن التصنيف الذي وصلنا عن طريق شر اح أرسطو من أمثال : الأفردويسي، أمنيوس، ثامسكيوس، الذين أوردوا تقسيمه الثنائي للفلسفة إلى نظرية وعملية [6]، وأن النظري يطلب الحقيقة لذاتها والعملي يهدف إلى المنفعة ونجد هذا التصنيف في كتابه "الاخلاق إلى نيقوماخوس" ،وهناك تصنيف آخر في كتاب "الميتافيزيقا" يبين فيه أرسطو ،ثلاثة مجموعات من العلوم نظرية وعملية وشعرية ،وموضوع هذه الأخيرة الإنتاج الفني على مختلف أنواعه [7] (الجدل، الفن، الشعر)، وتنقسم العلوم النظرية إلى ثلاثة أقسام: العلم الرياضي والعلم الطبيعي وما بعد الطبيعة وتبحث هذه العلوم في المحسوس المتحرك ،وكل ما هو مقدار وعدد مجرد ،أو من حيث ما هو موجود بالإطلاق (الميتافيزيقا) [1].

أما العلم العملي فالمعرفة فيه ترمي إلى غاية متمايزة منها ،وهذه الغاية هي تدبير الأفعال الإنسانية وذلك إما في نفسها وهذا هو العلم العملي بمعناه المحدود ،وإما بالنسبة إلى موضوع يؤلف ويصنع وهذا هو الفن ،والعلم العملي يدبر أفعال الإنسان بما هو إنسان من ثلاث نواح: في شخصه وهو الأخلاق، وفي الأسرة وهو تدبير المنزل وفي الدولة وهو السياسة [2].

والعلم النظري عند أرسطو أشرف لأنه كمال العقل وأشرف العلوم النظرية ما بعد الطبيعة لسمو موضوعه وبعده عن التغير.

و لم يدخل أرسطو المنطق في تصنيفه للعلوم النظرية لأن موض وعه ليس الوجود إذ هو علم قوانين الفكر فهو علم يتعلم قبل الخوض في أي علم آخر ، فهو طلب العلم ومنهج العلم ،فالمنطق هو آلة العلوم كلها .

شكل توضيحي لأصناف العلوم عند أرسطو:

---

[5] المرجع نفسه ، ص 177.

[6] أحمد عبد الحليم عطية، تصنيف العلوم عند العرب ودراسات أخرى، القاهرة، دار النصر، ص 17.

[7] المرجع نفسه، ص 18

[1] أحمد عبد الحليم عطية، المرجع نفسه، ص 18.

[2] يوسف كرم، المرجع نفسه، ص 150.

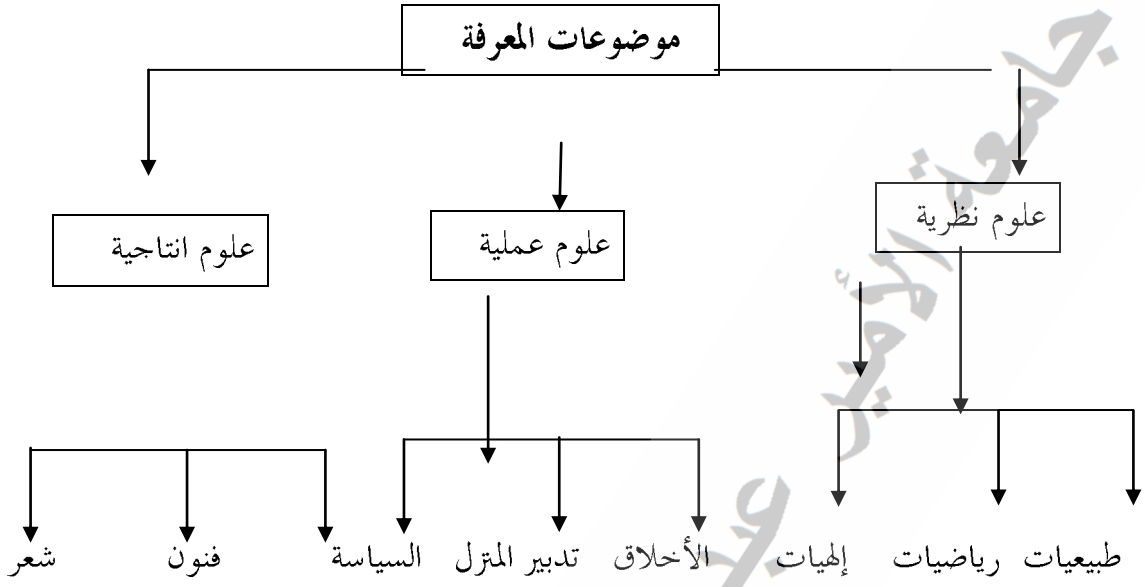

جدل

لقد استطاع أن يؤسس نظرية جديدة تجاوز بها أستاذه أفلاطون، بقيت موضع مناقشة حتى عصر النهضة فقد قام بصياغة الأركان الأساسية للعلم ، بشكل واضح تضمن منهج العلوم الرياضية وهو الاستنباط، ومنهج العلوم الطبيعية وهو الاستقراء .

وقد اعتمد أرسطو في بناء تصنيفه للمعرفة على المنهج الاستقرائي حيث يقول: "... لا يمكننا أن نستقرئ إذا لم يكن ثمة حس ، لأن الحس هو للأشياء الجزئية ، فإنه لا يمكن أن نتناول العلم الجزئي لأنه لا يستخلص من الكليات بدون استقراء ولا يستخلص بالاستقراء بدون إحساس" [1]والعلم الحقيقي عند أرسطو هو العلم الكلي وإن كان يحتاج في بدايته إلى العلم بالجزئيات عن طريق الحواس ويقول في ذلك الشأن: "إنه لا سبيل إلىقبول العلم بالحدس... وذلك أن الحس قد يلزم للأوحاد والأشياء الجزئية، وأما العلم كشيء كلي... إذا تصدينا الكلي كنا نقتني برهانا" [2].

إن تصنيف العلوم عند أرسطو ينسجم مع تصوره الذاتي على فلسفته في بنية الوجود الذي تترتب فيه الموجودات ترتيبا متنازلا من أكثرها تجديدا إلى أكثرها اتصالا بالمادة أعلاها المحرك الأول الواجب الموجود وأدناها الكائنات التي لا أعضاء لها الشبيهة بالهيولى مرورا بعالم ما فوق

---

[1] أرسطو، منطق أرسطو، تح : عبد الرحمان بدوي، ط1، ج02 ،وكالة المطبوعات، الكويت، ، ص 385

[2] المصدر نفسه، ص 418

فلك القمر الذي يشمل الكواكب التي لا ينالها الكون والفساد، ثم بعالم ما تحته الذي يشمل ما يناله الكون والفساد لاختلاطه بالمادة [3].

بقراءة وجيزة للرسم التخطيطي نلاحظ:

- التقسيم الثنائي للعلوم والمعارف عن أرسطو :
- العلم النظري .
- العلم العملي و – الإنتاجي .
- وأساس التصنيف المادية (الكثافة)، فهو يتفق مع أستاذه أفلاطون ،علما أن الحقيقة عنده ليست مفارقة للوجود، فهو مخالف لأستاذه ،ويتفق معه في وسيلة الإدراك وهو العقل ،فبتأمل الموضوعات الحسية تحصل المعرفة بالكليات .

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند الغرب (أوروبا) عصر النهضة

تمهيد:

ظهرت بوادر النهضة الأوروبية [1] مع بدايات القرن 16 ومن بين عوامل ظهورها أعمال "ابن رشد" التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية ، ومن بين الذين تأثروا به القديس "توما الإكويني" وقد ظهر في هذه الفترة مذهب فكري جديد يسمى "النزعة الإنسانية" أعطى الدفع الحقيقي في ظهور الفلسفة الحديثة بشكل عام، و قد رجعت في ذلك إلى التراث اليوناني الوثني القديم دون الالتفات إلى التراث المسيحي في عملية قيصرية تمثلت في سلخ الفلسفة عن الدين ، وتناولت هذه النزعة الفلسفة المدرسية التراث المسيحي بالتهكم عليه من حيث اللغة والبحث و طريقة الإستدلال [2].

لقد اهتمت الفلسفة الحديثة بالإنسان على أساس أنه مركز الكون ، وقد كان أصحاب النزعة الإنسانية موسوعيين ساهموا في تأسيس الدولة القومية وانتشار الروح العلمية الجديدة المبنية على المناهج العقلية، وتسمى هذه الفترة عصر الاكتشافات وعلى ضوئها طبقت تفسيرات جديدة

---

[3] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الاسلامي، ط1، 1992م ، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ، ص،ص 35-36

[1] إن تاريخ الفكر الفلسفي لدى اليونان، يقدر بحوالي ثمانية قرون (بين القرن الخامس قبل الميلاد والقرن الرابع للميلاد) ولدى المسلمين أيضا بحوالي ثمانية قرون بين ق 7م وق 15م مع العلم أن القرون الوسطى في تقدير الأوروبيين ممتدة ما بين (476-1492) ولدى الفلاسفة المحدثين بحوالي ثلاثة قرون فقط انطلاقا من بيكون و ديكارت وانتهاء بكارل ماركس أي بين (ق16 و ق19) ومن المحتمل أن تدرج في الفلسفة الحديثة التي نسميها اليوم معاصرة بعد مرور الزمان وفي تصنيف جديد.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دارالمعارف، القاهرة، ص 06.

للعالم اللامحدود وانفلاته مركزية الشمس وروما واكتشاف ثقافات أخرى إفريقية وآسيوية وتمجيد الفرد كقيمة في حد ذاته ، وفي هذا الجو ظهر فلاسفة من الطراز الرفيع ، محدثين ثورة فكرية وعلمية ومعرفية سميت بـــ: "فلسفة الأنوار" ومن بينهم رائد الفلسفة الانجليزية الحديثة **فرانسيس بيكون** (1561-1626)

وفي فرنسا **رينييه ديكارت** (1596-1650) ثم **أوجيست كونط**(1798-1857).

1-تصنيف العلوم عند فرانسيس بيكون:

أ-فلسفته:

تناول " بيكون" الفلسفة في ثلاثة موضوعات: الطبيعة والإنسان والله، وانتقد بشدة العقل الأرسطي المجرد اهتم بمسألة إصلاح العلوم،دعا إلى اعتماد العقل بصفته ملكة لتحصيل المعرفة ولأجل تكوين العقل الجديد لابد من منطق جديد يضع أصول الاستكشاف لأن العقل أداة تجريد وتصنيف ومساواة ومماثلة، إذا ترك يجري على سليقته إنقاد لأوهام طبيعية عليه، ومضى في جدل عقيم يقوم في بتمييزات لا طائل تحتها [1].

وهذه الأوهام يسميها "بيكون ": "أصنام العقل" وهي أربعة انواع :

*أوهام القبيلة: وهي ناشئة من طبيعة الإنسان فنحن ميالون لتعميم بعض الحالات ومقايسة فعل الطبيعة بفعل الإنسان .

* أوهام الكهف : وهي ناشئة من الطبيعة الفردية لكل منا، وهي بمثابة الكهف الأفلاطوني وهي صادرة الاستعدادات الأصلية ومن التربية والعلاقات الاجتماعية والمطالعات .

* أوهام السوق : وهي الناشئة من الألفاظ فإن الألفاظ تتكون طبقا للحاجات العملية والتصورات العامية فتسيطر على تصورنا للأشياء فتوضع الألفاظ لأشياء غير موجودة أو غامضة أو متناقضة وكثير من المناقشات تدور كلها على مجرد ألفاظ .

* أوهام المسرح : وهي آتية مما تتخذه النظريات المتوارثة من مقام ونفوذ وهنا يحمل 'بيكون' على أرسطو وأفلاطون وغيرها من الذين يفسرون الأشياء بألفاظ مجردة .

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة المرجع نفسه ، ص 47 .

إن جملة هذه الافتراضات صنعت عقلا جديدا ومنهجا جديدا تجاوز به بيكون العلم القديم الذي يرمي إلى ترتيب الموجودات في أنواع وأجناس فكان نظريا بحتا على غرار العلم الجديد الذي يرمي إلى أن يتيبت في الظواهر المعقدة عناصرها البسيطة وقوانين تركيبها [2] .

ب– تصنيفه للعلوم :

وضع "بيكون" تقسيما للمعرفة جاء في كتابه "الإصلاح الكبير" إلى ثلاثة أقسام، يقول إنه يرد كلا منها إلى طاقة من طاقات الإنسان الثلاث وأنه يرتبها على حسب قوانا الداركة [3].

وأولى هذه الأقسام علوم التاريخ وتعتمد على الذاكرة .

وثانيها علوم الفنون والشعر وتعتمد على الحكمة والعقل .

وهذه الأخيرة هي أكبر الطاقات الإنسانية وأعظمها .

ثم يعود "بيكون" إلى تقسيم العلوم إلى فروع ثلاثة .

فالتاريخ ينقسم إلى تاريخ طبيعي وإنساني وتاريخ الآداب، والفنون تنقسم إلى دراما وقصة وفنون وصفية، والفلسفة تنقسم إلى علوم تبحث في الطبيعة من حول الإنسان والعلوم تبحث في الإنسان ذاته ثم علوم تبحث في الله من فوقه [1].

شكل توضيحي لموضوعات المعرفة عند بيكون:

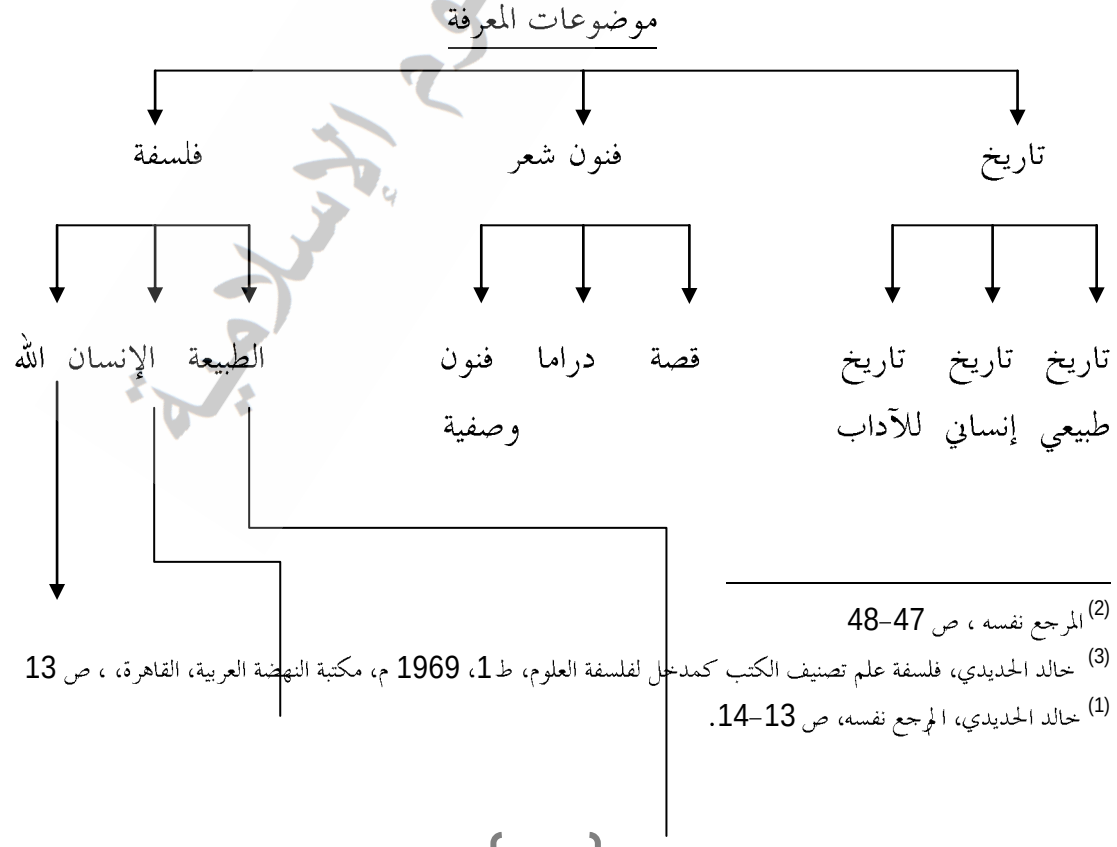

(2) المرجع نفسه ، ص 47-48

(3) خالد الحديدي، فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم، ط 1، 1969 م، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ، ص 13

(1) خالد الحديدي، المرجع نفسه، ص 13-14.

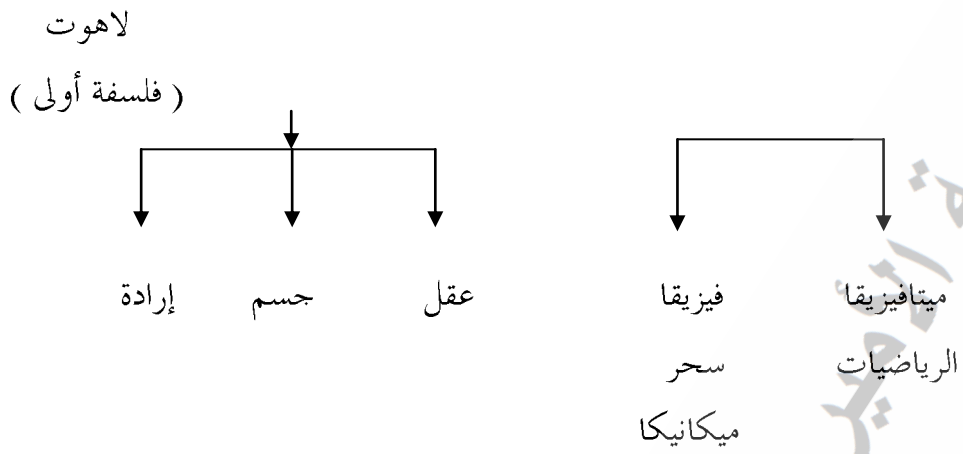

ويرى المصنفون للمعرفة أن تقسيم "بيكون" للمعرفة الإنسانية قائم على أساس من الفلسفة قوامه القوى المدركة للإنسان فالمبدأ العام لهذا التصنيف ذاتي مأخوذ ولقد وجهت لتكون عدة انتقادات منها أنه لا توجد علاقة بين التاريخ الطبيعي والتاريخ السياسي اللهم إلا في لفظة تاريخ حيث يبحث الأول في علم الحياة من نبات وحيوان وطبيعة وكيمياء بينما يبحث الثاني في تاريخ الجماعات وما ألم بها من أحداث وحروب، وكذلك فصله بين الديانات والفلسفة وفصله لعلم وظائف الأعضاء وعلم النفس على الرغم من الصلة والوطيدة بينهما. والملاحظ أن بيكون اهمل الرياضيات عما حدا ذلك ببعض الفلاسفة من معاصريه بأن يعطوا الرياضيات أهمية كبرى في فلسفاتهم المتعاقبة [1] .

2- تصنيف العلوم عند أوجيست كونط:

أ-فلسفته:

يرى أوجيست كونط في مذهبه الواقعي أن الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وأنب ينها من علاقات وقوانين [2] ومنه فالمثل الأعلى لليقين فقط في العلوم التجريبية وعليه فالبحث في العلل والغايات أو ما يسمى بالأشياء بالذات لا طائل منه وهو مضيعة للجهد

---

[1] خالد الحديدي، المرجع نفسه، ص 19.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 317.

والوقت وبهذا الشأن يقول إن العقل في تاريخه مر بثلاث حالات: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة واقعية (موضوعي).

* الحالة اللاهوتية: رأي العقل البحث عن كنة الأشياء وأصلها ومصيرها: محاولا ارجاع كل طائفة في الظواهر إلى مبدأ مشترك مفارق للطبيعة.

* الحالة الميتافيزيقية: يرمي العقل كذلك إلى استكناه صميم الأشياء وأصلها ومصيرها ولكنه يستبدل العلل المفارقة بعلل ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء.

* الحالة الواقعية: وهنا يدرك العقل امتناع الحصول على معارف مطلقة وتوصف الظواهر فحسب من حيث تزامنها وتعاقبها وبمجرد صياغة قوانينها لا يكون هناك داع للبحث عن تفسير لطبيعتها أو لوجودها [3].

ب- تصنيفه للعلوم:

يربط "أوجيست كونط" تصنيفه للعلوم بقانونه الثلاثي في تدرج العقل نحو النضج والتطور الذي يبدأ بالأسطورة ثم الميتافيزيقا وأخيرا المرحلة العلمية، التي تهتم فقط بالدراسة الحسية للظواهر وإيجاد نظام بينها وبين موضوعاتها قائم على وجود تدرج بينها واعتماد كل منهما على الآخر كما يضع "أوجيست كونط" سلما تطوريا يوجد فيه العلم الأكثر تجريدا وعمومية في أول السلم والعلم الأكثر تعقيدا وخصوصية في المرتبة التي تليه وهكذا بالتدريج.

وتطبيقا لهذا السلم وضع "كونط" الرياضيات في أوله لأن جميع العلوم تفترضها ولأن الرياضيات تمتاز بالبساطة والعموم ثم يلي الرياضيات علم الفلك فالطبيعة فالكيمياء فعلم الأحياء ثم يأتي العلم الذي وضع "كونط" اسمه وهو علم الاجتماع [1] وقال عنه إنه علم الحياة بالنسبة للمجتمعات، أو

---

[3] خالد الحديدي، ، المرجع نفسه، ص 30.

[1] وضع كونط اسمه دون محتواه لأن ابن خلدون كان قد سبقه بقرون.

"الفيزياء الاجتماعية" وجعله يشمل علم الاقتصاد والأخلاق وفلسفة التاريخ ومعظم علم النفس علاوة على فلسفة المجتمع [2] .

وقد بين "أوجست كونط" أخذ العلوم من بعضها البعض والاعتماد على بعضها في سلسلة متدرجة فعلم الحساب مثلا هو أبسط العلوم وحقائقه هي أكثر الحقائق تجريدا ولذلك فهو أساس كل علم كما أن حقائق الهندسة هي حقائق في كل علم آخر وحقائق علم الميكانيكا تفسر ظواهر سائر العلوم الأخرى. فعلم الاجتماع يستمد أصوله من ظواهر الحياة التي تؤثر في المجتمع سواء كانت ظواهر حيوانية أو نباتية أو إنسانية [3] وأن هذه الظواهر بدورها تستمد أصولها من علم الفيزياء والكيمياء السابقين في الترتيب لعلم الحياة لأن الظواهر الأكثر تعقيدا تشمل على الظواهر الأكثر بساطة.

رسم توضيحي لتقسيم أوجيست كونط للعلوم:

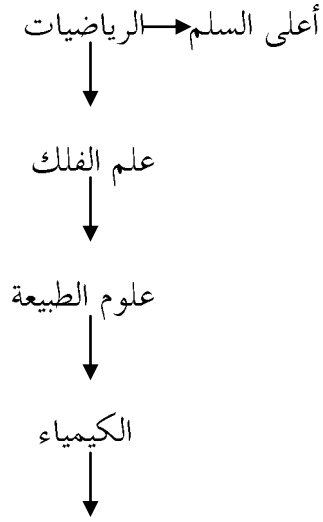

[2] خالد الحديدي، فلسفة علم تصنيف الكتب، المرجع نفسه، ص 31

[3] المرجع نفسه ، ص 32.

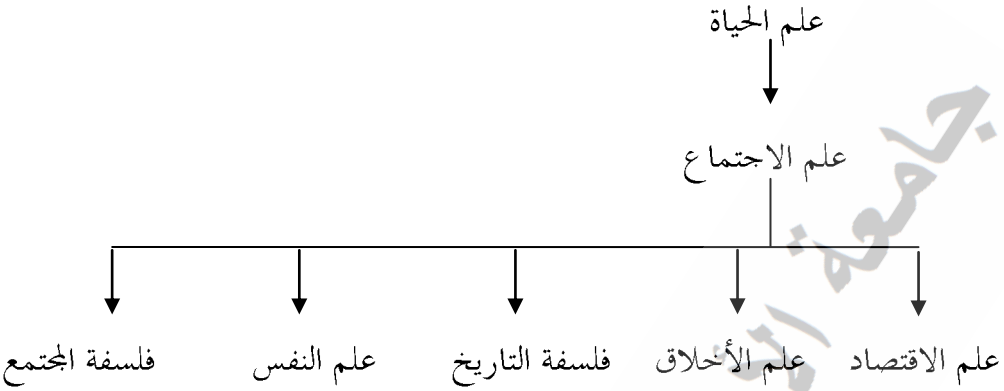

والملاحظ أن "كونط" أهمل عددا كبيرا من العلوم و لم يضع تصنيفا جامعا مانعا لعلوم عصره [1] فلم يتحدث عن الفنون والعلوم التطبيقية و لم يشر باهتمام للمنطق وعلم النفس والأخلاق وأغفل الفلسفة كعلم قائم بذاته وهذا راجع إلى عدائه مع الميتافيزيقا [2] .

3- تصنيف العلوم عند ديكارت:

أ- فلسفته:

يعرف ديكارت الفلسفة بأنها دراسة الحكمة والحكمة علم واحد كلي، هي تفسير جامع للكون أو هي نظام شامل للمعرفة البشرية وليست الفلسفة مجرد مجموعة معارف جزئية خاصة وإنما هي علم المبادئ العامة، يعني أيضا أنها علم للأصول التي هي أساس ما في العلوم [1] .

لقد بدأ ديكارت في بناء نسقه الفلسفي على مبدأ الشك فرفض العلوم التقليدية من طب وفلك وطبيعيات وكذلك الشأن بالنسبة إلى الجسد والامتداد والعالم الخارجي والأفكار والمبادئ الأولى، لقد عمد إلى مراجعات عميقة لكل ما اكتسبه بالحواس وتلقاه من تعليم في مدرسة "لافلاش" وفي

---

[1] أحمد عبد الحليم عطية، تصنيف العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص 21.

[2] عمر بن بوذينة، فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي وآثارها في التوجيه الحضاري، مذكرة ماجستير، إشراف صالح نعمان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة السنة الجامعية 2009-2010، ص 90.

[1] ديكارت، مبادئ الفلسفة، تر: عثمان أمين، دار النهضة المصرية القاهرة، 1960، ص 13-14.

خضم هذا الفيض العارم من الشك بزغت حقيقة واحدة تقاوم هذا الشك وهو الشك نفسه. هذا الشك هو القاعدة الصلبة التي لا يمكن انكارها والشك بالغرور يتطلب وجود حقيقة وهي أنني كائن مفكر "أنا أفكر إذن أنا موجود" [2] وأنا موجود في محل وهو الجسد فكرة الامتداد وحقيقة أنني موجود عاجز لأن إرادتي لم تكن سببا في وجودي فكرة النقص (العجز) إذن فمن هو سبب وجودي؟ لابد ان هناك حقيقة أخرى خارجي وهي أعظم مني من صفاتها الكمال والجلال وهو الله الضامن للمعرفة، وعنايته رافعة لكل وجود [3].

لم يكن ديكارت من فلاسفة الشك المطلق بل كان يؤمن بالعقل على إقامة المعرفة الموضوعية واليقينية وقد رأى أن سبيل اليقين هو الاستنباط وليس الاستقراء الذي يؤدي فقط إلى معرفة احتمالية وقد دعته براعته في الرياضيات إلى إدراك قضايا هذا العلم أنها يقينية لا احتمال فيها كما أنها أكثر العلوم بساطة ووضوحا فأقام فلسفته على هذا النموذج الرياضي[4].

ب– تصنيفه للعلوم:

نظر ديكارت إلى المعرفة بوصفها شجرة جذورها الميتافيزيقيا وساقها الطبيعيات وفرعها سائر العلوم الأخرى (الطب، الميكانيكا، الأخلاق).

واعتبر قسمها الأول الميتافيزيقا تشمل مبادئ المعرف التي منها تفسير أهم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعاني الواضحة المتميزة الموجودة فينا والقسم الثاني الطبيعيات وتشمل مبادئ المادة والكون وطبيعة الأرض وكل ما عليها من ماء وهواء ونار و صخور ونبات وحيوان وفوق كل هذه الإنسان [1] .

اما القسم الثالث: سائر العلوم الأخرى والتي تمثل فروع الشجرة وأوراقها وكان ديكارت يجمل هذه العلوم في ثلاثة : علم الطب، علم الميكانيكا، علم الأخلاق [2]

وكان يرى ان على الإنسان أن يسعى إلى أن يؤلف لنفسه مذهبا أخلاقيا لينظم اعماله في الحياة [3]

---

[2] محمود زيدان، مرجع سابق، ص 35.

[3] ديكارت، مقال عن المنهج، تر: محمود الخضيري، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1685 ،ص 133.

[4] محمود زيدان، المرجع نفسه، ص 34.

[1] خالد الحديدي، مرجع سابق، ص 24.

[2] المرجع نفسه ، ص 25

[3] أحمد عبد الحليم عطية، مرجع سابق، ص 19.

شكل توضيحي لتقسيم المعرفة عند ديكارت:

ويتضح في تصنيف ديكارت أنه قصد إلى مفهوم واحدية العلم نظريا وعمليا وهو يرمي بهذا إلى توحيد المعارف ا لإنسانية في نسق واحد وقد مثل ذلك بالشجرة أساسها الجذور وهي المبادئ الأولى ثم تنبثق عنها الطبيعيات ثم سائر العلوم الأخرى وهذه الأخيرة هي ثمار ونتاج الأولى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع: تصنيف العلوم عند المسلمين

تمهيد:

يزعم علماء الغرب أن الفلسفة العربية إن هي إلا فلسفة يونانية كتبت بأحرف عربية وكل جهد العرب انصب حول النقل والترجمة وخاصة فلسفة أرسطو وأفلاطون ، الأول عن طريق مدرسة "جنديسابور" والثاني عن طريق مدرسة "الإسكندرية" [1] .

وليس هناك من شك أن الفلاسفة العرب والمسلمين درسوا الفلسفة اليونانية وأحاطوا بها من كل الجوانب حتى أنه لا يوجد شارح لأرسطو مثل ابن رشد ومن خلال ابن رشد استطاع الغرب أن يدرس فلسفة المعلم الأول .

---

[1] خالد الحديدي، مرجع سابق، ص 39.

ولا شك أيضا أن الفلاسفة العرب والمسلمين تأثروا وتفاعلوا مع الفلسفة اليونانية وغيرها من الثقافات الأخرى، ولكن هذا لا يعني أنها امتداد للفلسفات الأخرى أو ترجمتها إلى أحرف عربية فقط، إنها مركب جديد في دين جديد وبيئة جديدة وأفكار جديدة وقيم روحية جديدة. وقد ظلت هذه الفلسفة الإسلامية رائدة في مدارس الشرق والغرب حتى ما بعد النهضة وإلى يومنا هذا وهذا ما شهد به فيلسوف التاريخ الكبير "جورج سارتون" [2] بقوله: "فإذا لم يكن هذا الذي فعله العرب ابتكارا فليس في العلم إذا ابتكار على الإطلاق" [3] .

تصنيف العلوم عند المسلمين:

-لقد أسهم مفكرو الإسلام بجهد معتبر في مجال تصنيف العلوم وهو من الموضوعات التي زاد الاهتمام بها في الوقت الحالي وخاصة في العلوم الإنسانية .

ولعل أقدم تصنيف للعلوم هو ما وصلنا عن جابر بن حيان (ت 200 ه) من خلال كتابيه "الحدود" و "إخراج ما في القوة إلى الفعل" وقد قسم جابر بن حيان العلوم إلى قسمين رئيسيين :

1-علوم دينية: وتضم العلوم الشرعية والعلوم العقلية .

2- علوم دنيوية: وتضم علوم الصنعة وهي شريفة وعلوم الصنائع وهي وضيعة .

تلك هي أصناف العلوم بصورة عامة عنده ، أما فروعها [1]فهي كثيرة ليس المقام لذكرها تفصيلا.

- ثم يأتي من الناحية التاريخية الكندي (ت 260 ه) حيث قسم العلوم إلى قسمين: دينية وفلسفية أو دينية ودنيوية أو علوم إلهية وعلوم إنسانية وهذا التقسيم قريب في تصنيف جابر عن حاجة الإسلام إلى توسعه دائرة العلوم لأن الإسلام جاء بعلوم لم تكن موجودة من ذي قبل مثل علم التوحيد وعلم العقائد وعلم النبوة وعلم أصول الدين وما يتصل بهذه العلوم من فقه وحديث ورد على المبتدعة والمخالفين[2] .

---

[2] جورج سارتون، فيلسوف أمريكي مؤرخ.

[3] خالد الحديدي، المرجع نفسه ، ص 40.

[1]عبد الوهاب فرحات، النزعة التأصيلية في تصنيف العلوم عند مفكري الإسلام، مقال منشور ضمن كتاب إسلامية المعرفة وسؤال المشروعية، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1432هـ، 2011م، ص 434.

[2]خالد الحديدي، المرجع نفسه، ص 47.

– وقد استمرت الحركة النشطة في انضاج هذا الفن من فنون المعرفة بالقدر الذي يمكن الدارس من تبيين خصائص الفكر الإسلامي في التصنيف وميزاته ويمكن تتبع ذلك في نسق تاريخي على النحو التالي بدءا بأول محاولة كاملة ومقصودة.

1- "إحصاء العلوم" للفارابي (أبو نصر محمد بن محمد ت 339 هـــ).

2- "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" (منتصف القرن 4 هـــ).

3- "مفاتيح العلوم" للخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف، ت 387 هـــ).

4- "الهرست" لابن القديم (محمد بن اسحاق، ت 438هـــ).

5- رسالة "أقسام العلوم العقلية" لابن سينا (ت 428 هـــ).

6- رسالة "مراتب العلوم" لابن حزم (ت 456 هـــ).

7- "طبقات العلوم" للأبيوري (أبي المظفر محمد بن أحمد، ت507 هـــ).

8- "المقدمة" لابن خلدون (ت 808هـــ).

9- "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" لطاش كبرى زاده (ت 968 هـــ).

10- "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة (ت 1067 هـــ).

11- "كشاف اصطلاحات العلوم" للتهانوي (محمد بن علي، ت بعد 1158 هـــ).

12- "أبجد العلوم" لصديق بن حسن القنوجي (ت 1307هـــ / 1889 م) [3] .

إن هذه المؤلفات وغيرها تبين العناية المستمرة من قبل المسلمين لهذا العلم وليست هذه المؤلفات متساوية في قيمتها التصنيفية ولا في ابرازها لخصائص الفكر الإسلامي الأصيل كما سيظهر لاحقا .

وبدءا بأول محاولة رائدة ومقصودة نجد "أبو ناصر الفارابي" (ت 339هـــ) قد وضع كتابين في هذا الفن: "إحصاء العلوم" و "التنبيه على سبيل السعادة" ويعد العلماء أن محاولة الفارابي من أعمق وأكثر المحاولات نضجا، وقد استهل كتابه "إحصاء العلوم" بالقول "قصدنا من هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منهما وأجزاء كل ما له أجزاء وجمل ما في كل واحد من أجزائه ونجعله في خمسة فصول:

الاول في علم اللسان وأجزائه.

والثاني في علم المنطق وأجزائه.

---

[3] عبد المجيدالنجار، مرجع سابق ، ص 38.

والثالث في علوم التعليم...

والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه.

والخامس في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه وعلم الكلام [1] .

– وهو في كتابه يحاول إدخال تعديلات على التصنيف الأرسطي كي يصبح ملائما أكثر وقابلا لأن تدمج فيه العلوم الدينية الإسلامية، وإن هذا الدمج لعلوم إسلامية أصيلة في ترتيب يوناني جاهز للعلوم، هو الترتيب الأرسطي ليدخل في المسار العام الذي سلكته فلسفة الفارابي ألا وهو التوفيق بين الفلسفة والشريعة لصالح الفلسفة بل حتى العلوم الشرعية التي طعم بها التصنيف الأرسطي، أراد لها ألا تحتفظ بمعانيها ومضامينها الإسلامية النوعية، فهو يشحنها بمضامين شمولية لا تختص بالملة الإسلامية وحدها [2].

– ثم تأتي محاولة "ابن سينا" (ت 428ه) الذي أورد تقسيما للعلوم في العديد من مؤلفاته إلا أن أكمل تصنيف ما جاء في دراسات في أقسام العلوم العقلية. حيث قسم علوم الحكمة إلى قسمين رئيسيين: كل قسم منها يتفرع إلى فروع وأجزاء.

الأول: عوم نظرية مجردة وغايتها حصول الاعتقاد اليقيني مجال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان وإنما المقصود منها حصول رأي فقط مثل علم التوحيد وعلم الهيئة وتنقسم هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام:

* العلم الأسفل: ويسمى العلم الطبيعي.

* العلم الأوسط: ويسمى العلم الرياضي.

* العلم الأعلى: ويسمى العلم الإلهي.

ولكل علم من هذه العلوم أقسام أصلية وأقسام فرعية.

الثاني: علوم عملية والمقصود منها ليس حصول رأي فقط بل حصول رأي لأجل عمل، وهي ثلاثة أقسام:

* علم الأخلاق: وهو الذي يعرف به الإنسان كيف تكون أخلاقه وأفعاله ويشتمل عليه كتاب أرسطو ليس في الأخلاق.

* علم تدبير المنزل: ويشتمل عليه كتاب "أرونس".

---

[1] الفارابي، إحصاء العلوم،ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت،1996، ص 15

[2] سالم يفوت، تصنيف العلوم لدى ابن حزم، مجلة دراسات عربية، ع 5 ، السنة 19، عدد مارس 1983، ص 63.

* علم السياسة المدنية: ويشتمل عليه أفلاطون وأرسطو في السياسة.

ويلحق به ما يتعلق بالنبوة والشريعة وتعرف به بعض الحكمة في الحدود الكلية المشتركة في الصنائع والتي تخص شريعة بحسب قوم و زمان [1] .

والملاحظ هنا انه نفس الاستهام الذي قام به الفارابي نجده عند ابن سينا في محاكاة تصانيف العلوم عند اليونان فكلاهما حشر الشريعة الإسلامية ضمن العلوم العملية اقتفاء لأرسطو كما جعل "ابن سينا" الشريعة ،أي شريعة ،وليست الشريعة الإسلامية كما نفهمها ،فأصبحت الشريعة ملحقة بالنظام الفكري الفلسفي (البشري) [2]أما "أبو الحسن العمري" الذي توفي سنة (ت 381 هـــ) فيتبنى هو الآخر تقسيم أرسطو مع محاولة تعديله يشمل العلوم الإسلامية حيث قسم العامري العلوم إلى مجموعتين رئيسيتين:

الأولى: العلوم الحكمية فهي تفتن أيضا إلى صناعات ثلاث:

* إحداها حسية: وهي صناعة الطبيعيين.

* والثانية عقلية: وهي صناعة الإلهيين.

* والثالثة: بين الحس والعقل: وهي صناعة الرياضيين.

ثم صناعة المنطق تنزل من الصناعات الثلاث منزلة الآلة المعينة عليها [3] .

الثانية:فأما العلوم الملية فتفتن أيضا إلى صناعات ثلاث:

* إحداها حسية: وهي صناعة المحدثين.

* والثانية عقلية: وهي صناعة المتكلمين.

*والثالثة: مشتركة بين الحس والعقل: وهي صناعة الفقهاء.

ثم صناعة اللغة تنزل من الصناعات الثلاث منزلة الآلة المعينة عليها [1] .

– وقد دافع العامري عن العلوم الحكمية ووجوب دراستها على أساس أن الوحي يوافق العقل ولا يتعارض معه، وقد جاءت دعوة الإسلام إلى العلم النافع بكل أنواعه كالرياضيات وعلم الطبيعة كما دافع بكل قوة ودراية عن كل علم من العلوم الدينية مثل علم الحديث وعلم التوحيد وعلم الفقه وقد صنف أرباب العلوم قائلا: "أرباب العلوم الملية هم المصطفون من الأنبياء صلوات الله

---

[1] عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 47.

[2] سالم يفوت، تصنيف العلوم لدى ابن حزم،المرجع نفسه، ص 63

(3) العامري،الإعلام بمناقب الإسلام، تح: احمد عبد الحميد غراب،ط1، دار الأصالة للثقافة والنشروالإعلام ،الرياض1988 ، ص81

[1]العامري ،المرجع نفسه، ص 80.

عليهم" وأرباب العلوم الحكمية هم المرتضون من الحكماء وكل نبي حكيم وليس كل حكيم نبي [2].

والعامري بخلاف الفارابي وابن سينا فهو يصرح بالعلوم الإسلامية كعلوم قائمة بذاتها ولا يحشرها ضمن ما يسمى عادة بالعلوم العملية فهو يفسح مجالا لعلوم الشريعة ويضعها جنبا إلى جنب مع العلوم الحكمية [3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[2] فرحات عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 442.

[3] سالم يفوت، تصنيف العلوم لدى ابن حزم ، مرجع سابق، ص 63.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأوّل :

الفصل الأول : ابن حزم وتصنيفه العلوم .

المبحث الأول : ترجمة ابن حزم .

المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لابن حزم .

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن حزم .

المبحث الأول: ترجمة ابن حزم

أولا: اسمه ، مولده ، نشأته :

* هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي، القرطبي، اليزيدي [1].

* وكنيته التي اشتهر بها "أبي محمد"[2] وهي الكنية التي كان يصدر بها أكثر كتاباته. واشتهر بلقب "ابن حزم".

* ولد الإمام ابن حزم بقرطبة في الجانب الشرقي في ربض منية المغيرة آخر ليلة الأربعاء في أواخر شهر رمضان المبارك سنة 384 ه[3]ـــ.

* نشأ الإمام ابن حزم مترفا في قصر أبيه بالزاهرة في بيت عز وجاه حيث كان والده من الوزراء المنصور العامري[4]، وقد حرص على تربيته التربية الحسنة وكلف بذلك مجموعة من النساء فعلمته القرآن وحفظته الأشعار ودربته على الخط.

ولما بلغ سن الثالثة عشر من عمره وجهه والده بصحبة رجل مستقيم النفس والخلق وهو أبو علي الفاسي[5] الذي كان له الأثر القوي في توجيه ابن حزم واستقامته.

* لما بلغ ابن حزم سن الثالثة عشر من عمره كان والده يصطحبه معه إلى مجالس الكبار حتى يتعلم منهم حسن المنطق والأدب ومن ذلك مجالس الحاجب المظفر بن أبي عامر التي تنشد فيها الأشعار.

و لم تستمر الحياة الهانئة لابن حزم ولأسرته، فمنذ بلغ الخامسة عشر تقريبا عاش فترة من تاريخ الأندلس مملوءة بالاضطرابات والفتن[6]. كما سنرى في الحياة السياسية.

---

[1] عز الدين بن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، ح3، دط، دت، مكتبة المثنى، بغداد، ص 412

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنا مكتبة الخانجي،ط 1، م4، 1397هـــ، 1977م، القاهرة، ص111.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط1، ج18، 1405هـــ، 1984م، تح، شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسود، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص185.

[4] حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي، دط، دت، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 39

[5] الحسين بن علي الفاسي، أبو علي، كان من أهل العلم والفضل مع العقيدة الخالصة والنية الجميلة أنظر: الحميدي ،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، دط، 1922م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص193.

[6] الذهبي ، المرجع نفسه، ص 187.

ثانيا: الحالة السياسية :

* شهد العصر الذي عاش فيه ابن حزم نهاية الدولة الأموية وظهور الدولة العامرية [1]، ثم بني حمود[2] وانتهاء بعهد ملوك الظوائف وذلك بين (384- 456 هـ) وكان من أبرز السمات في الحياة السياسية في عصر ابن حزم مايلي:

1- كان والد ابن حزم وزيرا للمنصور بن أبي عامر [3]، حاجب الخليفة الأموي هشام المؤيد وتعتبر هذه الفترة من أزهى عصور الأندلس أمنا واستقرارا.

2- مات المنصور بن أبي عامر وتولى الحكم بعده ابنه المظفر ثم عبد الرحمن وبدأ التنازع على الخلافة مما أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية في الأندلس وكثرت الفتن والحروب في قرطبة وأثرت هذه الفتن في أهل قرطبة عامة وعلى أسرة لبن حزم خاصة، فأجليت عائلة ابن حزم من مقرها بالجانب الشرقي من قرطبة إلى دورهم القديمة بالجانب الغربي وذلك سنة 399 هـ[4].

3- نهب جند البربر منازل قرطبة وتم إجلاء بن حزم سنة 404 هـ، فغادر قرطبة وسكن المرية[5]تأثر تأثرا شديدا بالدمار والخراب الذي حل بقرطبة [6]، وقد اعتقله صاحب المرية عندما نقل إليه أنه يسعى لقيام دولة الأمويين ثم أطلق سراحه بعد شهر.

4- تولى ابن حزم الوزارة لثلاثة من خلفاء بني أمية وهم: عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى في عام 405 هـ، وعبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر عام 414 هـ وهشام بن محمد الملقب

بالمعتمد على الله في عام 418 هـ [7].

5-انتهى حكم الدولة الأموية في الأندلس بموت هشام بن محمد سنة 422 هـ وتولى ملوك الطوائف

---

[1] المقري،نفخ الطيب، تح: إحسان عباس، م1، دط، 1408هـ، 1988م، دار صادر بيروت، ص 396

[2] الذهبي،المرجع نفسه، م17، ص: 135-139.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

[4] المقري، المرجع نفسه، ص 423.

[5] المرية: هي مدينة كبيرة من كورة البيرة، بها مرفأ ومرسى للسفن وملتقى للتجار.(

أنظر: الحموي البغدادي،معجم البلدان، م5، دط، 1397هـ- 1977م، دار صادر، بيروت، ص9.

[6] أحمد بن ناصر الحمد، ابن حزم وموقفه من الإلهيات، ط1، 1406هـ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة، ص 38

[7] المرجع نفسه، ص 41-44.

على قرطبة[8].

وكان منهم المعتضد بن عباد [1] الذي أحرق كتب ابن حزم.

6- بعد سقوط الدولة الأموية تأثر لبن حزم تأثرا شديدا حيث رأى تفرق كلمة المسلمين واضطراب أمورهم وخضوع كثير منهم لأعداد الإسلام فآثر البعد عن السياسة واتجه نحو العلم والتأليف ومن الكتب التي ألفها في هذا الجانب (نقط العروس من تواريخ الخلفاء) (أمهات الخلفاء) وكتاب (جمل فتوح الإسلام).

ثالثا: الحالة الاجتماعية/ أبرز سماتها :

1-وجود كثير من العناصر المختلفة في المجتمع الأندلسي من عرب وبربر وصقالبة وقبائل شتى مع اختلاف خصائصهم وصفاتهم مما أدى إلى التنوع الثقافي في سائر العلوم والصناعات [2].

2- أدى اختلاط المسلمين بالنصارى إلى وجود الجدل بينهم خصوصا عندما ضعف شأن الأمراء المسلمين ولقد كان لذلك أثره في كتب ابن حزم حيث أثار الجدل في بعض كتاباته ومن ذلك كتاب (الفيصل في الملل والأهواء والنحل) ورسالة الرد على ابن النغريلة[3].

3- على الرغم من كثرة وتنوع سكان الأندلس إلا أن اللغة العربية كانت هي الموحد بين الشعوب فقد كانت كتاباتهم تمتاز بسلامة التعبير وفصاحة العبارة [4].

4- ظهور كثير من النساء الأديبات والشاعرات فقد كان الشعر والنثر يجري على ألسنة الكثير من الرجال والنساء على اختلاف تخصصاتهم [5].

5- كثرة الجواري الحسان نتيجة الغزوات الكثيرة التي غزاها المسلمون في جنوب فرنسا وغيرها مما كان له الأثر في عواطف وخواطر كثير من الشعراء والأدباء، فكانوا ما بين متبع للهوى وملتزم

---

[8]أنظر: المقري، المرجع نفسه، م1، ص 438.

[1]المعتضد: هو أبو عمرو، عباد بن محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي الأندلسي حكم اشبيلية مدة، لقب المعتضد بالله، مات سنة 464ه أنظر: الذهبي، مرجع سابق، م18 ، ص 256.

[2] محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، دط، دت، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 107

[3]ابن النغريلة: هو اسماعيل بن يونس بن النغريلة اليهودي. أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط 2، م1، 1393هـ-1973م، مكتبة الخانجي القاهرة، ص 439- 440

[4] أبو زهرة، المرجع نفسه ، ص 119.

[5]المرجع نفسه، ص 108-109.

للجادة [6] وقد تأثر ابن حزم في بعض كتاباته مثل (طوق الحمامة) (الأخلاق والسير) فتحدث عن الحب في عبارات رقيقة ومشاعر فياضة لكنه —رحمه الله– أقسم أنه لم يكشف عن فرجه في حرام[7].

رابعا: الحياة العلمية :

لقد كان العصر الذي عاش فيه ابن حزم عصر الازدهار العلمي، والنهضة الفكرية و الانتاج الأدبي

ويتجلى ذلك فيما يلي:

1-عناية الأمراء الأمويين بالعلم وظهر ذلك في أمور منها:

أ/ إكرام العلماء وتوفيرهم وإغراق الأموال عليهم مما جعل كثيرا من علماء المشرق ينتقلون إلى الأندلس نشرا للمعارف وطمعا في العطايا[1].

ب/ اتساع حركة الترجمة حتى شملت كل أنواع علوم اليونان وظهر الفلاسفة المسلمون في الأندلس كابن رشد، وابن ماجة [2] وغيرهم.

جـــ/ الاهتمام ببناء المكتبات وتوفير الكتب في مختلف مدن وأقاليم الدولة ووجود منافسات علمية بين المدن الأندلسية المختلفة، وأيها أكثر علما ومعرفة [3].

د/ ظهور صناعة الورق في الأندلس وخاصة في مدينة شاطبة [4].

2- كثرة العلماء في تلك الفترة وبروز عدد منهم نتيجة تلك الحركة العلمية من أمثال أبو الوليد الفرضي، وابن عبد البر، وأبو الوليد الباجي، وابن عطية، وابن رشد، وابن حزم الذي أثرى الكتبة الإسلامية بغزير علمه وتنوع مؤلفاته.

3- اعتناء كثير من الأسر في الأندلس بجمع الكتب على اختلاف أهدافهم للتثقف وللزينة في رفوف الخزائن وللتباهي ولكي يذيع خبره بين الناس [5].

---

[6] المرجع نفسه، ص 104.

[7] المرجع نفسه، ص 103.

[1] أبو زهرة ، المرجع نفسه، ص 98

[2] ابن باجة: هو أبو بكر، محمد بن يحي بن الصائغ السرقسطي الشاعر، فيلسوف الأندلس كان يضرب به المثل في الذكاء والطب ودقائق الفلسفة مات بفاس سنة 533 هـــ ، أنظر: الذهبي، مرجع سابق، م20، ص 93

[3] أنظر: المقري، مرجع سابق، م1، ص 153.

[4] شاطبة: مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة مدينة كبيرة قديمة ينسب إليها الشاطبي.

أنظر: ياقوت الحموي،مرجع سابق، م3، ص 309.

4- وجود الخزانة التي أنشأها عبد الرحمن الناصر[6] الذي تولى الحكم نحو خمسين سنة وقد حوت أعظم الكتب ولا ريب أن ابن حزم اطلع على ما فيها من كتب [1].

5- لم تتأثر الحركة العلمية في الأندلس عند مجيء ملوك الطوائف بل نهجو انتهاج الأمويين فنهض الأدب والعلم في عصرهم وكثر الإنتاج الأدبي والعلمي [2] .

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[5] أبو زهرة، المرجع نفسه، ص 110.

[6]عبد الرحمن الناصر: هو عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد الناصر لدين الله سلطان الأندلس ولي الخلافة بعد جده وحكم أقطار الأندلس وصارت الأندلس في عهده أحسن حالا وأشد قوة، توفي سنة 350هـ.

أنظر: الذهبي، م8،المرجع نفسه ،ص 265.

[1] -أبو زهرة، المرجع نفسه، ، ص 111.

([2])-المرجع نفسه، ص 99 .

المبحث الثاني: منطلقات النسق الفلسفي لابن حزم

وقبل الشروع في بيان الأسس الفلسفية لتصنيف العلوم عند ابن حزم وجب التطرق إلى نسقه الفلسفي والمفاهيم الأساسية التي يقوم عليها نظامه الفكري الذي يعبر عن وحدة الموقف الحزمي في الفقه والكلام والفلسفة .

إنها وحدة نجدها في المنطلقات التي يرتكز عليها منهجه النقدي والمتمثلة في :

أولا: الله– الخالق

خالق كل شيء سواه، وهو واحد لم يزل ولا يزال، خلق كل شيء لغير علة ولا يجوز عليه ما يجوز على مخلوقاته لذا لا يجب قياسه عليها [1].

ثانيا:الطبيعة– المخلوقات

الطبيعة في نظره طبائع خلقها الله في الأشياء لا تقبل التبديل والتغيير إلا بإرادته خلافا للأشعرية التي أنكرت الطبائع وأنكرت وجود صفات ثابتة في الأشياء وهذا يؤكد وجود قوانين طبيعية وإمكانية معرفتها [2].

ثالثا: الشريعة

هي ما شرعه الله على لسان نبيه في الديانة وعلى ألسنة الأنبياء والبدعة هي كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل في الشريعة أو السنة ذلك أن الشريعة لما كانت من الله فإنها نزلت كاملة ولا علة في أحكامها لأنها منه، وهو لا يسأل عن أفعاله [3].

---

[1] ابن حزم، المحلى، م1، ط1، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة، مصر، ص، ص 3-4.

[2] سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ط1، 1986، الدار البيضاء، المغرب، ص291 .

[3] المرجع نفسه، ص 291.

ومن ثم أبطال التعليل والقياس والاستحسان والاستصلاح والرأي في الفقه والأصول وأبطال قياس عالم ما بعد الطبيعة على عالم الطبيعة في الكلام والفلسفة نظرا لعدم استواء الغائب والشاهد (إبطال مبدأ قياس الغائب على الشاهد).

رابعا:اللغة– البيان

خلق الله الكلمات والألفاظ مثلما خلق الكون أنواعا ذات طبائع غير قابلة للتبديل، فالألفاظ موضوعة منذ خلقها لتعبر عن معاني علقت بها لا عما لم يعلق عليها أو لم يسم بها أنها ليست فعل الطبيعة لأن هاته الأخيرة مخلوقة لا خالقة ،فاللغة رتبها الله ليقع بها البيان ولا دخل للفعل البشري فيها ومن هنا إبطال القياس والتعليل والاشتقاق في النحو، وهذا الرأي تابع لإشكالية عامة في النحو والفقه والكلام لعلوم عربية إسلامية نشأت لغاية بيان النص والدفاع عنه وفهمه داخل مجاله التداولي، إنها إشكالية البيان التي تجعل علاقة اللفظ بالمعنى، المشكلة المركزية وتعتبر التفكير ينحصر أساسا في استثمار النص[1].

خامسا:العقل

للعقل جانبان:

1-إنه من جهة انقياد للأوامر الإلهية فوظيفته في الشرعيات تقتصر على السماع واستثمار النص في حدود ظاهرة، لا تعليل ولا قياس.

2- وإنه من جهة أخرى أوائل عليها تؤسس المعرفة البرهانية: وهي أوائل بعضها يعود إلى الحس وبعضها الآخر إلى الفكر حيث يتخذ صورة مبادئ أساسية تملك بداهتها في نفسها وتكون كمعايير تصلح للحكم على صحة النتائج وتضمن صلابة وتماسك البناء العقلي ومن هنا إمكانية المنطق والعلوم الشبيهة به كالحساب، كما أن أوائل الحس تسمح بقيام طبيعيات أو معرفة بالطبيعة تبحث في سننها وقوانينها ويعني هذا في نهاية الأمر أن للشرعيات مبادئها وللطبيعيات والعقليات مبادئها ولا يمكن الخلط بين المجالين (فكرة كانط وما بعد الظاهرة). فكل منهما يمثل بناء اكسيوميا خاصا ما يترتب عنه الفصل بين الدين من جهة والفلسفة والعلم من جهة أخرى.

---

[1] سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، المرجع نفسه، ص 291 .

– لقد أمدت هذه المنطلقات ابن حزم الطريقة النقدية وبأسس منهجية تستند إليها في تناول كل القضايا بما فيها الكلامية والفلسفية وهي: إبطال القياس، قياس الغائب على الشاهد، استحالة الجمع بين عالم الطبيعة وما بعد الطبيعة، إبطال إمكان استحالة الطبائع إلا بأمر إلهي.

– الإقرار بالحقائق الدينية كما جاءت "ومن هنا كان دفاعه عن عقيدة السلف"و"مذهب أصحاب الحديث".

– لا سبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلا بتوسط اللفظ، ولا سبيل إلى نقل مقتضى اللفظ عن موضوعه الذي رتب للعبارة عنه، ومن هنا استحالة فصل الأفكار عن الحقائق الدينية على الخصوص سندها اللغوي [1].

– عجز العقل عن بلوغ الحقيقة الدينية بنفسه ما لم يلق مددا من الشريعة لأن الحق والباطل والحسن والقبيح "لا يمكن التعرف عليها خارج الدين وخارج السمع")1(.

– يعتمد فقيه قرطبة ابن حزم هته الأسس ويتخذها منطلقات منهجية في تناول الآراء الكلامية والفلسفية وسوف نرى كيف تنعكس على موقفه في تصنيف العلوم ،وكيف تجاوز بهذه الرؤية الكونية والمعرفية ،تصنيف العلوم عند اليونان، وفلاسفة الغرب وبعض المشارقة ؟

)1(المرجع نفسه ، ص 293.

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند ابن حزم

أولا: المؤلف الذي جاء فيه التصنيف

يخصص ابن حزم لتصنيف العلوم رسالتين: الأولى تسمى "رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق". [1] أما الثانية فعنوانها "رسالة مراتب العلوم" [2]. الرسالة الأولى رد على استفسار من أحد أصدقائه حول انقسام أهل عصر ابن حزم إلى قسمين: طائفة اهتمت "بعلوم الأوائل" وأخرى اتبعت "علم ما جاءت به النبوة" وحول ما هو وجه الحق في ذلك بغاية الاختصار؟

فيجيب ابن حزم "فسارعت إلى ذلك متأيدا بالله عز وجل لوجوب نصيحة الناس والسعي في استنقاذهم من الهلكة" [3] وهو بهذا يستشعر مسؤولية استنقاذ الناس من دروب الحيرة والتخبط وسط العلوم دون معرفة أيها أفيد لهم وهنا نقف على مغايرة ابن حزم للذين وضعوا التصانيف للعلوم من حيث أنه لا يحصي العلوم المشهورة في عصره بل ينتقي ويفحص فائدتها الدينية والدنيوية لمنفعة الناس.

---

[1] ابن حزم ،مراتب العلوم (ضمن رسائل ابن حزم) ، تح: إحسان عباس،ط2، ج4، 1987م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص28

[2] المصدر نفسه، ص 61 .

[3] سالم يفوت، تصنيف العلوم لدى ابن حزم، مرجع سابق ص61.

أما الرسالة الثانية "مراتب العلوم" فيبدأها "فأفضل العلوم ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود ووصل إلى الفوز في دار البقاء" [4]، وذلك هو علم الشريعة إذ حقيقة العلم ما ينفع في الدار العاجلة والآجلة، وليس معنى هذا أن العلوم الأخرى غير مفيدة بل كل علم منها له فضل في ذاته وفضل في أنه درجة تصل بصاحبها إلى إتقان العلم الأسمى.

ومن هنا يتعامل ابن حزم مع العلوم، لا من حيث هي علوم في ذاتها بل من حيث هي علوم يمكن أن تكون لها أولا تكون لها فائدة دينية، وهو أمر يصرح به في "رسالة التوقيف" أو في رسالة "مراتب العلوم".

ففي الرسالة الأولى يقدم عرضا لعلوم الأوائل وهي الفلسفة وحدود المنطق، علم المساحة، علم الهيئة، وعلم الطب، ووصفها بأنها علوم حسنة لأنها حسية برهانية وأنها نافعة وهي تحقق مصلحة دنيوية.

ثانيا:أساس التصنيف

يتعامل ابن حزم مع العلوم لا من حيث هي علوم في حد ذاتها بل من حيث هي علوم يمكن او لا يمكن أن تكون لها فائدة دينية وهو اعتقاد يصرح به في "رسالة التوقيف" أو في "رسالة مراتب العلوم"[1].

فأفضل العلوم لديه ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود ووصل إلى الفوز في دار البقاء.

إن المنظور الحزبي الذي يرفض التقليد الثنائي الذي درج عليه فلاسفة الإسلام بين الفلسفة والشريعة، بين العقل والنقل، بين علوم العقل وعلوم الشرع لقد تجاوزه، فالفلسفة ليست شيئا آخر سوى الدين والمقصود من تعلمها هو إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعد وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسه لا غير هو الغرض في الشريعة [2].

كانت الفلسفة قبل ابن حزم هي المحور الذي تدور في فلكه سائر العلوم فاستطاع أن يوحد الغاية من خلال تصنيفه في طلب الشريعة تصلح الجسد والنفس معا ولهذا فهي مقدمة على الفلسفة، فلا يمكن إصلاح أخلاق النفس بالفلسفة دون النبوة إذ طاعة غير الخالق عز وجل لا تلزم فتغيرت

---

[4] ابن حزم، المرجع السابق، ط2، ج4، ص 64.

[1] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم، المرجع نفسه، ص 73

[2] المرجع نفسه، ص 74

النظرة العلوم فأخت أبعادا دينية توحيدية، وحدة بين العلوم أساسها النص الديني والشرع لا الفلسفة والعقل وعلى هذا الأساس يتعامل مع كل العلوم بما فيها علوم الأوائل [3].

ابن حزم لم يحدد للفلسفة موضوعا خاصا تعمل فيه بل يجليها إلى وظيفة: إن عليها أن تؤيد ما جاء به الأنبياء من حقائق لا أن تدعي الوصول إلى الحقائق، عليها أن تؤكد ثوابت الفكر الديني وهذا هو

السر في أنه لم يوردها إطلاقا في "دراسة مراتب العلوم" وذكرها في "رسالة التوقيف" مقترنة بالمنطق[4]"وأعلم أن علوم الأوائل هي الفلسفة وحدود المنطق التي تكلم فيها أفلاطون وتلميذه أرسطوطاليس، الاسكندر ومن قفا قفوهم ،ومنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق" [5].

وقد تعامل مع المنطق بنفس الاعتبار فجعل من وظيفة المنطق اسمية وليست انطولوجية فهو يبحث في كيفية وقوع الأسماء على مسامياها داخل لغة ما لا إلى تعريف جميع الجهات وجميع الأمور التي

تسوق الذهن إلى أن ينقاد لحكم ما على الشيء أنه كذا أو ليس كذا كما يعتقد الفارابي [1].

لا يعتبر ابن حزم المنطق علما قائما لذاته بل له وظيفة بيانية تسعى إلى فهم بناء الخطاب الديني وطرق استنباط أحكامه من أجل الرد على المشغبة. ويتضح هذا المعنى جليا في قوله: "وطائفة حصلت على علم حدود المنطق فنقول لهم: إنك لم تحصلوا إلا على العلوم التي لا منفعة لها ولا فائدة إلا بتصريفها في سائر العلوم" [2].

وبنفس المنهجية والرؤية التوحيدية التي تعامل بها ابن حزم مع الفلسفة والمنطق تعامل مع باقي العلوم الأخرى، حينما يتحدث عن علم العدد والمساحة فهو ينظر إليهما من جانب المنفعة والفائدة الدينية مع الاقرار بأن لهذه العلوم منفعة دنيوية.

وإنما "إجهاد المرء نفسه فيما لا ينفع به إلا في هذه الدار من العلوم رأي فائل وسعي خاسر[3].

---

[3] المرجع نفسه، ص 75.

[4]ابن حزم ،"مراتب العلوم"، المصدر نفسه، ط2، ج4، ص 28.

[5]ابن حزم ،"رسالة التوقيف"(ضمن رسائل ابن حزم) ،المصدر نفسه، ص 131.

[1] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم،المرجع نفسه، ص 76

[2] ابن حزم ،"مراتب العلوم"،المصدر نفسه، ص 89.

[3]المصدر نفسه، ص63.

وهنا يتضح جليا أساس التصنيف عند ابن حزم الذي تجاوز به الأساس اليوناني المرتبط بالمادية والتغير ولاخاصية التجريد ،التي كانت أساسا لتفاضل العلوم ،كالفلسفة والرياضيات والإلهيات ولا خاصية البساطة والعموم ومقياسي التركيب المتزايد والعموم المتناقص ،ولا الترتيب في التبعية المنطقية ولا التسلسل الزمني، بل أساس تصنيف العلوم الضرورة الدينية وأفضلها ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود ووصل إلى الفوز في دار البقاء.

ثالثا: شكل التصنيف

يشرع ابن حزم في "رسالة مراتب العلوم" في بيان شكل التصنيف وأقسام العلوم وفروعها حيث يقول: "فالعلوم تنقسم أقساما سبعة عند كل أمة وفي كل زمان وفي كل مكان فهو علم شريعة كل أمة، فلا بد لكل أمة من معتقد ما، إما إثبات وإما إبطال ، وعلم أخباره وعلم لغتها، فالأمم تتمايز في هذه العلوم الثلاثة، والعلوم الأربعة الباقية تتفق عليها الأمم كلها وهي: علم النجوم، علم العدد والطب وهو معاناة الأجسام، وعلم الفلسفة ومعرفة الأشياء وعلى ماهي عليه من حدودها من أعلى الأجناس إلى الأشخاص ومعرفة الهبة" [1].

أولا: "العلوم المميزة لكل امة من الأمم"

وتشتمل على ثلاثة أنواع من العلوم هي:

1-علم الشريعة وهي لازمة لكل أمة.

2- علم الأخبار أي علم التاريخ.

3- علم الفلسفة.

ويتفرع كل علم من هذه العلومالثلاثة،أصنافا من العلوم تابعة لها ومرتبطة بها.

فعلوم الشريعة ويقصد بها ابن حزم الشريعة الإسلامية الحقة"وقد بينا أن كل شريعة سوى الإسلام فباطل" [2]وأن كل شريعة سواها باطلة ويدرج تحتها أربعة أنواع من العلوم وهي:

أ- علم القرآن: وينقسم إلى معرفة قراته ومعانيه.

ب- علم الحديث: وينقسم إلى معرفة متونة ومعرفة رواتة.

---

[1] ابن حزم ،" رسالة مراتب العلوم"، المصدر نفسه ،ج4، ص 78.

[2] المصدر نفسه، ص 78.

جـــ- علم السنة: وينقسم إلى أحكام القرآن، وأحكام الحديث، وما اجتمع المسلمون عليه وما اختلفوا فيه، ومعرفة وجود الدلالة وما صح منها وما لا يصح.

د- علم الكلام: وينقسم إلى معرفة مقالاتهم ومعرفة حججهم وما يصح فيها البرهان وما لا يصح[3]

القسم الثاني:

هو علم الأخبار فينقسم على مراتب أما على الممالك أو على السنين وإما على البلاد وإما على الطبقات أو منثورا، أي من دون ترتيب للأخبار حسب السنين أو حسب الممالك ويعتبر ابن حزم علم النسب من علم الخبر[4].

القسم الثالث:

علم اللغة والنحو وينقسم النحو إلى مسموعه القديم وعلله المحدثة.

ثانيا: "العلوم العامة لكل الأمم"

وهي تشتمل على أربعة أنواع من العلوم وهي:

1- علم النجوم:

وقد انتقد ابن حزم القائلين بالقضاء بالنجوم وذلك لتعريه من البرهان ومن فروعه علم الهيئة وغايته معرفة الأفلاك ومدارها وتقاطعها ومراكزها وأبعادها وله منفعة في الدنيا والآخرة. يقوا ابن حزم "ومنفعة هذا العلم إنما هو الوقوف على أحكام الصنعة، وعظيم حكمة الصانع، وقدرته وقصده واختياره، وهذه منفعة جليلة جدا لا سيما في الآجل[1]".

2- علم العدد:

وهو علم برهاني ومنفعته دنيوية فقط، يقول ابن حزم "وهو علم حسن برهاني إلا أن المنفعة به دنيوية فقط... وكل ما لا ينفع له إلا في الدنيا فهي منفعة قليلة وتحت لسرعة خروجنا من هذه الدار

ولامتناع البقاء فيها، وكل ما ينقضي فكأنه لم يكن[2]".

---

[3] المصدر نفسه، ص 79.

[4] المصدر نفسه، ص 80 .

[1] ابن حزم، "رسالة التوقيف"، مصدر سابق، ج4، ص 133.

[2] المصدر نفسه، ص 132.

وهو مرتبط بعلم المساحة ومنفعته كذلك دنيوية "وهو علم حسن برهاني وأصله معرفة نسبة الحظوظ والأشكال بعضها من بعض ومعرفة ذلك في شيئين: أحدهما فهم صفة هيئة الأملاك والأرض، والثاني رفع الأثقال والبناء وقسمة الأرضين ونحو ذلك إلى أن هذا القسم منفعته في الدنيا فقط" [3] ولا يعتقد أن ابن حزم قلل من شأن هذين العلمين فهو في "رسالة مراتب العلوم" يفصح عن مقاصده أكثر حيث يشير إلى ان التبحر في هذين العلمين يهدف التبحر فقط فمنفعته في الدنيا فقط وهي سريعة الانقطاع ويوضح إلى جانب فائدتهما الدنياوية هناك فائدة دينية فيما يتعلق بالعبادات والتوحيد، فبالنسبة للعبادات يرى أن حساب المواقيت شيء ضروري لأدائها على أحسن وجه "لا بد أن يعرف من الحساب ما يعرف به القبلة والزوال إلى أوقات الصلوات ولا يوقف على حقيقة ذلك إلا بمعرفة الهيئة، ولا يعرف حقيقة البرهان في ذلك إلا من وقف على حدود الكلام ولا بد أن يعرف من الحساب أيضا كيف قسمة المواريث والغنائم فإن تحقيق ذلك فرض لا بد منه"[4].

أما بالنسبة للعدد فيعطي المرء دلائل أخرى على وحدانية الله وخلقه العالم فالواحد أصل جميع الأعداد الأخرى التالية له "أكسيوم العدد " لأنها تتركب منه وتترتب عنه وكذلك الأمر بالنسبة لعلم الهيئة يقر بفائدته الدينية التوحيدية (الصانع) وفي المقابل ينزع كل فائدة من القضاء بالنجوم ولا يعتبره علما لأسباب توحيدية أيضا.

3- علم الطب:

وينقسم إلى قسمين:

أ- طب النفس: وهو من نتيجة علم المنطق وعلم الأخلاق.

ب- طب الأجسام: وينقسم إلى معرفة الطبائع الجسمية ومعرفة تركيب الأعضاء ومعرفة العلل وأسبابها وينقسم هذا النوع من الطب إلى قسمين:

* عمل اليد كالجبر والبط والكي والقطع.

* عمل في صرف قوى العلل بقوى الأدوية، وينقسم إلى:

- حفظ الصحة من المرض "الطب الوقائي".

---

[3] المصدر نفسه، ص 132.

[4] ابن حزم، "رسالة مراتب العلوم"،المصدر نفسه، ص 82.

- معاناة المرض "الطب العلاجي" [1]

4- علم الفلسفة وحدود المنطق:

وينقسم علم المنطق إلى عقلي وحسي، أما العقلي فإلهي وطبيعي وأما الحسي فطبيعي فقط [2]

وقد أثنى ابن حزم على هذا العلم فهو عنده علم حسن رفيع لأن فيه معرفة العالم كله بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاصه وجواهره وأعراضه.

وكذلك يمكننا من الوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به وكذلك التمييز بين ما يظن أنه برهان وليس برهانا ومنفعة هذا العلم في تمييز الحقائق من سواها.

وقد أشار ابن حزم إلى علمين آخرين يكونان نتيجة للعلوم السابقة إذا اجتمعت وهما: البلاغة وعلم العبارة أي علم تعبير الرؤيا وهو طبع في المعبر مع عون العلم عليه، ولا يقطع بصحته، بالإضافة إلى ذلك فهو يشير إلى علم الشعر الذي يقسمه إلى روايته ومعانيه ومحاسنه ومعايبه وأقسامه ووزنه ونظمه.

ويختم قوله: "فهذه الأفانين هي التي يطلق عليها في قديم الدهر وحديثه اسم العلم والعلوم وعند التحقيق وصحة النظر فكل ما علم فهو علم فيدخل في ذلك علم التجارة والخياطة والحياكة وتدبير السفن وفلاحة الأرض وتدبير الشجر ومعاناتها وغرسها والبناء وغير ذلك" [1]

ونلاحظ أن ابن حزم يفتح الباب واسعا لاستيعاب جميع العلوم والصنائع والحرف وما يمكن أن يظهر من صنعة أو فن يجد له مكانا في التصنيف الحزمي للعلوم القائم على خدمة الشريعة.

رسم توضيحي لـــ:تصنيف العلوم لدى ابن حزم

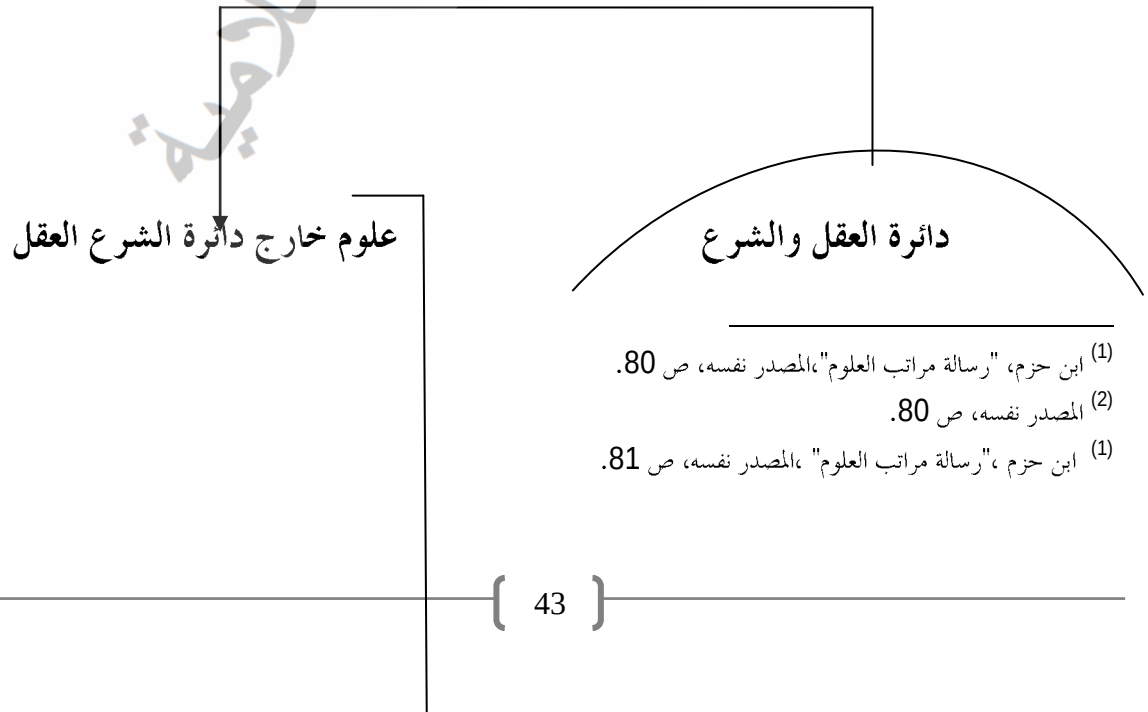

[1] ابن حزم، "رسالة مراتب العلوم"،المصدر نفسه، ص 80.

[2] المصدر نفسه، ص 80.

[1] ابن حزم ،"رسالة مراتب العلوم" ،المصدر نفسه، ص 81.

علم شريعة الإسلام	علوم سائر الأمم	مذمومة
1- علم القرآن	محمودة طالما اقتنعت بالشريعة	1- السحر
- علم الحد	1- علم الهيئة	2- الطلسمات
- علم الفقه	2- الرياضيات	3- الكيمياء
2- علم النحو	3- الفلسفة	4- الكواكب والقضاء
3- علم اللغة	4- الطب	بالنجوم
4- علم الأخبار	5- الشعر والخطابة وعلم العبارة	

رابعا: علاقات العلوم في النسق الحزمي

لقد أقام تصنيفه للعلوم على أساس التفرقة بين صنفين رئيسيين: صنف نافع محمود يدخل في داخل دائرة العقل والشرع، وصنف ضار مذموم خارج دائرة العقل والشرع.

أما الصنف المحمود فينقسم إلى قسمين ، قسم يختص بالشريعة الإسلامية وقسم مشترك بين سائر الأمم كما سبق ذكره، وهذان القسمان ليسا منفصلين عن بعضهما بل هما يمثلان وحدة متكاملة منتظمة في سبعة أنواع من العلوم هي: علم الشريعة، علم اللغة، علم الأخبار، علم النجوم، علم العدد، علم الطب، علم الفلسفة [1].

وكل علم في هذه العلوم يخدم بعضها بعضا في حلقة دائرية متوازية وفي نطاق العلاقة الدائرية للعلوم رتبت حسب تقاربها وتواصلها بعضها مع بعض وهو ما بدا واضحا عند ابن حزم في

[1] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 60.

تصدير العلوم الشرعية بالقرآن وعلومه والحديث وعلومه ثم إتباع ذلك بعلوم الفقه والأخبار وعلوم اللغة وكأنه يشير إلى توالد طبيعي بين العلوم حسب الحاجة الواقعية، إن التعداد للعلوم الذي أقره ابن حزم على نحو متدرج بهدف رسم برنامج تربوي للدارس يوصله في النهاية إلى إتقان علم الشريعة وهذا هو المنهج الإسلامي الذي وضعه ابن حزم عامدا لتحصين شخصية المسلم ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بإدراك المتعلم لحقيقة وحدة العلوم من أجل غاية واحدة وهي الفوز في دار البقاء، يقول ابن حزم "والعلوم التي ذكرنا يتعلق بعضها ببعض ولا يستغني منها علم عن غيره فأول ذلك أنا قد أبنا أن غرضنا من الكون في الدنيا والمطلوب بتعلم العلوم إنما هو تعلم علم ما أراد الله تعالى منا، وما به أخبر عنا ... وهو المعرفة بالشريعة والإعلان بها والعمل بموجبها" [2].

فأساس وحدتها وتكاملها كما يتجلى في هذا النص ليس لأنها تشكل مراحل او درجات للمرور إلى الحكمة بمعناها النظري الفلسفي المجرد، بل تضامرها من أجل تأكيد صحة الحكمة المتزلة وتعليم الناس إياها.

فعلوم الدين وعلم الدنيا تلتقي جميعا لخدمة غرض وغاية واحدة: الانتفاع بها في الدارين العاجلة والآجلة وهناك نقطة جديرة بالاهتمام ألا وهي أن ابن حزم لا يرى تفاضلا بين علوم الشريعة والعلوم الأخرى عندما تكونان مجتمعتين متضافرتين ويبدأ التفاضل في الظهور حينما يريد البعض الاشتغال بعلوم الدنيا دون علوم الدين آنئذ يصبح اشتغاله بها اشتغالا بعلوم دنيا وأقل منفعة [1].

أما الصنف الثاني: الضار المذموم (خارج دائرة العقل والشرع).

لقد استطاع ابن حزم تجاوز واقع التأليف ول يخضع كما خضع معظم مفكرو الإسلام فعدوا في العلوم أمورا لا ينطبق عليها اسم "العلم" الطلسمات والكيمياء (تحويل المعادن إلى ذهب) والسحر والشعوذة، لأنها تتعارض مع مبدئه الديني ونسقه الفلسفي، كما أنها كانت علوما من الماضي واختفت و لم يرغب في استعادتها "وقد طمس معرفة علمها" [2].

---

[2] "رسالة مراتب العلوم"،المصدر نفسه، ص 82.

[1] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم، مرجع سابق، ص 81.

[2] ابن حزم،" رسالة مراتب العلوم "، المصدر نفسه، ص 62.

وهنا ينبه ابن حزم في غير ما موضع واحد أن ليست كل علوم الدنيا قابلة لأن تكتسب قيمة إذا اجتمعت بعلوم الدين واقترنت بها فهناك علوم تتنافر تنافرا بنيويا والشريعة، فهي في خصومة مبدئية معها، أي أنها علوم مذمومة ولسنا معفون من دراستها، فدراستها لازمة للاطلاع على ترهات أصحابها، وهي علوم مذمومة لأنها تخرج عن ثابت من ثوابت الفكر الديني الإسلامي وهو ان الله خلق العالم أنواعا وطبائع تخضع لسنن ثابتو لا تتبدل إلا بأمره هو فالكون خاضع لسنن وشرائع إلهية ثابتة "وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل كطبيعة الإنسان بأن يكون ممكنا التصرف في العلوم والصناعات إن لم تعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغل بأنه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البر أن لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما في العالم" [3].

فالطبيعة هي مجموع الصفات الذاتية التي لا يمكن توهم زوالها فهي حتمية الظواهر مطردة الوقوع وهي قابلة للتفسير وفقا لتلك القوانين وهذا الموقف الاستيمولوجي عند ابن حزم يختلف عن موقف "ليبنتز" الذي يقول بحتمية الفعل الإلهي في مسايرة قوانين الطبيعة والتي وضعها بنفسه في فلسفة

الطبيعة والطبيعة الطابعة فابن حزم ينطلق من عقيدته إن الله **چ ۇ ۇ ۆ ۆ چ**[1] **چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ چ** [2].

ويعني هذا في نهاية الأمر أن للشرعيات مبادؤها وللطبيعيات والعقليات مبادؤها ولا يمكن الخلط بين المجالين فكل منهما يمثل بناءا "أكسيوميا" معرفيا خاصا يترتب الفصل بين الدين من جهة والفلسفة والعلم من جهة أخرى [3].

إن الفصل الذي يرمي إليه ابن حزم فصل منهجي يحدد مهام كلا من العقل والحس في تعاملهما مع مصدر الشريعة (الوحي) ومصدر القوانين (الطبيعة) لأن العقل عاجز عن كشف الحقيقة الإلهية كاملة. كما سبق التطرق إليه في مبادئ النسق الحزمي.

---

[3] ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، تح : محمد إبراهيم نصر ، عبد الرحمن عميرة، م5، دط، دت، دار الجيل ،بيروت، ص 16.

[1] سورة البروج، الآية 16

[2] سورة الأنبياء، الآية 23

[3] سالم يفوت، الفكر الفلسفي والأندلس، ط1، 1986، الدار البيضاء المغرب، ص 292

فعلاقات العلوم في الصنف الأول أساسها التكامل والانسجام متضافرة نحو خدمة الغاية الواحدة هي التوحيد، أما الصنف الثاني من العلوم فأساسه التنافر والتباعد لأنها لا تخدم الغاية.

خلاصة : تتجلى خصوصية تصنيف ابن حزم للعلوم في تجاوزه للطابع الثنائي التقابلي وهو طابع موروث من تقسيم أرسطو مع محاولة بعض فلاسفة الإسلام تكييفه لكي يستوعب علوم الشريعة منذ الكندي إلى الفارابي، وهذا التقسيم الشجري الثنائي التوفيقي بقي يتردد مع الفلاسفة التالين للكندي بما فيهم الغزالي نفسه لاسيما في "الرسالة اللدنية" والذي يبدو تصوره للعلوم قريبا جدا من تصور ابن حزم ،[4].

إن موقف ابن حزم يؤكد على وحدة العلوم من منظور شرعي وهو موقف ينسجم مع و **جهة نظره** في وحدة النص لا ظاهر ولا باطن لا فضيلة نظر ولا فضيلة **عمل** بل توجد أخلاق واحدة هي أخلاق القرآن والسنة [5].

إن أساس التصنيف عند ابن حزم وفلسفته تكمن في مدى اقتراب العلم الذي ندرسه من المنفعة والفائدة الشرعية الدينية التوحيدية التي تفضي إلى النجاة والفوز في دار الخلود .

[4] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم ، مرجع سابق، ص 84

[5] المرجع نفسه ، ص 85

الفصل الثـــاني :

ابن عبد البر و تصنيفه العلوم .

المبحث الأول : ترجمة ابن عبد البر .

المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لإبن عبد البر .

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن عبد البر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: ترجمة ابن عبد البر

أولا:مولده، نشأته، مؤلفاته :

لا يختلف المترجمون لابن عبد البر في اسمه فهو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي صاحب التصانيف الفائقة [1].

ولد في سنة (368 هـ) في شهر ربيع الأول وقيل: في جمادى الأولى فاختلفت الروايات في الشهر[2].

وقال فيه الحميدي: "أبو عمر فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف وبعلوم الحديث والرجال قديم السماع يميل في الفقه إلى أقوال الشافعي" [3].

وأخبر الحسن على بن أحمد العابدي أنه مات في سنة 460 هـ في شاطبة من بلاد الأندلس [4].

ومن مؤلفاته الغزيرة كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" وكتاب "الاستيعاب" وكتاب "جامع بيان العلم وفضله" وكتاب "الكافي" وكتاب "اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه" [5].

وكان ابن عبد البر قد ولد في السنة الأولى لقيام دولة العامريين ،واستمر يدرج في مدارج الصبا والشباب ،طالبا للعلم متنقلا في مرابعه لا يشغله أمر آخر بعيدا عن مجالس السياسة ، بخلاف أسرة ابن حزم الذي كان أبوه من وزراء المنصور وكان يحضر مجلس المنصور مع أبيه فتفتح ذهنه لممارسة العمل السياسي مبكرا [6].

---

[1] الذهبي، مرجع سابق، ج18، ص 153 .

[2] المرجع نفسه، ص 154.

[3] الحميدي، مرجع سابق، ص 367.

[4] المرجع نفسه، ص 396.

[5] المرجع نفسه، ص 368.

[6] ليث سعود حاسم، ابن عبد البر وجهوده في التاريخ، ط2، 1988م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 34 .

ثانيا: الحالة السياسية

كان عصر ابن عبد البر مليئا بالاضطرابات والأحداث السياسية ،فهي نفس الأحداث التي عاشها ابن حزم مع اختلاف موقع كل منهما، كان ابن حزم أقرب إلى الحياة السياسية بحكم وزارة والده. ولكن الاشتراك في الهم العام الذي أصاب المسلمين والتمزق العام للدولة الأندلسية ،فقد شاهد ابن عبد البر ،ذبول الخلافة الأموية واشتعال نار الفتنة البربرية ،كما شاهد أيضا قيام دويلات صغيرة مستقلة سميت في التاريخ الأندلسي بملوك الطوائف[1] .

ثالثا: الحالة الاجتماعية

كانت تركيبة المجتمع الأندلسي كما تم التطرق إليها مع ابن حزم متنوعة، فيها الأسر العربية وهم بنو هاشم أصحاب الأصول النبيلة، ثم يأتي أصحاب الطبقة الوسطى ،ويطلق عليهم اسم الأعيان ،وهم أغنياء الأحياء وكبار التجار، ثم الطبقة الدنيا أو العامة وتتكون من الحرفيين والعمال وتقريبا كلهم من البربر والموالي إلى جانب المتعربين من اليهود [2] .

رابعا: الحياة العلمية

كانت حياة الأندلس في هذه الفترة تشهد نهضة علمية أزكتها روح التنافس بين الحكام والأمراء وأخذت المدن تتنافس في العلم كقرطبة ،واشبيلية ،ودانية ،وبلنسية ،وسرقسطة ،واهتموا بجمع الكتب وتشييد المكتبات ،حتى بلغت مكتبة الحكم أربع مائة ألف كتاب، واستجلب من المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات المهمة في العلوم المختلفة .

وعموما لا تختلف الحياة السياسية والإجتماعية والعلمية للفترة التي عاشا فيها كل من : ابن حزم وابن عبد البر ،الفقيه الظاهري والفقيه المالكي، وعلى الرغم من اختلافهما في المذهب إلا أن الإلتقاءات العميقة بينهما في تصنيف العلوم سواء من حيث الأساس الذي يقوم عليه أو من حيث البناء الهيكلي متقاربة جدا كما سنرى لاحقا .

---

(1) سيد عبده بكر عثمان ، اجماعات ابن عبد البر دراسة فهمية مقارنة، ط 1، 2000م، ص 40

(2) المقري ، مرجع سابق ، م1، ص 153

المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي عند ابن عبد البر

لا يبتعد كثيرا ابن عبد البر في منطلقاته المعرفية عن معاصره ابن حزم إلا في أسلوب التعبير فالإتفاق حاصل في "حد" تصور "العلم" وأصناف المعارف وأساس اليقين ،فإذا كان ابن حزم قد اعتبر أساس اليقين أوائل الحس والبديهة وما نزله الشرع ،واعتبر كذلك بديهيات العقل ضرورات أوقعها الله في النفس وأن مصدر الخطأ يكمن في الابتعاد عن ضرورات الحس والبديهة ،فإن ابن عبد البر يقول نفس الشيء رغم الاختلاف المظهري للمواقف الأصولية والفقهية لكل منهما [1] ومن هذه المنطلقات التي يرتكز عليها نظامه الفكري ما يلي:

أولا:معرفة الله :

يعتقد ابن عبد البر أن معرفة الله وعظمته أصل العلم ... عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبا المنذر أي آية معك في كتاب الله أعظم؟ (مرتين) قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري وقال: "لهنيك بالعلم أبا منذر" [2] ، ثم بين مصادر المعرفة في العلوم الشرعية والتي ليس لأهل الفلسفة شيء منها لأنها أمور لا تدرك بالمشاهدة ولا بالحواس وقد نقلها ابن عبد البر في مجمل قول الإمام الشافعي: " ليس لأحد أن يقول في شيء: حلال ولا حرام إلا من جهة العلم وجهة العلم: ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو القياس على هذه الأصول ما في معناه" [3] .

ثانيا: البداهة والوضوح :

---

[1] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم، مرجع سابق، ص 88، 98

[2] الحديث صحيح رواه مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (810) ، ج1، بيروت ،ص 556

[3] ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ج2 ،دار الفكر ، ص 34 .

ومن المنطلقات أيضا قاعدة البداهة والوضوح ،حيث يقسم المعارف إلى قسمين: ضروري ومكتسب، فحد الضروري ما لا يمكن العالم أن يشكك فيه نفسه ،ولا يدخل فيه على نفسه شبهة

ويقع له العلم بذلك قبل الفكر والنظر [1] .

وهنا سبق ابن عبد البر فلاسفة النهضة الأوروبية بقرون إلى هذه الصفات للمعرفة العلمية من أمثال ،ديكارت الفيلسوف الفرنسي الرياضي ،الذي عبر عنها بقوله: "ألا أقبل شيئا على أنه حق ما لم أعرف يقينا أنه كذلك ... وأن لا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في تميز"[2].

ثم يفصل في حد الضروري ، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل ،ولا يعتبر معطيات الحس خادعة كما يعتقد ديكارت ،فالعقل عنده يشتغل على مبدأ عدم التناقض ،كالعلم باستحالة الشيء متحركا ساكنا أو قائما قاعدا في حال واحدة ،ووجه آخر للعلم الضروري أنه يقع من جهة الحواس الخمس كذوق الشيء، يعلم به المرارة والحلاوة ،إذا سلمت الجارحة من آفة ،وكرؤية الشيء يعلم بها الألوان والأجسام ،وكذلك السمع يدرك به الأصوات[3].

وهنا يبرز ابن عبد البر ،في قسم العلم الضروري، علم المحسوسات أو علم الطبيعة ،والتي اعتبرها ابن حزم طبائع خلقها الله في الأشياء لا تقبل التبديل ولا التغيير.

ومن الضروري أيضا علم الناس ،أن في الدنيا مكة والهند، ومصر والصين وبلدانا عرفوها و أمما قد خلت .

---

[1] ابن عبد البر ،المصدر نفسه، ص: 46.

[2] ديكارت، مقالة في المنهج، تر: محمد محمود الخضيري، ط3، 1985م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص:2.

[3] ابن عبد البر، المصدر نفسه، ص: 46.

ثالثا: الاستدلال والنظر:

وكل ما علم عن طريق الاستدلال والنظر فهو علم مكتسب ومنه الخفي والجلي فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى وما بعد منها كان أخفى [1] ثم تقسيم المعلومات إلى حزبين: شاهد وغائب فالشاهد ما علم ضرورة والغائب ما علم بدلالته من الشاهد[2].

والمتأمل في المنطلقات التي اعتمدها ابن عبد البر في إقامة نسقه المعرفي، وضبط مصادر المعرفة عنده والتي يبدؤها بالوحي ثم العقل والحواس، في علاقة انسجام وتكامل فعلوم الشريعة لا يجوز لأحد الكلام فيها بغير ما أزله الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم ،نصا ،وهي في العلوم الضرورية التي تأتينا عن طريق معرفة الخبر الذي يقطع العذر لتواتره وظهوره [3]، والحدس العقلي يختص بالعلوم النظرية (العلم الأوسط) كالحساب والهندسة ،والحدس الحسي منوط بالمحسوسات في عالم الطبيعة وهذا التقسيم لمصادر المعرفة ليس على سبيل التنافر والمضادة بحيث تكون العلوم العقلية منفصلة تماما على العلوم الشرعية أو الحسية منفصلة عن العلوم العقلية فالعلم الأعلى عنده ناتج عن الضرورة العقلية التي ندرك بها وحدانية المعبود وصدق النبوة [4]وكذلك الاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريته على توحيده وأزليته سبحانه [5].

إن هذه المرتكزات الفكرية والمنهجية سوف تنعكس على مستوى الهيكل التصنيفي للعلوم عند ابن عبد البر كما سنلاحظ في المبحث الموالي .

---

(1) ابن عبد البر ،المصدر نفسه، ص: 46

(2) المصدر نفسه، ص: 46.

(3) المصدر نفسه، ص: 49.

(4) المصدر نفسه، ص: 49.

(5) المصدر نفسه، ص: 49

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن عبد البر

أولا:المؤلف الذي جاء فيه التصنيف

يخصص ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله" بابا تحت عنوان: (العبارة عن حدود علم الديانات، وسائر العلوم المنتحلات) ، (عند جميع أهل المقالات) [1]

بين فيه آداب التعلم وطلب العلم والتعليم ونشر العلم ،وعرض رأيه في أصل العلم وحقيقته ومنابع المعرفة وصحتها ،ومراتب العلوم وقيمتها، وقدم عرضا يستنبط منه الباحث المدقق نظرية متكاملة عن العلم والمعرفة ،وفيه نجد وجهة النظر الإسلامية في مقابل الآراء الفلسفية التي كانت معروفة في ذلك العصر.

يقول :"وحد العلم عند العلماء المتكلمين في هذا المعنى هو ما استيقنته وتبينته وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه" [2] ومن خلال هذا النص يؤسس ابن عبد البر لفكرة البداهة والوضوح التي ستصبح قاعدة من قواعد المنهج عند ديكارت فيما بعد .

وقد رفض ابن عبد البر التقليد واعتبره ليس من العلم ، والتقليد عند جماعة العلماء ،غير الإتباع لأن الإتباع يكون على بينة وصحة المذهب ،أما التقليد ان تقول بقوله وأنت لا تعرفه ،ويطرح في هذا الكتاب مسألة الجدوى من العلوم من منظور أصولي فقهي ،حيث يقول :"سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس؟ فقال :لا ولكن يطلب من المرء ما ينتفع به في دينه" [3].

---

[1] ابن عبد البر، مصدر سابق، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص 45.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص 11.

وهو يبرز أهمية العلم ،ووضعه في مرتبة واحدة والجهاد ،كما يناقش الحديث النبوي القائل :"لا حسد إلا في اثنتين، رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[4].

كما يورد قولا لمالك ،رواية عن ابن وهب مفاده أن "الحكمة هي الفقه في دين الله" [5]، ويعقد في الجزء الثاني من الكتاب فصلا: بعنوان "الخبر عن العلم أنه يقود إلى الله عز وجل على كل حال" [6].

يثبت فيه أن العلم لو طلب لأغراض غير دينية فإنه يجر متعاطيه إلى الإقتناع أكثر بالحقائق الدينية[1]، قال حدثنا الربيع بن صبيح قال سمعت الحسن يقول: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة[2]، وقال حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله .

ثانيا: شكل التصنيف :

تنقسم العلوم عند الإمام يوسف بن عبد البر بناء على اعتبارين هما: العلوم عند أهل الديانات والعلوم عند الفلاسفة حيث يقول :

أ-"العلوم عند جميع أهل الديانات:

ثلاثة: علم أعلى، وعلم أسفل، وعلم أوسط".

1- فالعلم الأعلى عندهم علم الدين الذي لا يجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصا .

2- والعلم الأوسط هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويتبدل عليه بجنسه ونوعه كعلم الطب والهندسة.

---

[4] حديث متفق عليه رواه البخاري ،كتاب العلم ، باب الإغتباط في العلم والحكمة (73) ، م1، ط3 ،المؤلف :محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تح: مصطفى ديب البغا ، الناشر دار ابن كثير ، 1407ه-1987 م، بيروت، ص39

[5] ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج1، ص 21.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص 27.

[1] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم،مرجع سابق، ص 86.

[2] ابن عبد البر ، المصدر السابق، ج2، ص 27.

3- والعلم الأسفل هو أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والزي والتزويق والخط وما أشبه ذلك من الأعمال التي هي أكثر من ان يجمعها كتاب أو يأتي عليها وصف وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها"[3].

ب- العلوم عند أهل الفلسفة:

وهو نظير التقسيم السابق كما قال ابن عبد البر: "وهذا التقسيم في العلوم كذلك هو عند أهل الفلسفة" [4] أي على ثلاثة أنواع:

1-"إلا أن العلم الأعلى عندهم: هو علم القياس في العلوم العلوية التي ترتفع عن الطبيعة والفلك، الكلام في حدوث العالم وزمانه، والتشبيه ونفيه وأمور لا يدرك شيء منها بالمشاهدة ولا بالحواس وقد

أغنت عن الكلام فيها كتب الله الناطقة بالحق المترلة بالصدق..." [1].

2- "والعلم الأوسط ينقسم عندهم على أربعة أقسام كانت عندهم رؤوس العلوم وهي علم الحساب، علم التنجيم، والطب وعلم الموسيقى" [2].

3- "والأسفل عندهم على ما ذكرنا من أهل الأديان" [3].

يقصد بالأحكام الصناعات وضروب الأعمال.

والملاحظ ان ابن عبد البر لم يعرض الهيكل التنظيمي للعلوم على سبيل الرصد فقط، بل قوم العلوم السائدة في زمانه بحسب منفعتها وفائدتها الدينية، وقد ذكر بعض الموضوعات التي تبعتها تلك العلوم مثل "العلم الأعلى" عند الفلاسفة وهو علم القياس في العلوم العلوية كحدوث العالم وزمانه. فقال عنها أنها أمور لا يدرك شيء منها بالمشاهدة ولا بالحواس، وهنا إشارة إلى رفضه لهذا النوع من العلم، فليست حقائق هذه العلوم من المعلومات الثابتة بالضرورة العقلية ولا هي

---

[3] المصدر نفسه، ص 46.

[4] المصدر نفسه، ص 46.

[1] ابن عبد البر، المصدر نفسه، ص 46.

[2] المصدر نفسه، ص 47.

[3] المصدر نفسه، ص 47.

ثابتة بالمشاهدة أو بالحواس وهي ليست موافقة لما ثبت بالوحي فأصولها لا تصلح بحال ،"ويغني عن الكلام فيها كتب الله الناطقة بالحق، المترلة بالصدق" [4].

وهكذا لا يقبل ابن عبد البر أن تناقش الإلهيات والعلوم العلوية بطريقة القياس الفلسفي.

وأما العلوم المتفرعة عن العلم الأوسط وهي أربعة: الحساب، التنجيم، الطب والموسيقى فيعرض كل واحدة منها على حدة "فأما علم الموسيقى واللهو فمطرح ومنبوذ عند جميع أهل الأديان على شرائط العلم والإيمان" [1]، "وأما الحساب فالصحيح عندهم منه معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور ومعرفة جمل الأعداد ومعنى الخط والدائرة والنقطة وإخراج الأشكال بعضها من بعض وما شاكل ذلك، والحساب علم لا يكاد يستغني عنه ذو علم من العلوم" [6].

وهنا يؤكد ابن عبد البر إلى أهمية الحساب والرياضيات بالنسبة للعلوم الأخرى واعتمادها عليها بشكل واسع .

وتحدث عن التنجيم وهو علم الفلك في زمانهم ،كما يبدو من كلامه "وأما التنجيم فثمرته وفائدته عند جميع أهل الأديان جرية الفلك ،ومسير الدراري ،ومطالع البروج ،ومعرفة ساعة الليل والنهار، وقوس الليل من قوس النهار في كل بلد وفي كل يوم ،وبعد كل بلد من خط الاستواء" [1].

ثم أضاف منكرا ما خالط هذا العلم من إدعاء علم الغيب ومعرفة عمر الدنيا وما فعله المتخرصون بالتنجيم والقيافة والزجر وخطوط الكف وما شابه ذلك من خزعبلات، إلا أن يكون نبيا خصه الله بما لا يجوز إدراكه .

"وأما الطب ،فلفهم طبائع نبات الأرض وشجرها ومياهها ومعادنها وجواهرها وطعومها وروائحها ومعرفة العناصر والأركان وخواص الحيوان وطبائع الأبدان والغرائز والأعضاء والآفات العارضة وطبائع الأزمان والبلدان ومنافع الحركة والسكون وضروب المداواة والرفق والسياسة" [2].

---

[4] المصدر نفسه، ص 46.

[5] المصدر نفسه، ص 47.

[6] المصدر نفسه، ص 47.

[1] ابن عبد البر، المصدر نفسه، ص 47.

[2] المصدر نفسه، ص 49.

والملاحظ جليا أن علم الطب مختلط بعلوم شتى كالبيولوجيا، الفيزيولوجيا، وعلوم الفيزياء والكيمياء، وعلم الحيوان والنبات والأدوية والاستطباب، علم الاجتماع، وعلم السياسة.

وإن كان هذا التصنيف تعوزه الدقة في الفروع إلا أنه ينم على سعة إطلاع ابن عبد البر على علوم عصره ،واتفق أهل الأديان أن العلم الأعلى هو علم الدين.

واتفق أهل الإسلام أن الدين تكون معرفته على ثلاثة أقسام:

1- معرفة خاصة الإيمان والإسلام، وذلك بمعرفة التوحيد والإخلاص.

2- معرفة مخرج خبر الدين وشرائعه، وذلك بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم.

3- معرفة السنن واجبها وأدبها ،وعلم الأحكام [3].

رسم توضيحي لـــ: تصنيف العلوم لدى ابن عبد البر.

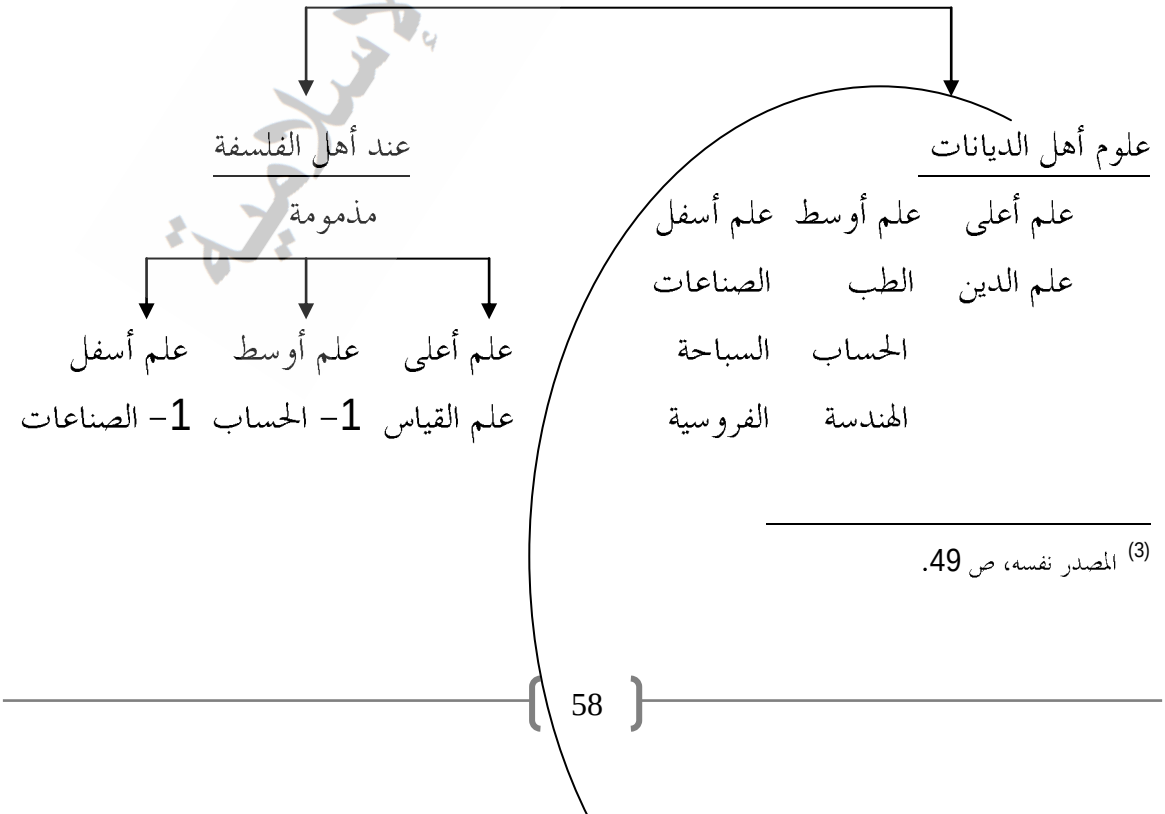

[3] المصدر نفسه، ص 49.

الهيئة والتنجيم	في العلوم العلوية	2- التنجيم 3- الطب 4- الموسيقى	2- الشعر

عند أهل الإسلام

1-علم الدين

2- التوحيد

3- التاريخ- الأخبار

4- الفقه

ثالثا:أساس التصنيف :

لا يختلف أساس التصنيف عند ابن عبد البر على ابن حزم فهو يتساءل عن جدوى العلوم والتي كما يفهمها تتمثل في بعدين:

1- بعد ديني- فلسفي- اعتقادي، وهو أن العلم يقود إلى الإيمان ويقدم شواهد على اثبات الوحدانية والخلق والنبوة [1].

2- وبعد ديني- منفعي- يتمثل في ضرورة الاهتمام بالعلوم التي تنفع وتكمل الدين استنادا إلى الحديث النبوي القائل: "العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل:" آية محكمة وسنة قائمة، وفريضة عادلة [2] وهو حديث جاء به بعد "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال وما هذا؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة، قال: وما العلامة، قالوا

[1] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم، مرجع سابق، ص 86.

[2] ابن عبد البر، المصدر نفسه ،ج2، ص 29.

أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بعربية، وأعلم الناس بشعر، وأعلم الناس بما اختلف فيه العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر" [3].

وعلى الرغم من أن ابن حزم يعتبر معرفة الأنساب جزءا من علم الخبر ومكملا للدين باعتبار أنه لا بد "من المعرفة بالنسب بما يدري المرء من تجوز فيهم الإمامة ممن لا تجوز فيهم ومن هم الأنصار الذين أمرنا بالإحسان إلى محسنهم والتجاوز عن مسيئهم..." [4]ونلاحظ أن ابن حزم هنا يوجه وظيفة علم الأنساب إلى خدمة أمور الدين ،أما التفاخر بالأنساب فعلم مذموم وهو موقف ،لا يبتعد عن موقف ابن عبد البر .

والملاحظ عموما أن ابن عبد البر تجاوز التقسيم الثنائي المعتمد في كل تصور لأصناف العلوم وهو الإبقاء على التصنيف الإرسطوطاليسي كما هو، واستحداث مركب آخر يقابله كعلوم الدين وعلم الدنيا أو علوم الأوائل وعلوم المسلمين أو العقلية النقلية ،إن ابن عبد البر اطرح العلم الأعلى عند أهل الفلسفة واستبعده ووضع مكانه ما جاء في الكتب الناطقة بالحق [1].

رابعا : علاقات العلوم في نسق ابن عبد البر

لم يصرح ابن عبد البر بعلاقات العلوم مثل ما فعل ابن حزم بقوله : "والعلوم التي ذكرنا متعلقة بعضها ببعض" [1].

إلا ان القراءة المتأنية تكشف لنا تماسك هيكله التصنيفي للعلوم حيث يقسم العلوم إلى قسمين: محمودة، ومذمومة .

1- أما العلوم المحمودة فهي تدخل في دائرة الشرع والعقل فعلم الدين، والطب، والحساب، والهندسة، والهيئة والتنجيم والصناعات والسباحة والفروسية متعلقة بعضها ببعض ،ويتكون العلم الأعلى عند أهل الريانات من معرفة الإيمان والإسلام أو علم التوحيد ثم معرفة مخرج خبر الدين

---

[3] رواه سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب : تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ، كتاب الفرائض، باب ما جاء في تعليم الفرائض(2885) م2 دار الفكر، بيروت، لبنان، ص 133.

[4] ابن حزم،" رسالة مراتب العلوم "، مصدر سابق، ص 82 .

[5] المصدر نفسه، ج4، ص 12.

[1] ابن حزم، رسالة مراتب العلوم،المصدر نفسه ، ص 82.

وأخبار النبي والصحابة ومعرفة الحديث أو علم التاريخ والأخبار وأخيرا معرفة السنن والأحكام والفرائض أو الفقه ،والملاحظ أنه لا يقبل من علوم أهل الفلسفة إلا التي تخدم الدين [2].

2- أما العلوم المذمومة فهي خارج دائرة الشرع والعقل فهو يرفض علم القياس في العلوم العلوية (االميتافيزيقا) التي لا يدرك شيء منها لا بالمشاهدة ولا بالحواس ولأنها تنشد حقائق ليس لها من طريق آخر سوى التنزيل والنبوة ولا يوصل إلى علم ذلك إلا بالنبي (ص) فهو المؤدي عن الله والمبين لمراده بما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته من بريته على توحيده وأزليته، ونبذ الموسيقى لأنها تبعث على اللهو، كما نلاحظ أنه في العلم الأسفل عند أهل الديانات لا يذكر الشعر بينما يذكره عند أهل الفلسفة والراجح انه ينبذه على إطلاقه ولا يبيح إلا الأشعار التي تحث على الإيمان.

ورفض أيضا ،كل ما شاب علم التنجيم ،من ادعاءات المتخرصين بمعرفة عمر الدنيا والزجر وخطوط الكف وملك الجن وغيرها... وهذا الرفض قائم على أساس شرائط العلم والإيمان .

والخلاصة أن ابن عبد البر يتفق تماما في تصوره العقدي والمنهجي مع التصور الإسلامي الأصيل، فعلاقات العلوم المحمودة أساسها الانسجام والتكامل ،متعاونة نحو خدمة الغاية الواحدة وهي التوحيد والإخلاص، أما علاقات العلوم المذمومة التنافر والتباعد فيما بينها وبين العلوم المحمودة لأنها لا تخدم الغاية العظمى .

قال: "حدثنا عبد الرزاق هم معمر قال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون الله" [1].

خلاصة : يتطابق ابن عبد البر وابن حزم في النظرة الدينية التوحيدية للعلوم فمدار العلوم المختلفة هي الحكمة الدينية وليست الفلسفية، فالعلوم التي لا تنسجم مع الحقيقة الدينية تخرج من نسقها المعرفي (العلمي)،وتتضافر كل العلوم الشرعية والعقلية من أجل معرفة الله والفوز في دار الحق (البقاء).

و أساس التصنيف لكل منهما المنفعة الدينية (معيار الشرع)، ولا تفاضل بين العلوم إلا بقدر الإقتراب أو الابتعاد عن هذا الأساس .

---

[2] سالم يفوت، تصنيف العلوم عند ابن حزم، المرجع نفسه، ص 88.

[1] ابن عبد البر، مصدر سابق ، ج2، ص 28.

وبالنظر إلى هذه النتائج فإن كلا المفكرين يعتبران حلقة فاصلة في فن تصنيف العلوم ،متجاوزة لكل المحاولات السابقة، لوضوحها في التأصيل لمبدإ العلوم وفلسفة العلوم من منظور شرعي، لا يشوبه مزج ولا خلط بين التصورات الوافدة سواء من اليونان أو غيرهم من التصانيف .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : ابن تومرت و تصنيفه للعلوم .

المبحث الأول : ترجمة ابن تومرت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: ترجمة ابن تومرت

أولا:اسمه، نشأته، شهرته :

* ابن تومرت: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي، ولد سنة (485 هـــــ، 1092 م) في قبيلته هرغة من قبائل جبل السوس في المغرب ورحل إلى المشرق طلبا للعلم. وتوفي في تنمل بجبال الأطلس المغربية سنة (524 ه، 1130 م) من دعاة الإصلاح النابذين لكل تقليد لأي إمام مجتهد، له كتاب (العقيدة) في التوحيد، و(كتر العلوم)، و(أعز ما يطلب) [1].

[1] محمود يعقوبي، معجم الفلسفة، الجزء الثاني، التراجم، مكتبة الشركة الجزائرية، ص 278.

لم يكن اسم "محمد" الذي ينسب إلى ابن تومرت محل اختلاف بين المؤرخين الذين ترجموا له، وقد ذهب ابن أبي دينار في الأمر إلى صيغة التأكيد بأن ذلك هو الشيء الذي اتفق عليه المؤرخون، حيث يقول: "ذكر المؤرخون أن المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان ..." [2]، وقد ذهب "برفنسال" من الباحثين المحدثين إلى أن ابن تومرت "كان يتسمى باسم بربري بحت لم يستبدل به اسم محمد إلا في وقت متأخر تيمنا باسم الرسول (ص) وقد أراد أن يتأسى به في كل أعماله" [3].

وذكر ابن القطان أنه كان يلقب في صغره حينما يقرأ الكتب "بأسفو"، "ومعنى أسفو بالبربرية الضياء لملازمة إيقاده القنديل في المسجد للقراءة والصلاة" [4].

*ويتفق المؤرخون على أنه ينتسب إلى قبيلة "هرغة" وهي بطن من بطون القبيلة البربرية الكبرى "مصمودة" [5].

-ويورد ابن خلدون نسبه في كتابه: "العبر" وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت، وأنه محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام ... وصولا الى الحسن بن علي بن أبي طالب [6].

ولقد اشتهر بلقب المهدي، حينما أظهر المهدية وبايعه بها الناس وأطلق عليه حينئذ لقب الإمام

واستعمل أتباعه ومناصروه في تآليفهم ورسائلهم صيغة "الإمام المعصوم المهدي المعلوم" [1].

وللإلمام أكثر بشخصية ابن تومرت يستلزم معرفة الواقع الذي كان مسرحا لها ،والكشف عن العناصر المتشابكة في ذلك الواقع، وبيان حقيقة الوضع في صوره المختلفة، وخاصة أن المهدي كان قد عاش واقعه بعمق، وتفاعل معه تفاعلا شمل كل الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية .

---

[2] عبد المجيد النجار،المهدي بن تومرت،حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب،ط1، 1983م، دار المغرب الاسلامي،ص23

[3] المرجع نفسه، ص 23.

[4] ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون، تح : خليل شحادة، م6، 2001م، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ص 640.

[5] المصدر نفسه، ص 685.

[6] المصدر نفسه، م6، ص 640.

[1] ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عبد الغني أبو العزم، دط، دت، مؤسسة الغني للنشر، مراكش، ص 22.

ثانيا: الوضع السياسي :

1- كانت تحكم المغرب أوائل القرن السادس دولة المرابطين التي تأسست سنة (448 ه) وشمل نفوذها كامل المغرب الأقصى والأندلس، واستمرت دولة قائمة إلى أن أطاح بها نهائيا الموحدون سنة (541 ه) [2].

2- وقبل قيام دولة الموحدين كانت المغرب تعيش فوضى سياسية بالغة بحيث كان كل شخص منهم يتولى أموره بنفسه، وكانت هذه الفوضى السياسية تتغذى بانحراف عقدي يصح بحق وصفه بالردة عن المد الاسلامي [3].

3- كانت تحكم المغرب أوائل القرن الخامس أربع طوائف تشبه الدويلات:

*في الشمال قبائل غمارة وهي فرع من قبيلة مصمودة، وظهر فيها دجالون خالفوا تعاليم الاسلام عقيدة وشريعة [4].

* وفي الساحل الغربي قبيلة برغواطة التي أسست دولة منذ القرن الثاني للهجرة وشرع مؤسسها طريف بن شمعون ديانة، وهي أمشاج من تعاليم الاسلام ومبادئ يهودية وعادات بربرية قديمة [5].

* وفي الوسط قبائل زناتة التي كانت تمثل القوة الشرعية الحاكمة والاسلام الصحيح بعد دولةالأدارسة، وفي الجنوب أقليات مبعثرة من الشيعة الرافضة ومن الوثنيين الذين كانوا يسكنون الجبال الوعرة بنواحي الأطلسي [6].

4- لقد استطاع يوسف بن تاشفين أن يوحد المغرب والأندلس سياسيا، وأن يجعل تلك الوحدة السياسية قائمة على وحدة عقدية مذهبية، وأن يحي النزعة الجهادية ضد الزائغين عن الاسلام، وإعطاء الفقهاء والعلماء النفوذ البالغ في مجال القضاء، ولا يبت في أمر إلا بحضور أربعة من الفقهاء، وربما هذا النفوذ الزائد للفقهاء وسطوته م أدى إلى نتائج سياسية واجتماعية عجلت بسقوطها وانقراضها و لم تدم إلا قرنا واحدا [1].

---

[2] عبد المجيد النجار، تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط2، 1995م، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ص 14.

[3] المرجع نفسه، ص44.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، م6، ص 630.

[5] عبد المجيد النجار، تجربة الاصلاح، المرجع نفسه، ص45.

[6] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دط، دت، دار النهضة العربية، بيروت، ص 295.

[1] عبد المجيد النجار،تجربة الإصلاح ، المرجع نفسه، ص 48.

ثالثا: الوضع الاجتماعي :

انقسم مجتمع دولة المرابطين إلى طبقتين، طبقة الفقهاء محظوظة استأثرت إلى جانب الوجاهة بوافر المكاسب والأموال، وطبقة عامة الناس الذين فتر إيمانهم وضعفت عبادتهم ،ومالوا إلى مظاهر الخلاعة والمجون التي كانت متفشية بمدن الأندلس ،وامتدت عدواها إلى مدن المغرب فكثرت مظاهر الفساد[2]،ومما تقدم يظهر أن الوازع الديني لم يتغلغل في الحياة الاجتماعية وإن كان الأمراء المرابطون على جانب وفير من التقى والورع والتزهد ،فإن هذه الصفات لم يستطيعوا أن يجعلوا منها واقعا في القاعدة الشعبية.

رابعا: الوضع الثقافي والعلمي :

1- لم يعرف المغرب تنوعا مذهبيا في الفكر العقدي والشرعي مثل ما عرفه المشرق، غير أن المد الشيعي والاعتزالي قد وصل إلى شمال المغرب، ولكن لم يكن لهما تأثيرا يذكر في عقيدة عامة الأمة [3].

2- ما تلقاه المغرب بالقبول وظل به راسخا وشاملا على مر الأيام هو مذهب السلف في العقيدة ومذهب مالك في الفقه [4].

3- كان الفكر الفلسفي يلاقي بالمغرب من النكير والرفض والمقاومة أكثر مما كان يلاقيه اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل أحدهم في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان [5].

المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لابن تومرت

لقد خط ابن تومرت نسقا معرفيا واضح المقدمات، بين المعالم، يترقى به السائل إلى ما لا نهاية له من حقائق علم الشريعة، ودقائق علم الطبيعة، وأول هذه المقدمات والأصول ،هي :

أولا: معرفة الله :

---

[2] المرجع نفسه، ص 49.

[3] المرجع نفسه، ص 50

[4] المرجع نفسه، ص 51

[5] المقري، نفخ الطيب، م1، ص 221.

والأصل في ذلك أن :أصل العلم ومقصوده والمراد منه، هو علم التوحيد الخالص [1] وهو معرفة الله عز وجل وتمييز الخالق من الخلائق، ذلك هو الدين القيم والصراط المستقيم، قال الله تعالى: چ ڃ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ چ [2]، "ولا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود، ثم العلم بالرسل، والعلم بما جاء به الرسل، فأما العلم بالله فطريقة العقل بشهادة الأفعال من وجه افتقار الفعل إلى الفاعل، وأما العلم بالرسل فبظهور المعجزة، وأما العلم بما جاءت به الرسل، فبثبوت الرسالة بصدق الرسول، وصدق الرسول بظهور المعجزة بإذن الله سبحانه وبضرورة العقل بعلم الباري سبحانه" [3].

ثانيا:وسائل المعرفة :

وقد عد ابن تومرت وسائل المعرفة (العلم) في ثلاثة أقسام: العقل، الحس، السمع.

أ- ضرورة العقل :

وبه يعلم وجود الله، والضرورة ما لا يتطرق إليه الشك ولا يمكن لعاقل دفعه وتعتبر هذه الضرورة على ثلاثة أقسام:

1-واجب الوجود (الله).

2- جائز (ممكن) الوجود (المخلوقات).

3- مستحيل الوجود[4] (الشريك).

فالواجب ما لا بد من كونه، كافتقار الفعل إلى الفاعل، والمستحيل ما لا يمكن كونه كجامع بين الضدين، والجائز (الممكن) يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون كجميع المخلوقات وهذه الضرورات الثلاث مستقرة في نفوس العقلاء[1]. بأن الفعل لا بد له من فاعل وأن الفاعل ليس في وجوده شك، ولذلك نبه الله تعالى في كتابه چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ[2] .

ثم بين ابن تومرت في فصل خاص حد العقول بقوله "وللعقول حد تقف عنده لا تتعداه وهو العجز عن التكييف، ليس لها وراءه مجال وملتمس عرفه العارفون بأفعاله ونفوا التكييف عن

---

(1) ابن تومرت، كتر العلوم، تح: أيمن عبد الجابر البحيري، ط، 999، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص 4.

(2) سورة الذاريات، الآية: 56.

(3) ابن تومرت،أعز ما يطلب، مصدر سابق، ص 20.

(4)المصدر نفسه، ص 23.

(1)ابن تومرت، المصدر نفسه، ص 23

(2)سورة ابراهيم، الآية: 10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جلاله، وعمد ابن تومرت في هذا الفصل إلى تحديد مجالات العقل كما فعل "إيمانويل كانت" بعده ، حيث وضع وحدة منهجية للطبيعة.

إذ ليس واردا في الواقع ، القول إن العقل يسن القوانين بخصوص مادة الظاهرات [3] وكذلك وضع وحدة منهجية في فهم عالم الميتافيزيقا، وفي مجال آخر فهم ملكة الحكم. أي عالم الذوق والجمال (دور المخيلة). فالعقل عند ابن تومرت يعرف بوجود الله ولا يستطيع الإحاطة به، ويعرف حقائق عالم الشريعة وكيف جاءت في الكتاب المقروء ودقائق عالم الطبيعة في الكتاب المنظور: حسب اختصاصاته وقدراته.

ب– الحس:

لم يعرفه بالماهية وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

1–الحس المتصل: وهو الذي يمكن من إدراك الأجسام التي تتصل بنا مثل المذوقات والملموسات.

2– الحس المنفصل: وهو الذي يمكن من إدراك الأجسام المنفصلة عنا مثل: المبصرات والمسموعات والمشمومات.

3– الحس الداخلي: وهو الذي يدرك به الإنسان ما في نفسه من الجوع والعطش [4].

والملاحظ أن ابن تومرت لم يبين كيفية الإدراك الحسي وعلاقته بالإدراك العقلي وإنما عرضه بشكل وصفي بسيط ركز فيه على وظائف الحواس.

جـــ– السمع: وقد استعمله ابن تومرت بمعان مختلفة .

1–على حاسة الإنسان، "السمع هو ما يسمع به جميع المسموعات من الشرع وغيره" [5].

2– وعلى حقائق الشريعة "والسمع على ثلاثة أقسام، الكتاب والسنة والإجماع" [1].

3– وعلى طريقة ورود حقائق الشرع "والسمع على ضربين: تواتر وآحاد" [2].

لقد بين ابن تومرت قيمة السمع كوسيلة معرفية حتمية لبلوغ حقائق الشريعة فلا طريق لمعرفة الخبر الشرعي إلا بالسمع، قال ابن تومرت متحدثا عن الأصل الشرعي:

---

[3] جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، تح: أسامة الحاج، ط، 997، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 33 وما بعدها.

[4] عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص 83.

[5] ابن تومرت، أعز ما يطلب، ص 308.

[1] ابن تومرت ، أعز ما يطلب ،المصدر نفسه، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 48.

" لا يخلو أن يثبت بالعقل أو السمع، وباطل إثباته بالعقل، إذ العقل ليس فيه إلا التجويز وتعارض الإمكانين، والتجويز وتعارض الإمكانين تشكيك، والشك يستحيل أن يثبت به شيء إذ هو باطل، ومحال أخذ الحق من الباطل، فإذا بطل اثباته من جهة العقل، لم يبق إلا السمع" [3] . ومن هنا نستنتج أن ابن تومرت يعتقد أن الإنسان مكلف بالعقيدة بواسطة ضرورة العقل ،وغير مكلف بالشريعة إلا عن طريق السمع .

وهو يعطي صورة متكاملة تقوم على أساسين: الأول أن العقل لا يناقض الشرع لأن أحكامه سارية على سنن العقل متساوقة معه، والثاني أن العقل لا يثبت الشرع، فالعقل ليس له دور في اختراع الأحكام الشرعية، وليس له في الحظر والإباحة مجال "فالعقل لا مدخل له في السمع"،فالعقل وإن كان وسيلة إدراك العقيدة فإن له حدا في هذا الإدراك فهو يقر ثبوت الحقيقة لا اقتحام مجال كيف الحقيقة وإلا وقع في مزلق التجسيم والتعطيل [4].

ثالثا:الطبيعة المخلوقات

وهي "ما كتبته القدرة الإلهية بغير آلات، وسطرت إرادة الله عز وجل من جميع مخلوقاته، ليقرأ أولوا البصائر والألباب من جميع المخلوقات في جميع الوجود مما شاهدته العيون، وخفي عنها من الانفعالات الطبيعيات الجاريات بالانتقالات والتغيرات في العوالم العلويات والسفليات في جميع أماكنها وأزمنتها وما أودع الله فيها من خير أو شر أو نفع أو ضر أو سعد أو نحس أو حياة أو موت

أو صحة أو سقم، و أجراها في ذلك على مشيئته و إرادته و قوته . فدل بها على معرفته و حكمته.. " [5]. و نبه عليها بقول الله تعالى: چ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ[1] .

وقوله تعالى: "چ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ چ[2]

[3] المصدر نفسه، ص 48.

[4] عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 79.

[5] ابن تومرت ،كتز العلوم، مصدر سابق، ص 32.

[1] سورة الأعراف، الآية: 185.

[2] سورة الروم، الآية: 8.

وقوله تعالى: چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم چ [3].

ويذهب ابن تومرت في فلسفة عميقة في ابراز حمكة "الخلق" في كتابه "كتر العلوم" حيث يقول: "إن الله كان قبل الأكوان والأزمان قديما في أزليته ليس معه في الوجود إلا هو ،أوجبت حكمته من غير وجوب عليه ،أن يخلق المخلوقات ليدلهم على معرفته و إظهار بديع صنعته،حيث ويورد هذا الحديث مستشهدا به :"كنت كترا لم أعرف فأحببت أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني" [4]

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند ابن تومرت

أولا: المؤلف الذي جاء فيه التصنيف

[3] سورة فصلت، الآية: 53

[4] قال ابن تيمية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر والسيوطي ، وغيرهم، وقال القارئ: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي ليعرفوني كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما.أنظر: اسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلتباس، م2، مكتبة القدس، ص 32

لقد خصص ابن تومرت كتاب "أعز ما يطلب" لطرق موضوع العلم والمعرفة التي يتوقف عليها فهم كثير من المسائل العقدية واثباتها، وكذلك شأن كثير من المسائل الطبيعية واختبارها وكتاب "كتر العلوم" الذي يعتبر صورة كاملة ومفصلة لأصناف العلوم للجمع بين القراءتين قراءة الكتاب المسطور وقراءة الكون المنظور، وهذين الكتابين كل منهما مكمل للآخر.

يبدأ لن تومرت في كتابه "كتر العلوم والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة". بالحمد لله، وذكر الشهادتين. ثم يبين أن جميع العلوم النافعة متدرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة، ويؤكد أن مقصود الحكمة هو "حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة" [1].

"و أن فائدة ذلك تمييز الخالق من الخلائق وتتريه الله سبحانه عما سواه، فذلك هو حقيقة العلم وقصد المراد منه" [2].

ويضيف ابن تومرت في ايضاح هذا المعنى أن علم الطبيعة ومقصود الحكمة منه معرفة ما أودع الله من مخترعات في بديع صنعته ليدل بذلك على حقيقة معرفته.

ثم يقسم الكتاب إلى خمسة أبواب:

*الباب الأول: علم الشريعة والحقيقة، ويتناول فيه أصول الدين.

* الباب الثاني: أصل علم الطبائع والمخلوقات من البداية إلى النهاية، وهذا الباب هو الأساس الذي يقوم عليه تصنيف ابن تومرت.

* الباب الثالث: معرفة العقل والروح والنفس، وهنا يقدم نظرية متكاملة في المعرفة من حيث مصادرها ووسائلها.

*الباب الرابع: فضائل الأدمي ومعرفة الخالق من الخلائق، وهنا يستند ابن تومرت على الحديث القائل "إن الله خلق آدم على صورته" وأودع فيه العلم والمعرفة والحكمة بتدبير العقل ما يستخرج به جميع العلوم الغامضة من الطبيعة.

* الباب الخامس: استخراج العلوم الغامضة الطبيعية، وهنا يظهر اهتمام ابن تومرت بالطبيعة ويخصص لها أطول الأبواب، ويقسمه إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: علم الطب.

الفصل الثاني: علم الكيمياء.

---

[1] ابن تومرت، كتر العلوم، مصدر سابق ، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 20.

الفصل الثالث: علم السيمياء.

الفصل الرابع: تقويم الشمس والقمر.

الفصل الخامس: علم الفأل والزجر.

أما كتاب "أعز ما يطلب" وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعز المطلب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر وأحسن الأعمار" [1]، ثم فصل القول في قيمة العلم بقوله:

*العلم أصل الايمان: والدليل العقلي أن الحق والباطل متناقضان وليس منزلة وسطى بينهما **چ ئې ئى ئى ئد ى ى ې ې ئج ئح ئم ئى ئي بج چ** [2]، والطرق المؤدية إلى الهداية والضلال منحصرة في أربعة: العلم، الجهل، الشك، الظن، فإذا ما تفحصنا هذه الطرق الأربعة أيها يؤدي إلى الهداية (الايمان) وجدنا الثلاثة الأخيرة لا تؤدي بحال إليها، بل هي مؤدية إلى الضلال.

* العلم أصل لصلاح الدنيا: إن جميع ما في العالم من صنائع جعل الله فيها قوام النفوس وبالتالي قوام الأديان، وقوام الأديان أصلها العلم فهو إذن أصل لصلاح الدنيا وطريق لتحقيق معنى الخلافةفي الأرض[3].

ثم تطرق إلى تقاسيم العلم فجعله ثلاثة أقسام، العلم بالدين والعلم بالدنيا والعلم بما يتوصل به إليهما. وهذا ما سنتطرق إليه في شكل التصنيف الذي بناه ابن تومرت حسب نظريته المعرفية وتصوره المنهجي لأصناف العلوم.

ثانيا: شكل التصنيف :

يورد ابن تومرت تقسيما ثلاثيا للعلوم في كتابه "أعز ما يطلب" عل شكل هيكل عام ثم يتناول بالتفصيل الدقيق لهذا التقسيم العام في كتابه "كنز العلوم" والراجح أن تقسيم "أعز ما يطلب" كان موجها باختصار لما ينبغي للمسلم أن يتعلمه، وجاء متنازلا من الأعم إلى الأخص.

فيقول: الكلام في العلم على ثلاثة أقسام: بيان فضله، وطرقه، وتقاسيمه [1].

---

[1] ابن تومرت، أعز ما يطلب،مصدر سابق، ص 33.

[2] سورة يونس، الآية: 32.

[3] عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، مرجع سابق ،ص 165.

فأما تقاسيمه فهي أيضا على ثلاثة أقسام:

أولا: العلم بالدين .

ثانيا: العلم بالدنيا.

ثالثا: العلم ما يتوصل به إليهما .

أولا: فالعلم بالدين ثلاثة أقسام :

أ-العلم بالله .

ب-العلم بالرسل .

جـــ- والعلم بما جاءت به الرسل .

أ-العلم بالله:هو على ثلاثة أقسام :

1-العلم بما يجب له .

2-والعلم بما يجوز عليه .

3-والعلم بما يستحيل عليه.

*فأما العلم بما يجب له فهو ثلاثة :

- الوجود .
- الوحدانية .
- الكمال [2].

* والذي يجوز عليه ثلاثة :

- ايجاد العالم .
- اعدامه بعد وجوده .
- وإعادته بعد اعدامه.

* والذي يستحيل فيه ثلاثة :

- التشبيه .
- الشريك .
- النقائص .

---

[1] ابن تومرت، أعز ما يطلب، المصدر نفسه ، ص 306.

[2] المصدر نفسه، ص 309.

ب- العلم بالرسول: فعلى ثلاثة أيضا :

1-العلم بما يجب إثباته للرسول (الصدق والأمانة) .

2- والعلم بما يجب نفيه عنه (الكذب والخيانة) .

3- والعلم بما يجوز عليه (السراء والضراء والسهو الذي لا ينافي التكليف) .

جـ- العلم بما جاء به الرسل: فعلى ثلاثة :

1-الوحي (أمر الله ونهيه وخبره) .

2- التكليف (مقتضى الأمر والنهي) .

3- الجزاء على التكليف (وهو حساب وثواب وعقاب) .

ثانيا: العلم بالدنيا على ثلاثة أقسام [1]:

1-العلم بمنافعها .

2- العلم بمضارها .

3- العلم بأسباب المعيشة .

ثالثا: ما يتوصل به إلى العلم بهما فهي ثلاثة أقسام [2]:

1-اللغة: فإذا بطلت اللغة بطلت الشريعة .

2- الإعراب: فإذا بطل الإعراب بطلت المعاني، وإذا بطلت المعاني بطل الشرع .

3- الحساب: فهو أيضا مما يتوصل به إلى معرفة الدين كالصلاة والزكاة والدنيا في سائر المعاملات، فالحساب أصل كبير في الدين [3].

إن تصنيف "أعز ما يطلب" جاء متعلقا بالشطر الأول من حقائق علم الشريعة وقد اكتمل هذا التصنيف تماما في – الشطر الثاني- في كتابه "كنز العلوم" والذي جاء بدوره متعلقا بدقائق علم الطبيعة وهو طريق معرفة الله بالصنعة عبر مخلوقاته، والذي يقول فيه ابن تومرت "وأعلم هداك الله أن هذا الباب باب جليل القدر في أصل علم الصنعة وهو من أجل العلوم وأشرفها" [1]، وقد صرح أنه جعل جل الكتاب في علم الطبيعة وأودع فيه علوما جليلة، وقد بين ابن تومرت فائدة هذا العلم في أمرين :

---

[1] ابن تومرت، أعز ما يطلب،المصدر السابق، ص 310.

[2] المصدر نفسه، ص 310

[3] المصدر نفسه، ص 311.

[1] ابن تومرت ،كنز العلوم، مصدر سابق ،ص44.

إحداها: التنبيه إلى قدرة الله تعالى وعظمته وبديع صنعته .

وثانيها: أنه ذكر فيه أصولا شتى بنيت عليها باقي أبواب الكتاب .

– ثم يشرع ابن تومرت في بيان أول الخلق بعد أن كان الله قبل الأكوان والأزمان قديما في أزليته ليس معه في الوجود إلا هو، فأول ما خلق الله نورا من نور وجهه الكريم جعله أصلا وسببا لكل المخلوقات وهيولى جامع لجميع الموجودات [2].

وأودعه فيه بقوله تعالى "كن" فكان ذلك النور موجودا بعد العدم، ثم كانت جميع الأشياء مودعة فيه بالعلم فهي موجودة فيه بالقوة وهذه فكرة قديمة قال بها أرسطو مستعدة بالخروج إلى الفعل بتدبيره الكوني .

وهذا هو نور العقل الكامل الذي هو نور النبي محمد صلى الله عليه وأله وسلم الذي نشأت منه الأنوار وجميع العقول المتفاضلات وجميع المخلوقات للحديث الصحيح الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم: عن أول شيء خلقه الله تعالى؟ فقال: "هو نور بيك يا جابر" [3].

ويذهب ابن تومرت في عرض تفاصيل الخلق من نور العقل إلى العقل الإلهامي منه إلى روح القدس والروح النفساني وطبائع الجسم وجميع المخلوقات ثم السماوات السبع (العوالم العلوية) والأرضين السبع (العوالم السفلية) من المعادن والنباتات والحيوانات ثم خلق من طينة الأرض آدم أبو البشر من جميع جواهر الأرض.

ويتحدث ابن تومرت على العناصر المركبة كالنار والهواء والماء ثم يربط السعد والنحس بالكواكب السيارة في الفلك الأعلى وما يجري فيه بالخير والشر على ما يناسبها من العلوم

---

[2] المصدر نفسه، ص 45.

[3] الحديث: رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله، بلفظ قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال: "يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله و لم يكن ذلك الوقت، لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الجزء الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق... إلى آخر الحديث".

والحديث قال فيه الشيخ الألباني: من الأحاديث المشهورة على ألسنة الناس وهو حديث باطل فإنه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلقت الملائكة من نور، وخلق ابليس من نار السموم، وخلق آدم عليه السلام مما قد وصف لكم" أنظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، م1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص820.

السفليات في الفلك الأسفل عند التدبير بإذن الله تعالى ومن الأرزاق ما يترل به المطر فيكون حياة الأرض وما فيها [1].

ويناظر ابن تومرت العناصر المركبة للعوالم العلويات والسفليات من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة مع خلق أجزاء جسم الإنسان، كالقلب والمعدة والدماغ ووظائفهم المختلفة ثم تخصيص جزءا هاما لعلم الطب في الفصل الأول، يقول فيه :

أ-علم الطب: من أشرف العلوم الطبيعية وأجلها قدرا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "العلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان" [2] ولذلك قدمه على جميع الفصول .

والطب ينقسم إلى قسمين :1- حفظ صحة موجودة (الوقاية) .2- رد صحة مفقودة (العلاج) .

ثم يتناول في الفصل الثاني :

ب- علم الكيمياء: وهو من أجل العلوم الغامضة وأشرفها ويترتب عليه إصلاح الدين والدنيا والآخرة، وهي عبارة عن قلب الجواهرمن الحالة الخسيسةإلىالحالة النفسية [3]، بالتدبير الطبيعي ويعتقد ابن تومرت أنه يمكن قلب أعيان الفضة والنحاس والحديد والرصاص إلى عين الذهب الإبريز [4]ويتناول في الفصل الثالث :جـــ- علم السيمياء: وهي من أجل العلوم الطبيعية وأشرفها.فالسيمياء عبارة عن تأليف إسم أو اسمين أو ثلاثة أو أربعة ونحو ذلك مما اجتمع من حروف وأودع الله فيها من سر اسمه العظيم الأعظم [5]ويربط ابن تومرت هذا العلم بأسماء الله الحسنى وفضل لكل اسم منها على حياة الإنسان، فكل اسم لكل قلب صار روحانيا طاهرا من دنس الشك والشرك مناسبا صالحا لصفات الله حيث قال فيه : "كنت سمعه الذي يسمع به

---

[1] ابن تومرت ، كتر العلوم، المصدر نفسه ،ص 52.

[2] قال الحافظ بن حجر موضوع، و لم يلق الحسن حذيفة، ونقل السيوفي في أوائل خطبة كتاب الطب النبوي أنه من كلام الإمام الشافعي.

أنظر: العجلوني ، مرجع سابق، م2، ص 68

[3] ابن تومرت ، كتر العلوم، المصدر نفسه، ص 148

[4] المصدر نفسه، ص 157.

[5] المصدر نفسه، ص 173.

وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به" [1] وعلى المشيئة والإرادة من سائر العلوم .ويتناول في الفصل الرابع :

د- علم تقويم الشمس والقمر:وهو علم صحيح من أشرف علوم الطبيعة، لأن علمها علم شريعة منظورة، كتبها الله بيد قدرته وأودع فيها ما شاء من علمه وحكمته [2].

يستبعد ابن تومرت من تصنيفه علم النجوم الجزء الخاص بقراءة الطالع وكذلك علم الضمائر وعلم السحر، وإنما يكره هذا العلم لمن اعتقد أن الأمور الكائنة بأفعالها منسوبة إليها فقط فإن حولها وقوتها وقدرتها إلى أنفسها، قطعا هذا كفر محض [3].

ويتناول أخيرا في الفصل الخامس :

ه- علم الفأل والزجر: وهو علم صحيح مجرب يستعمله الأنبياء والعلماء والصالحون لما في ذلك من التأثير والإشارة بالوحي الإلهامي، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة [4]، وقد تناوله ابن تومرت من منظور شرعي وعلمي وأحسن ما يستعمل به الفأل أفعال نفس الإنسان الذي أودع الله فيه جميع العلوم الجلية والخفية إذ هو موضوع للعلم والمعرفة والحكمة .

---

[1] رواه البخاري في صحيحه دون لفظ "ولسانه..."، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت/لبنان، الطبعة : الأولى 1422هـ، (كتاب الجمعة) باب التواضع (6502)، 8/ 105. 6502 - حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته

[2] ابن تومرت، المصدر السابق ، ص 182

[3] المصدر نفسه، ص 182.

[4] وكان النبي ص يحب الفأل ويكره الطيرة أخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة بلفظ: " يُحِبُّ الْفَأْلَ الْحَسَنَ وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ" ، (8393)، 122/14. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثانية 1420هـ ، 1999م، (8393)، 14 / 122. وأخرجه ابن ماجه بلفظ: "كان النبي صلى الله عليه و سلم يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة"، وصححه الألباني، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب الطب، باب من كان يعجه الفأل ويكره الطيرة، (3536)، 1170/2.

رسم توضيحي لـ:

تصنيف العلوم عند ابن تومرت

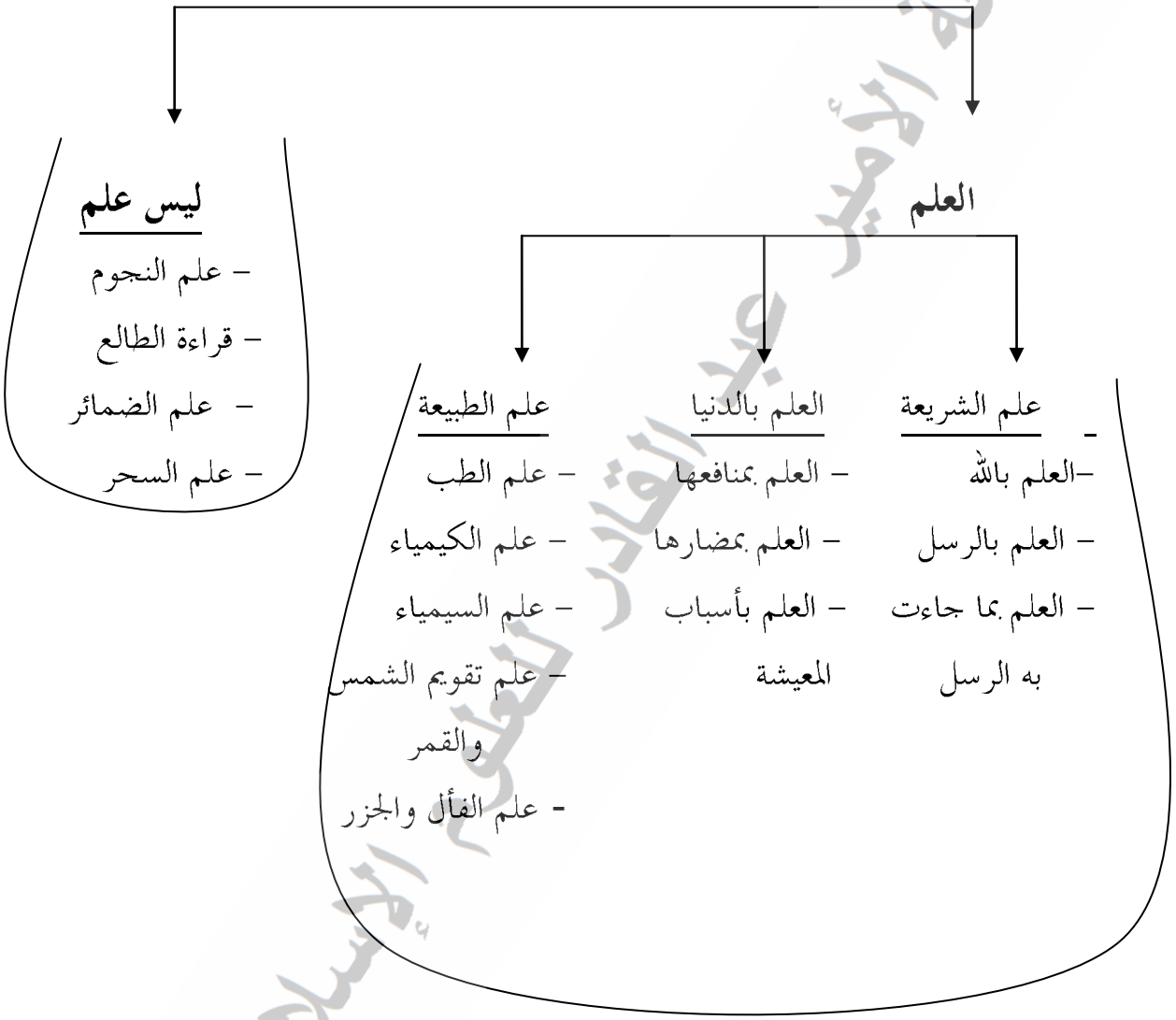

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا:أساس التصنيف :

لعل أول ما نلاحظه، أن تقسيم ابن تومرت متحررا تمام التحرر من تقسيم أرسطو وهو قائم على أساس وتصور عقدي صرف، حيث أن المسلم مطالب بأن يعرف الله أولا ثم يعرف الرسول، ويعرف ما جاءت به الرسل [1].

لقد كان البناء الهيكلي لتصنيف العلوم لابن تومرت خالصا من كل نزعة فلسفية يونانية، بل ركز على الوحدة الإئتلافية التي يظهر فيها تسلسل كافة العلوم الاسلامية وتعاضدها في خدمة الغرض الديني .

لقد أسس ابن تومرت ومن قبله ابن حزم وابن عبد البر القاعدة الكبرى التي تبنى عليها كل أصول وفروع العلوم وهي معرفة الله عز وجل وتمييز الخالق من المخلوق .

لقد ابتدأ ابن تومرت بعلم الشريعة في الباب الأول في أصول الدين، والقصد منه علم التوحيد الخالص، ولعلم الشريعة بداية ونهاية وظاهرا وباطنا — وهنا تظهر ملامح الاتجاه الصوفي لابن تومرت بعكس ابن حزم الظاهري — والعلم عنده ثلاث درجات: العلم، المعرفة، المشاهدة .

1- العلم: هو علم الشريعة .

2- المعرفة: هي علم الحقيقة .

3- المشاهدة: وهي حقيقة الحقيقة .

ثم يجعل لكل هذه العلوم المتعلقة بالشريعة (أصول الدين) وكذلك علم اللغة والإعراب والحساب تتضافر كلها في الوصول إلى حقيقة واحدة تعظيم الله عز وجل وتحقيق التوحيد الخالص للذات الإلهية عن الطريق المباشر بما عرف الله به نفسه بواسطة كتب الرسل بكيفية المسموع شرعا .

وبعد الانتهاء من عرض حقيقة الذات الإلهية في الكتاب المسطور يشرع ابن تومرت في تعميق هذه الحقيقة في الكتاب المنظور أو الكون المنظور وهو ما سطرته إرادة الله عز وجل في مخلوقاته ليقرءه أولوا البصائر والألباب، وهنا يشير ابن تومرت إلى العقل من حيث هو شريعة باطنة مؤيدة للشريعة الظاهرة، فعلم الشريعة وعلم الصنعة (الطبيعة)، كلاهما وضعا لخدمة هدف واحد وأساس واحد وهو التوحيد الخالص .

---

[1] عبد المجيد النجار، المهدي ابن تومرت،مرجع سابق ، ص 169.

فأساس تصنيف العلوم في الهيكل التمرتي هو بلوغ الحقيقة الدينية سواء بطريق مباشر (علم الشريعة) أو غير مباشر (علم الطبيعة) لتحقيق الرؤية الكونية التوحيدية .

وكل العلوم تأخذ الفضل والشرف على هذا الأساس .

رابعا: علاقات العلوم في النسق التمرتي

يوحد ابن تومرت بين جميع العلوم النافعة ويوجهها إلى خدمة غاية واحدة .

وكل العلوم النافعة متدرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة، وفائدة ذلك "تمييز الخالق من الخلائق" [(1)].

فهو يشير إلى الجمع بين القراءتين، قراءة الكتاب المسطور چ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ[(2)].

وكذلك قراء الكون المنظور چ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ چ[(3)].

وقوله تعالى: چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم چ [(4)].

ومثل قول تعالى: چ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ چ[(5)] .

ويجمع ابن تومرت فيقول: "فهذان العلمان -أعني: المسموع والمنظور- هما علم الشريعة الظاهرة بعلم اليقين" [(6)].

ثم ينطلق ابن تومرت إلى الشريعة الباطنة المؤيدة إلى الشريعة الظاهرة، وهو علم المعقول الذي يفضي إلى حق اليقين، وذلك ما حكم به العقل النوراني في القلب الإنساني الذي جعله مرآة للعارف يميز به الحق من الباطل .

والملاحظ أن ابن تومرت يوظف جميع مصادر المعرفة سواء ما جاء به الوحي عن طريق الرسل أو الوجود (الطبيعة) أو العقل الذي يعتبره تارة مصدرا لأنه فطري وتارة وسيلة معرفية ،مثل السمع

---

(1) ابن تومرت ،كتر العلوم، مصدر سابق ،ص24.

(2) سورة الشورى، الآية: 52.

(3) سورة الروم، الآية: 08.

(4) سورة فصلت، الآية 53.

(5) سورة الذاريات، الآية (20-21).

(6) ابن تومرت ،كتر العلوم، المصدر نفسه ،ص 32.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والحس، فكل مصدر وكل وسيلة في علاقة متداخلة متعاونة مع الأخرى لتحقيق الغرض الديني، وبالضرورة ينعكس ذلك على علاقات العلوم جميعا الناتجة عنها والتي نصفها بالنافعة، والنفع الذي يقصده ابن تومرت هو التوحيد الخالص .

لقد نجح ابن تومرت في نسج علاقة وحيدة بين آية السمع، وآية النظر، وآية العقل وجعل أحدهما لا يستغني عن الآخر في المراد المقصود، وأن العلوم المنبثقة عنها تقضي إلى نفس الضرورة وقد ربط بن تومرت علم الطب بالكيمياء، وأن حفظ صحة الأبدان تستوجب معرفة أخلاط الكيمياء وصنع الأدوية والبدن مطية الإنسان لفعل الخير والخير يرتبط بالحساب والمقادير، حساب الأوقات، ومقادير الزكاة "فالحساب أصل كبير في الدين" [1] وجعل أساس العلوم اللغة "فإذا بطلت اللغة بطلت الشريعة، والأحكام والأعراب، فإذا بطل الإعراب بطلت المعاني" [2].

ففلسفة العلم عنده تبحث عن مفهوم العلم الكلي وتوحيد المعرفة، وضبط أساسها الذي يحركها من داخلها للبحث عن الغاية الكبرى، "التوحيد الخالص"، ولا يتحقق ذلك إلا بعلم حقائق الشريعة ودقائق علم الطبيعة .

خلاصة: لا جرم ان ابن تومرت وحد بين ما جاءت به الرسل (الوحي) وما وقع تحت البصر من مظاهر علم الطبيعة اسماه "علم الشريعة" وهذا معنى أصيلا تميز به ابن تومرت عن غيره، فجعل علم الشريعة ظاهرا (الوحي والكون)، وباطنا(العقل النوراني والقلب الإنساني)، لتتجلى آراؤه الصوفية التي خالف فيها ابن حزم الظاهري .

---

[1] ابن تومرت ، أعز ما يطلب، مصدر سابق ، ص 311

[2] المصدر نفسه، ص 310.

يبرز أساس التوحيد الخالص عند ابن تومرت في فكرة التمييز بين الخالق والخلائق وذلك بطريق الاستدلال المباشر (القرآن) أو غير المباشر (الصنعة).

أن أساس التصنيف في نسق ابن تومرت مدى خدمة الغاية الدينية، فكلما اقتربت العلوم من حقائق الشرع كانت مطلوبة .

لا يختلف ابن تومرت عن سابقيه، ابن حزم وابن عبد البر في الاتفاق حول أساس تصنيف العلوم والغاية منها، وهنا يتجلى صفاء الذهن المغربي في التأصيل لأصناف العلوم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع : ابن خلدون و تصنيفه العلوم .

المبحث الأول: ترجمة ابن خلدون.

المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لإبن خلدون .

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن خلدون .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: ترجمة ابن خلدون

أولا:اسمه، نسبه، نشأته[1]

قد تكون ترجمة حياة "ابن خلدون" من أكثر الترجمات لشخصيات التاريخ الإسلامي توثيقا بسبب المؤلف الذي وضعه ابن خلدون ليؤرخ لحياته وتجاربه، وسماه التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحدث فيه كثيرا عن تفاصيل حياته المهنية والسياسية والتأليف والرحلات، وتحاشى فيه كثيرا من تفاصيل حياته الشخصية والعائلية .

وقد عرّف باسمه: وهو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون [2].

ويقول "ابن خلدون" ونسبنا في حضرموت من عرب اليمن إلى وائل بن حجر من أقيال العرب.

قال أبو محمد بن حزم، في كتاب الجمهرة: هو وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحرث بن عوف بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن شرحبيل بن الحرث بن مالك بن مرّة بن حمير بن زيد بن الحضرمي [3].

قال ابن حيان: وبيت بني خلدون إلى الآن في اشبيلية، نهاية في النباهة، و لم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية [4].

وأما نشأتي: فإني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة (732 هـــ) وربيت في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ: أبي عبد الله محمد بن سعد بن نزال الأنصاري [5]،وكان إماما في القراءات، وقال ابن خلدون أنه درس عليه كتبا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك، ومختصر ابن الخطيب في الفقه، وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي وأستاذي تونس .

ثانيا: الحياة السياسية

---

[1] أخذت هذه الترجمة لحياة ابن خلدون ملخصة من كتابه، تحت عنوان التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب ورحلته غربا وشرقا، انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص 503.

[2] المصدر نفسه، ص 503.

[3] المصدر نفسه، ص 503.

[4] المصدر نفسه، ص 505.

[5] المصدر نفسه، ص 511.

لقد كان "ابن خلدون" رجل سياسة إلى جانب كونه رجل فكر وعلم وثقافة، ولقد أفاد من السياسة كثيرا، فتقلد أسمى المناصب من وزارة وسفارة وحجابة، كما أنه لقي منها أسوأ العواقب فدخل بسببها السجن أكثر من مرة .

ويمكن القول في هذا الشأن أن شخصية "ابن خلدون" القوية كانت تجتذب أنظار السلاطين والرؤساء، فقد جذبت نظر سلطان تونس فعينه في منصب "كاتب العلامة" وكذلك أبي عنان المريني، فعينه عضوا في مجلسه، وعينه بعد ذلك السلطان أبو سالم المريني في منصب "كاتب السر" وأرسله السلطان محمد بن الأحمر "سفيرا" إلى أمير قشتالة للتوسط في أبرام صلح بينهم[1].

وحين عاد "ابن خلدون" إلى الأندلس ونزل على أمير بجاية قلده الحجابة، وهي أعلى منصب في الدولة، بحيث كان يسوس من خلاله أمر المملكة، ويصف ابن خلدون ذلك قائلا: " فأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي، واستقللت بحمل ملكه، واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه، وقدمني للخطابة بجامع القصبة، وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك غدوة إلى تدريس العلم في أثناء النهار بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك"[2].

ولما ارتحل إلى مصر عين قاضيا للقضاة على مذهب الإمام مالك، عدة مرات، لم يكن يستقر في هذا المنصب حتى يعزل منه إلى أن توفي بعد ولايته السادسة[3].

ثالثا:الحالة الاجتماعية

ولقد صور "ابن خلدون" الحياة الاجتماعية لأهل المشرق على نحو من الخصوبة في أحوال المعاش والمسكن والبناء، وأمور الدين والدنيا، وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم، وهي صنائع يتقنها الآخر عن الأول، أي تورث من جيل إلى جيل عن طريق الدربة والتعليم، ثم يذكر صنائع أختص بها أهل مصر بأنهم يعلمون الحمر الأنسية والحيوانات العجم من الماشي والطائر مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها ويعجز أصل المغرب عن فهمها فضلا عن تعليمها، وهي أعمال تنم عن رفاهية أهل المشرق وطرافة حسهم، بعكس أهل المغرب الذين لا تتوفر فيه كثرة الصنائع ولا تظهر عليهم آثار الترف، ويربط "ابن خلدون" الملكات الحاصلة في النفس (المدراك) باتساع العمران ولا علاقة لها بالتفاوت في الحقيقة الإنسانية بين

---

[1] مصطفى الشكعة، الأســس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته، ط3، 1992م، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، ص 24.

[2] ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ج7،ص 560.

[3] مصطفى الشكعة، المرجع نفسه، ص 24.

المشرق والمغرب، ألا ترى إلى أهل الحضر مع أهل البدو كيف تجد الحضري متحليا بالذكاء وممتلئا من الكيس، حتى يظن البدوي أنه فاته في حقيقة إنسانيته ،وهو ليس كذلك [1].

رابعا:الحياة العلمية :

عقد "ابن خلدون" فضولا يبين فيها أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري، وأن التعليم من جملة الصنائع، وأن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة [2] فكلما امتد العمران ازدهر العلم وحيث ينحسر العمران ويتناقص يقل العلم ويضعف شأنه، ويضرب ابن خلدون أمثلة بالقيروان وقرطبة اللتين كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، فحين كان العمران فيها مستبحرا كانت أسواق العلوم نافقة وبحوره زاخرة، يفد إليها طلاب المعرفة من كل صوب، فلما خربتا انقطع من المغرب إلا قليلا في عصر الموحدين [3]، ثم ينصح "ابن خلدون" عند ذهاب العلم وانحصار أمره، لا بد من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة شأن الصنائع كلها ،ولذلك كثرت أسفاره في طلب العلم، ثم يعطي صورة لعصر ذهاب العلم في الأندلس قائلا: "فذهب رسم التعليم من بينهم، وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئين من السنين، و لم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والأدب اقتصروا عليه... وأما الفقه بينهم فرسم خلو، وأثر بعد عين، وأما العقليات فلا أثر لا عين ،وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها إلا قليلا" [4].

ويقر أن الحياة العلمية في المشرق كانت أزهى من المغرب وأعطى مثالا عن القاهرة وما إليها من ا لمغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم فيها قائما.

فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع، حتى ظن كثير من الرحالة من أهل المغرب ،أنهم أشد نباهة وأعظم كسبا بفطرتهم، وينفي هذا الظن ابن خلدون بقوله: "وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت" [5].

المبحث الثاني: منطلقات النسق الفلسفي لابن خلدون

---

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 547.

[2] المصدر نفسه، ص 548.

[3] المصدر نفسه، ص 544.

[4] المصدر نفسه، ص 546.

[5] المصدر نفسه، ص 546.

لقد انطلق ابن خلدون من جملة من المرتكزات (المقدمات) الأساسية لإرساء نظامه الفكري وتصوره العقدي الذي لا يزاول تفكيره في كل صغيرة وكبيرة، ومن بين هذه الأسس إجمالا ما يلي:

أولا:الله (الخالق)

هوأصل الوجود، "اعلم أن الشارع لما أمرنا بالإيمان بهذا الخالق الذي رد الأفعال كلها إليه وأفرده به كما قدمناه ،وعرفنا أن هذا الإيمان نجاتنا عند الموت إذا حضرنا ، لم يعرفّنا بكنه حقيقة هذا الخالق المعبود وهو إذ ذاك متعذر على إدراكنا ومن فوق طورنا، فكلفنا أولا: اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين وإلا لما صح أنه خالق لهم لعدم الفارق على هذا التقدير، ثم تنزيهه عن صفات النقص وإلا لشابه المخلوقين ثم توحيده" [1]، وأن الله يعيدنا بعد الموت تكميلا لعنايته بالإيجاد فنحن للبقاء السرمدي بعد الموت، ثم اعتقاد بعثة الرسل، وهنا يكشف ابن خلدون عن حقيقة ايمانية عقلية بالغة الأهمية، وهي أن الوحي ضرورة عقلية ينادي بها العقل لشعوره بالعجز عن الإحاطة بالذات الإلهية، فالعقل النظري على حد تسمية ابن خلدون يعرف بوجود المطلق وهو في انتظار المساعدة من طرف "الوحي" "والعجز عن الإدراك إدراك" إذ العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيرها وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها إذ لا فاعل غيره وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته وعلمنا به، إنما هو من حيث صدورنا عنه لا غير [2]، ولا يعتقد أن ابن خلدون كان ذو نزعة جبرية [3] تعطل الفعل الإنساني، وعدم قدرته على فهم الظواهر، بل هو يلتقي بتفكيره مع معطيات العلم الحديث الذي يوجه العقل في البحث عن وصف حدوث الظواهر وليس تفسير كنهها ،فالعلم يجيب على أسئلة: كيف حدثت الظواهر؟ وليس لماذا حدثت الظواهر؟ أي تسلسل أسبابها إلى ما لا نهاية، بل هو الانسجام مع الروح العقلانية التجريبية والعقيدة الإسلامية .

---

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه،، ص 585 – 586.

[2] المصدر نفسه، ص 583.

[3] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، ط5، 1992م، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان، ص 86.

إن عقلانية ابن خلدون على الرغم من إيمانه بالنبوة والوحي، لم يفعل كما فعل الغزالي حيث أقام المعرفة الصوفية مقام المعرفة العقلية، ولا كما فعل ابن تيمية الذي هدم المنطق لحساب نزعة حسية مفرطة، ورفض التأويل العقلي لحساب تمسك بالنص شديد، إن ابن خلدون حينما يعلن أن البحث في ما وراء الطبيعة لا يجدي، وقد عمل في نفس الوقت على توسيع دائرة العمل في ميدان "الطبيعة" و ميدان العمران الأرحب [1].

ثانيا: الطبيعة (عالم الحوادث)

وهي تشتمل على ذوات محضة، كالعناصر وآثارها والمكونات الثلاثة عنها، التي هي: المعدن، والنبات، الحيوان، وهذه كلها متعلقات القدرة الإلهية، وأما الأفعال الحيوانية لغير البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر (العقل) الذي يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل، إذ الحيوانات إنما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خلية من الربط ،لأن الربط لا يكون إلا بالفكر [2].

وأما الأفعال البشرية فمنتظمة ومرتبة، قصد الترتيب بين الحوادث بالطبع أو الوضع، فإذا قصد الفكر ايجاد شيء لابد من التفطن إلى سببه أو علته أو شرطه، وهي على الجملة مبادئه، فلا يتم فعل الإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات ،لتوقف بعضها على بعض، وهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي يتميز بها البشر عن غيره من الحيوان [3].

ثالثا: العقل

لقد قسم "ابن خلدون" العقل الإنساني الذي خص الله الإنسان به عن سائر خلقه، إلى ثلاثة أنواع:

1-العقل التمييزي: ويعبر عن المرحلة الأولى في العقل البشري ويكون العقل قبلها خلوّ من أي علم بالجملة، وهذه المرحلة يكون العقل بها عبارة عن هيولى قابلة لأن تصبح فكرا بالقوة يدرك ما حوله بفضل ما أعطي الإنسان من جوارح وأفئدة، ويوقع به أفعاله على انتظام [4]. وهنا يشير "ابن خلدون" إلى العقل الذي تحدثت عنه المدرسة التجريبية، وهو صفحة بيضاء لا شيء فيه، وهو معدود من الحيوانات لاحق في مبدئه في التكوين من النطفة والعلقة والمضغة، وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والأفئدة التي هي الفكر [5].

---

[1] محمد عابد الجابري، المرجع نفسه، ص 87.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 592.

[3] المصدر نفسه، ص 593.

[4] المصدر نفسه، ص 599.

[5] المصدر نفسه، ص 599.

ويقول "ابن خلدون" أنظر إلى قول تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭽ[6] .

وقوله: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭽ[1] .

2- **العقل التجريبي** :وهو العقل الذي يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه، كون الإنسان مدني بالطبع، لا يمكنه الحياة منفردا، ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، وهو يحتاج إلى التعاون مع الآخرين يتطلب منه المفاوضة والمشاركة [2].

وبالمشاركة قد تحدث المشاجرة ،والتنازع والمؤالفة والصداقة ،أو الحرب والسلم بين الأمم والقبائل، وما يحدث بين البشر يختلف عما يحدث بين الحيوان "الهمل" بفضل ما لهم من فكر وعقل ينم عن وجوه سياسة وقوانين حكمية ينكبون فيها عن المفاسد إلى المصالح وعن القبيح إلى الحسن... بما نشأ عن العقل من ذلك عن تجربة صحيحة وعوائد معروفة بينهم [3]، والمعاني تحصل للإنسان نتيجة التعامل والتجربة والخبرة، ولا تكون بعيدة كل البعد عن الحس، ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسر له منها مقتنصا له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه، حتى يتعين له ما يجب وينبغي فعلا وتركا ، وهكذا يكون الإنسان جاهلا بالذات، وعالما بالكسب [4].

3- **العقل النظري** :وهو ما يحصل به تصور الموجودات غائبا وشاهدا كما هي عليه في الحقيقة، وهو العقل الاستنتاجي الذي يجرد المعاني والتصورات من لواحقها المحسوسة، وهو يأتي في مرحلة لاحقة لما سبقه من العقل التجريبي.

فمن الملاحظ أن "ابن خلدون" يتدرج في بناء العقل حسب ملاحظة نمو الإنسان وتطوره ،فالطفل لا يميز شيء مع ولادته، ثم عن طريق التجربة يكتسب معارف ثم يطورها إلى أنساق فكرية .

---

[6] سورة النحل، الآية: 78.

[1] سورة العلق، الآية: 1-5.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 594.

[3] المصدر نفسه، ص 594 .

[4] المصدر نفسه، ص 599.

ومن الواضح أن منطلقات النسق المعرفي لابن خلدون تناولت المحاور الكبرى لأي فلسفة شاملة كاملة من مواقف ونظريات حول الإلهيات (التوحيد) والطبيعة (عالم الحوادث) وكذلك الإنسان وقدراته المعرفية ،ومدى الصدق الذي يستطيع أن يحوزه انطلاقا من داخل عقله أو من خارجه .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند ابن خلدون

أولا: المؤلف الذي جاء فيه التصنيف

خصص ابن خلدون ،الباب السادس ، من الكتاب الأول ،في مقدمته (كتاب العبر) [1] تحت عنوان: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال ،وفيه مقدمة ولواحق [2]،وقد ابتدأ ابن خلدون هذا الباب بقوله: "فالمقدمة في الفكر الإنساني، الذي تميز به البشر عن الحيوانات واهتدى به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه بأبناء جنسه والنظر في معبوده، وما جاءت به الرسل من عنده ،فصار جميع الحيوانات في طاعته وملك قدرته وفضله به على كثير خلقه" [3].

ثم يقسم هذا الباب إلى ستين فصلا، لا يتسع المقام لذكرها، علما أنها جميعا متعلقة بهذا البحث سواء من حيث هي مقدمات أو نتائج لعلم أصناف العلوم ،فمثلا، يذكر في الفصل الأول: أن العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري، وفي الفصل الثاني: يذكر أن التعليم للعلم من جملة الصنائع وأن له مشاهير وأئمة يختصون به شأنه شأن الصنائع كلها، ثم يقرر في الفصل الثالث: أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارات، وبعد هذه المقدمات الثلاث، يصل إلى أهم الفصول بالنسبة إلى البحث الذي نحن بصدده وهو الفصل الرابع: في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد [4].

ثم يخصص فصلا لكل صنف من العلوم في ثنايا الفصول الستين، يتناوله بالتعريف والتمييز بينه وبين العلوم المتقاربة معه، وعزله بالموضوع والغرض منه وأعلامه الذين ألفوا فيه وتقييم أعمالهم والإشارة إليها بالضعف أو القوة. وأحيانا مدارس تلك العلوم والفنون .

---

[1]"العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" والمقدمة هي الجزء الأول من هذا الكتاب.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 542.

[3]المصدر نفسه، ص 542.

[4]المصدر نفسه، ص 549.

ومن أمثلة ذلك التفريق بين علم السحر وعلم الطلسمات، وكذلك علم السيميا وعلم أسرار الحروف وعلم الكلام والفلسفة بالفصل بين المسائل الإيمانية (العقائد) عن المسائل الفلسفية المتعلقة بعلم الإلهيات، حيث يتميز أحد الفنين عن الآخر [1].

وذهب إلى حد التفريق بين علوم البشر وعلوم الملائكة وعلوم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب .

و لم يغفل ابن خلدون الحديث عن عوائق تحصيل العلوم والتي من بينها كثرة التأليف ويجب تحديد المقاصد التي ينبغي اعتمادها في التأليف، وأن كثرة الاختصارات في العلوم مخلة بالتعليم، وقد وضع منهجا في تعليم العلوم الآلية ،ولا يجب أيضا أن تفرع فيها المسائل لأنها علوم غير مقصودة لذاتها [2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص 591.

[2] المصدر نفسه، ص 738.

ثانيا: شكل التصنيف :

يخصص ابن خلدون فصلا من مقدمته لتصنيف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد، حيث يقول: "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي صنفين[1]:

- الصنف الأول: وهو الصنف الطبيعي في الإنسان ويهتدي إليه بفكره، وهو العلوم العقلية أو الحكمية .

- الصنف الثاني: فهي العلوم النقلية أو الوضعية، لكنها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال للعقل فيها .

1- العلوم النقلية :

وهي العلوم المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة "التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للإفادة" [2]، ويقصد بها ابن خلدون الواضع الشرعي الله سبحانه وتعالى وقد وضع هذه العلوم بمقتضى الحكمة والمصلحة الذي هو أعلم بهما منا. وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية، ودراستها واجبة على كل مسلم لأنها ضرورية لحياته لارتباطها بالدين وقد بلغت هذه العلوم الشرعية من التنظيم والاكتمال والتنقيح مبلغا تاما مع حسن التنسيق وكان لكل فن رجال يرجع إليهم وأوضاع نستفاد منها .

ويشرع ابن خلدون في تقسيم هذا الصنف من العلوم إلى فروع هي: علم الفسير، وعلم القراءات، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الخلافيات، وعلم الجدل، وعلم الفقه، وعلم الكلام، وعلم التصوف، وعلم تفسير الرؤيا، وهذه العلوم مقصودة لذاتها ،ثم يلحق بها العلوم التي هي آلة على سبيل التمهيد لها وهي: علوم اللسان العربي كالنحو واللغة والبيان والأدب [3].

---

[1] ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص 549.

[2] المصدر نفسه، ص 550.

[3] المصدر نفسه، ص 753.

ويرى ابن خلدون أن هذه العلوم لا يجب التوسع فيها، بقوله: "وأما العلوم التي هي لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل ،لأن ذلك مخرج لها عن المقصود"[1].

كما يؤكد ابن خلدون قبل الدخول في المعرفة يجب إجادة العلوم اللسانية لأنها تسبق العلوم الشرعية، فهي تضع قوانين اللغة كما يجب إجادة المنطق لأنه يسبق العلوم العقلية لأنه يضع قوانين الفكر، ويعلل ابن خلدون عدم التبحر في علوم الآلة لقصر العمر، والواجب عدم تضييع العمر إلا في تحصيل العلوم المقصودة لذاتها [2].

2- العلوم العقلية :

وهي العلوم الحكمية الفلسفية التي هي طبيعية للإنسان، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل بوجه النظر، فأهل الملل كلهم يستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة [3]، وهي أربعة أساسية تتفرع إلى جملة من الفروع :

أ- علم المنطق.

ب- العلم الطبيعي : علم الطب، وعلم الفلاحة، وعلم السحر، وعلم الطلسمات، علم الكيمياء .

جـ- العلم الإلهي .

د- علم التعاليم : علم العدد، علم الهندسة، علم الهيئة، علم الموسيقى.

وقد عقب ابن خلدون على هذا التصنيف بفصول نقدية تناول فيها بعض العلوم بالإبطال ومنها الفلسفة وصناعة النحوم وصناعة الكيمياء، والسحر والطلسمات .

لقد رفض ابن خلدون الفلسفة اليونانية المتعلقة بما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) والعلم الإلهي لأن ذواتها

مجهولة رأسا ،ولا يمكن التوصل إليها ولا البرهان عليها، لأن تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية

المشخصة، ونحن لا ندرك الذوات الروحانية [4].

---

[1] ابن خلدون ،المصدر نفسه، ص 739.

[2] المصدر نفسه، ص 739.

[3] المصدر نفسه، ص 629.

وقد اعترض ابن خلدون على قدرة وسائل المعرفة في الفلسفة اليونانية على إدراك حقيقة الغيب حيث زعموا أن الوجود كله ،الحسي منه وما وراء الحسي ،تدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية ،وأن تصبح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع [1] وقد وضعوا لذلك قانونا يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل وسموه المنطق، وقد أكد **ابن خلدون** أن هذا لا يصلح إلا للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات المحسوسة، وعلى الرغم من ذلك لم تكن نتائجه دوما صحيحة فقد تناقضت نتائجه مع الواقع لأنه يعتمد صورة الفكر [2]. وما فائدته إلا ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين ويحذر ابن خلدون من الانكباب على علوم الأوائل وهو خلو من علوم الملة ،فقل أن يسلم لذلك من معاطبها [3].

أما في علوم السحر والطلسمات فقد عرفها بأنهما :استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر والثاني هو الطلسمات وهذه العلوم مهجورة من الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره [4]، كما يضم علم أسرار الحروف إلى الطلسمات وقد ظهر على يد الغلاة من المتصوفة في الملة وجنودهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وزعموا أن الكمال الإسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب [5].

و لم يقبل ابن خلدون علم الكيمياء كعلم ينظر في المادة التي يتم بها ،كون الذهب والفضة الصناعة[6] ،أي قلب المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة واتفق ابن خلدون مع ابن حزم وابن عبد البر في ذلك وخالفهم ابن تومرت بإمكان ذلك .

وقد أبطل ابن خلدون أيضا صناعة النحوم، هذه الصناعة التي يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث.

---

[4] المصدر نفسه، ص 710.

[1] ابن خلدون ،المصدر نفسه، ص 707.

[2] المصدر نفسه، ص 709.

[3] المصدر نفسه، ص 713.

[4] المصدر نفسه، ص 655.

[5] المصدر نفسه، ص 664.

[6] المصدر نفسه، ص 695.

ويرى ابن خلدون والمتقدمون أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة ،أمر تقصر له الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله إذ التجربة إنما تحصل في المرات المتكررة، وهذا يحتاج في تكراره آماد وأحقاب متطاولة [1]، وقد نسب بعض الضعفاء هذه التأثيرات للوحي والأنبياء وقد أبطل ذلك بقوله: هو رأي فائل ،وأن تعلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتعرضون للأخبار عن الغيب إلا أن يكون عن الله [2].

والملاحظ ان ابن خلدون يتناول هذه العلوم المذمومة وهي التي تخرج عن دائرة العقل والشرع بالنقد والرفض انطلاقا من فكرة التوحيد عنده ،وهو ما سنراه في أساسه التصنيفي لاحقا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ابن خلدون ،المصدر نفسه، ص 714.

[2] المصدر نفسه، ص 714.

رسم توضيحي لـ:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا:أساس التصنيف :

وقد بدا واضحا أن تصدير ابن خلدون للعلوم الشرعية بالقرآن وعلومه والحديث وعلومه، ثم اتباع ذلك بعلوم الفقه والعقيدة وعلوم اللغة، ثم تجلية ما جاء في هذه العلوم من حيث المبنى والمعنى، إلا تحديدا لأهداف تتناسب مع حياته كما رسمتها عقيدته، ويبدو ان ابن خلدون مرتبط بالقرآن والحديث على سبيل التزعة التأصيلية المرجعية وهي إشارة إلى أن هذه العلوم ينبغي أن يكون البحث فيها بالحقيقة الدينية الشرعية[1].

لقد ظهر بوضوح عند "ابن حزم" التفريق بين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة وذلك بمقياس الشرع، وبطريقة غير مباشرة عند "ابن خلدون" حيث أخرج من دائرة الشرع والعقل تلك العلوم التي تؤدي إلى عرقلة أغراض الدين، مثل السحر والشعوذة والتنجيم. وقد عبر ابن خلدون عن ذلك: "واما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا"[2].

وفي نفس هذا السياق علق "ابن خلدون" على علم الفلاحة بقوله:

" كان النظر فيه عندهم (الأوائل) عاما في النبات من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خواصه وروحانياته ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر، ولما نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب (الفلاحة النبطية) وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا، فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه، وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة" [3].

وهذه الملاحظة التي يوردها "ابن خلدون" تبين حقيقة الأساس الذي من أجله يوضع العلم كمصنف في إطار الشريعة الإسلامية، وذلك هو الغرض العام الذي من أجله وجدت العلوم الإسلامية وهو خدمة الحقيقة الدينية .

---

[1] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي،مرجع سابق ، ص 67.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص ص 662 – 663.

[3] المصدر نفسه، ص 652.

وقد استشعر "ابن خلدون" ذلك بوضوح بأن العلوم النقلية هي التي تكشف عن الحقيقة الدينية أساسا، وان العلوم العقلية عرضة للانزلاق، ولذلك ينبغي تصويبها ونقدها حتى تؤدي إلى نفس الغرض، وهذا ما طرأ على علم المنطق والفلاحة لما أدخلا إلى البيئة الإسلامية .

رابعا: علاقات العلوم في النسق الخلدوني :

إن المتأمل في تصنيف "ابن خلدون" للعلوم والمعارف والذي جاء في مقدمته الشهيرة نلاحظ انه لا يقتصر على إدراج العلوم الأساسية فقط، وإنما وضع المقدمات الضرورية في عملية تحصيل العلوم التي لا يمكن أن تتم إلا بها ،فهو يدرج العلوم التالية كأساس للعلوم الأخرى في وحدة متآلفة .

إن ما ورد عند "ابن حزم" و"ابن خلدون" من تقسيم للعلوم إلى علم عقلي وعلم شرعي لم يكن تقسيما على أساس التناقض أو التنافر بينهما موضوعا أو غاية، بل هو تقسيم على أساس وسيلة المعرفة [1]، أي فصل منهجي بغية البحث والدراسة، ولذلك نجد "ابن خلدون" يجعل لفهم القرآن وعلومه والحديث وعلومه ،وجوب إتقان علوم اللسان من لغة، ونحو، وبيان وآداب، ويتكلم أيضا عن أصول الفقه بأنه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة، وهو النظر في الادلة الشرعية ثم يربطها لأصولها وهو القرآن ثم السنة المبينة له [2].

كما يدرج علم الفرائض والمعاملات تحت العلوم العددية، "وفيه تآليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب... وهو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة تقينية" [3].

وقد بين ابن خلدون حقيقة التواصل بين العلوم الشرعية تمهيدا لإيرادها مرتبة في التصنيف حيث يقول: "أصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو الإجماع أو الإلحاق، فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا، وهذا هو علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها، والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم

---

[1] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي،المرجع نفسه، ص 67.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 573.

[3] المصدر نفسه، ص 572.

وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك ،وهذه هي علوم الحديث... ثم أصول الفقه إلى الفقه ثم العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم...إلخ، إلى ان يصل إلى العلوم اللسانية كمقدمات لتلك العلوم [1]، فهذا التواصل في استحداث العلوم في الملة كان للحاجة الملحة، ومنه جاءت العلوم النقلية والعقلية كبرنامج تعليمي عملي لا كتصنيف فلسفي مجرد .

وقد أبرز عبد المجيد النجار حقيقة تواصل العلوم وتكاملها في نسقها الداخلي عند"ابن خلدون" حيث يقول: "أما العلوم العقلية المقتبسة فإنها وضعت أيضا في نطاق الهيكل العام في سياق كانت فيه متواصلة مع العلوم الشرعية متكاملة معها، حتى أن "ابن خلدون" لا يتردد في أن يضع علم الفرائض وهو فرع من الفقه ضمن العلوم العددية، وهي من العلوم المقتبسة – كمظهر للقاء بين الفقه والحساب مبينا ذلك بقوله: "فتشتمل حينئذ هذه الصناعة (أي الفرائض) على جزء من الفقه، وهو أحكام الوراثة من الفروض والمواقيت والإقرار والإنكار، والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها، وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السّهمان" [2].

الخلاصة: لا يختلف "ابن خلدون" عن سابقيه – ابن حزم، ابن عبد البر، ابن تومرت – في جعل الحقيقة الدينية مدار العلوم والمعارف، فالعلوم التي لا تنسجم مع هذه الحقيقة فهي محظورة وخارج النسق، ولا تفاضل بين العلوم في الرتبة أو الشرف إلا ما تعلق بموضوع التوحيد (الذات الإلهية) وكل العلوم ضرورية له، وتضافر كل العلوم النقلية والعقلية من أخل خدمة الشريعة،وأساس تصنيف العلوم عند "ابن خلدون" هو خدمة الأغراض الدينية، وقد أدخل "ابن خلدون" علما جديدا أصيلا إلى هيكل أصناف العلوم لم يكن موجودا من قبل وهو: علم العمران البشري الذي بتوسعه يتوسع العلم وبانكماشه ينكمش ويتقلص .

---

[1] ابن خلدون ،المصدر نفسه، ص 550.

[2] عبد المجيد النجار، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي،المرجع نفسه،ص 69.

الفصل الخامس : الحسن اليوسي و تصنيفه العلوم .

المبحث الأول : ترجمة اليوسي .

المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي الحسن اليوسي.

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند الحسن اليوسي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: ترجمة اليوسي

أولا:اسمه، نسبه، نشأته :

وقد عرف باسمه في كتاب المحاضرات قائلا :

" أنا الحسن بن المسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن ابراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو بن يحي بن يوسف، وهو أبو القبيلة ابن داوود يدراسن بن نينتو، فهذا ما يعد من النسب إلى أن دخل بلد فركلة في قرية منه تسمى حارة أقلال وهي معروفة الآن، والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود، وأبو محمد [1].

وهو فقيه وأديب، ينعت بغزالي عصره، من بني "يوسي" بالمغرب الأقصى، تعلم بالزاوية الدلائية، وتنقل في الأمصار، فأخذ عن علماء سجلماسة ودرعة وسوس ومراكش ودكاته. واستقر بفاس مدرسا، واشتهر، حتى قال العياشي (صاحب الرحلة) فيه: " من فاته الحسن البصري يصحبه، فليصحب الحسن اليوسي يكفيه" [2].

وقد نشأ اليوسي في عائلة متوسطة هي إلى الفقر أقرب، متدينة كان أبوه أميا ورجلا متدينا يخالط أهل الخير ويحي الصالحين، وكان قد أعطي الرؤيا الصالحة وأعطي عبارتها [3].

وقد كان لكتاب "المورد العذب" للجوزي التأثير البالغ على روح الصبي الجياشة وعلى نفسه الصافية يقول في الفهرسة: "فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان ذلك سببا وبذرا لما أنعم الله تعالى به من الإيمان بالطريقة ،ومحبة أهلها والتسليم لهم" [4].

وقد كان رحمه الله حافظا ذكيا، كان يقرأ بعض الكتاب فيفتح الله له في الكتاب كله، ناظر شيوخه فغلبهم حتى سمي بصاعقة العلوم .

---

[1] الحسن اليوسي، المحاضرات في اللغة والأدب، دط، دت، ص 13.

[2] خير الدين الزركلي، الأعلام ج2، ط5، 1980م، دار العلم للملايين، بيروت، ص 223.

[3] الحسن اليوسي، رسائل أبي علي، تح: فاطمة خليل القبلي، ط1، ج1، 1981م، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص 43.

[4] الحسن اليوسي، الفهرسة، تح: زكريا الحنثيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمو الخامس، الرباط، ص53.

ثانيا: الحياة الاقتصادية والاجتماعية:

رافقت الأزمة السياسية أزمة اقتصادية واجتماعية حادة، بعدما وصل المغرب في عهد المنصور إلى أوج قوته وازدهاره فقد امتد إلى السودان، ونجح في الحصول على الذهب، وفي احتكار التجارة الصحراوية وخاصة على الطريق الرئيسة مراكش، وأصبحت إبليغ ونارودانت مراكز كبرى على هذا الطريق الذي أصبح أهم الطرق ، وكانت التجارة الصحراوية تنتهي في موانئ الأطلسي المغربية، حيث كان التجار الأوروبيون ينقلون منها الذهب والنحاس والجلود والسكر، و لم تمض بضع سنوات على وفاة المنصور حتى تدهور مركز المغرب الاقتصادي بسبب الحروب الأهلية من جهة وبسبب المنافسة الأجنبية وتحول طرق التجارة، وتوجه قسم كبير من ذهب السودان نحو مصر والنيابات العثمانية في تونس والجزائر [1] وخلت الشواطئ المغربية بتدهور الوضع الداخلي إلى الشواطئ الإفريقية حيث أقام الفرنسيون مراكز في جزر الرأس الأخضر والسنغال، وأصيبت صناعة السكر بالإهمال والمنافسة الشديدة لسكر البرازيل وغيرها من الجزر [2].

وفي خضم تلك الحروب نبهت الممتلكات وحرقت المزروعات وغير ذلك من ضروب الإتلاف مع تقلص مساحة الأراضي المزروعة، وخلف هذا كله الغلاء الفاحش الذي عرفته المدن ثم المجاعات المتتالية وانتشرت الأوبئة، واجتاح الطاعون شمال البلاد 1099 هـ ثم ظهر بفاس ،يزحف إلى الداخل وقطعت السبل ومات خلق كثير [3].

فالحركة الفكرية النشطة التي عرفتها مدن فاس ومراكش في عهد إزدهار السعديين لم تعد كذلك، فقد انتقلت في عصر الإضطراب والفتن إلى البوادي حيث تعددت المراكز الثقافية وازدادت الزوايا حركية وانتشارا في تلك المناطق النائية .

---

[1] محمد على عامر، ومحمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، تاريخ المغرب العربي الحديث، (المغرب الأقصى، ليبيا) دمشق الجمعية التعاونية للطباعة، جامعة دمشق، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] اليوسي، رسائل أبي علي اليوسي، المصدر نفسه، ص 37 .

ومن الأحداث الاجتماعية التي أثرت في اليوسي ما شهده من جمع الحراطين من مدن وقرى المغرب وتشكيل جيش للبلاد سمي "جيش البخاري" وكان ذلك سنة 1100 هـ وأحدث ذلك قلاقل اجتماعية ذهب ضحيتها بعض العلماء [4].

ومن الأحداث الاجتماعية أيضا التي كان لليوسي فيها دور فاعل ،هو موقفه الشجاع أمام المولى

اسماعيل الذي كتب له يدعوه إلى عدم ترك الثغور بلا عدة ولا سلاح وأن يسترجع الخيل والسلاح للساكنين على الشواطئ المستهدفة ،بعدما نزعها منهم لإخضاعهم للسلطة الشرعية للبلاد، وعلى أثر هذه الصورة القاتمة ،إنكفأ الناس على أنفسهم، وأنزوى كثير من الصلحاء إلى التصوف هروبا من الفتن وعواقب التقلبات السياسية [1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[4] المصدر نفسه، ص 37 .

[1] اليوسي، رسائل أبي علي اليوسي، المصدر نفسه، ص 72.

ثالثا:الحياة السياسية :

عاصر أبو على الحسن بن مسعود اليوسي فترة حاسمة من تاريخ المغرب، وهي ما يحدث عادة من فوضى وفتن وتطاحن عند تفلك وانقراض دولة (السعديين) وقيام أخرى (العلويين) وكان السبب في ذلك تطلع أبناء احمد المنصور للملك وتقاتلهم عليه [1] مما أدى إلى الخراب وتأكد الناس من فشلهم الذريع في ضمان الأمن والاستقرار للبلاد، فظهرت جماعات التمرد والثورة عليهم، ومن بينهم: ثورة ابن أبي المحلى، وثورة حي الشبانات، وثورة أبي حسون السملالي، وثورة الدلائيين[2].

ومن الآثار التي تركها الاقتتال على السلطة هو غزو الدول الأجنبية لبعض المدن القريبة من الشواطئ المغربية، مثل: مدينة العرائش، التي قايض بها المأمون خلال صراعه على السلطة الإسبان لنصرته على أخويه، وسبتة التي استولى عليها البرتغال من قبل، والقصر الصغير وطنجة وأصيلا ثم سقوط آسفي فآزمور.

فقامت إرادات خيرة لتخليص البلاد من هذا التمزق السياسي ومن زعمائها محمد العياشي الصوفي جاهد ضد البرتغاليين في مازغان ،عنيه السلطان زيدان قائدا لأزمور، نجح البرتغاليون في إيغار صدر زيدان عليه، انتقل العياشي إثر ذلك إلى منطقة الغرب حيث لقي تأييدا من قبائل المنطقة في جهاده ضد الإسبان في العرائش والمعمورة [3].

ومن الزعماء أيضا المولى الرشيد الذي عمل على توحيد البلاد تحت سلطته، فدخل تازة ثم فاس ثم غزى الدلائيين وهزمهم في معركة "بطن الرومان" وتم ترحيل كل زعماء الزاوية الدلائية ومن

---

[1] الحسن اليوسي، رسائل أبي علي،المصدر نفسه، ص 32 .

[2] محمود علي عامر، ومحمد خير فارس، مرجع سابق ،ج1، ص 73 .

[3] المرجع نفسه، ص 76 .

بينهم اليوسي إلى فاس وعاش في كنف السلطان الرشيد موفور الكرامة وقد استطاع المولى الرشيد القضاء على مناوئيه وثورة ابن أخيه محمد بن محمد بمراكش .

وبذلك استقرت قواعد الملك للمولى الرشيد، إلى أن جاء أبو المولى اسماعيل الذي ضمن استمرار الدولة بقمع الثورات سواء من أقاربه أو من غيرهم وأعلن الجهاد لتحرير المدن المغربية الواقعة في قبضةالأجانب، واسترجع المهدية من الإسبان 1092 هـــ وفتح العرائش 1001 هـــ. وكان نصرا مبينا فرح له المغاربة، و لم يفت اليوسي هذا الحدث فقد زار المجاهدين المغاربة المرابطين بالعرائش وحثهم
على الجهاد في سبيل الله .

لقد دأب اليوسي على أن يكون عالما ميدانيا يحتك بالطبقات الشعبية ويعلم الناس حب الوطن والذود عنه، ذلك وفقا لمبادئ إسلامية بعيدة عن الرغبة في الحكم أو السلطة، بل كان يدعو إلى التقوى لأن أهلها أشرف الناس مصداقا لقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] سورة الحجرات، الآية: 13.

رابعا:الحياة العلمية :

غادر اليوسي أهله وبلده وهو فتى حديث السن قاصدا سجلماسة بدافع تحصيل العلم قبل أن يكتمل عنده حفظ القرآن ،أو أخذ شيء من جمل العلوم مخالفا بذلك سيرة العلماء الذين لا تتم رحلاتهم إلا بعد أن يحفظ الشاب القرآن الكريم ويحصل جملة من العلوم أو مبادئها على الأقل [1] وكان من علماء سجلماسة وشيوخها أبي بكر بن الحسن القطافي الذي يقول عنه "قرأت عليه ختمة وحضرت عنده جملة من الرسالة، وجملة من مختصر خليل، وجملة من جمع الجوامع والخلاصة" [2] كما جالس الشيخ الصالح أبي العباس أحمد الدراوي الذي ختم عليه القرآن، أما الفقيه أبو عبد الله بن السيد الحسني، فدرس عليه الفقه من رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وشيئا من التوحيد من صغرى السنوسي (أم البراهين) .

ودرس علم القواعد اعتمادا على ألفية ابن مالك ولامية الأفعال وغيرهما، وقد مدح شيخه أبو فارس عبد العزيز الفيلالي الذي أشاد بطريقته بقوله: "وكان له تحصيل في مهمات العربية وله طريقة في التدريس، وتدريج المبتدئين سهلة حسنة فانتفع به الناس كثيرا" [3].

أما في بلاد كلميمة فكانت في القرن الحادي عشر كمركز علمي تكاثر فيه العلماء نتيجة لانتشار الحركة الثقافية بالبادية، وقد كان لليوسي نصيب منها على يد شيخين من شيوخها المشاهير وهما:

---

[1] اليوسي،القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تح: حميد حمايي، ط 1، 1998م، مطبعة شالة الرباط، المغرب، ص 31.

[2] اليوسي، الفهرسة،مصدر سابق، ص 54.

[3] المصدر نفسه، ص 58.

أحمد بن محمد التجموعتي الذي قرأ عليه، جملة من مورد الضمآن وجملة من مختصر خليل، ومن القرآن [4].

ثم محمد بن محمد التجموعتي الذي يقول عنه: "قرأت عليه معظم ألفية ابن مالك والقرآن" [5]، والملاحظ أن نفسية اليوسي كانت تعرف نشاطا متدفقا في طلب العلم والانكباب عليه وكان لليوسي شيوخا كثر لا يتسع المقام لذكرهم جميعا ذكرهم في كتابه "الفهرسة" وقد استحسن اليوسي ذكر الإنسان لأشياخه لأغراض أهمها: أولا- معرفة سنده في الرواية وطريقته في العمل والسيرة، وثانيا- الشكر والمكافأة بذكر الخير ونشر الإحسان [6].

وقد ساعد اليوسي في تفتق فكره وانسياب ارادته نحو تحصيل العلم والعمل به هو انتشار الزوايا في كل مكان في الجبل والسهل والصحراء فكانت خير رافد من روافد الثقافة المغربية في ينابيعها الصافية وأصولها الاسلامية الصحيحة [1] ومن بين هذه الزوايا، الزاوية الفاسية، والزاوية الدلائية والزاوية الناصرية والزاوية العياشية أو (الحمزاوية) [2]، وكانت هذه الزوايا الأربعة تدرس أصول الدين والفقه وأصوله، والتصوف، والقرآن والحديث واللغة وقواعدها، وكان الملوك العلويون يدعمون العلماء وينشطون الحياة العلمية بالتحفيز والعطايا والمنح...

وقد كان لليوسي حياة علمية زاخرة بالمؤلفات المتنوعة في معظم حقول المعرفة من أدب وشعر وفي المنطق والعلوم الاسلامية والتاريخ والأنساب والتراجم ... ومن أشهرها الفهرسة والقانون، والمحاضرات، ومشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص وزهر الأكم، وعدة رسائل في النصح والتوجيه لجميع الأخوان، وكانت مسحة الصوفي بادية في كل رسائله، تقوم على مبادئ سنية صافية لا تشوبها شائبة [3].

---

[4] المصدر نفسه، ص 58.

[5] المصدر نفسه، ص 58.

[6] المصدر نفسه، ص 49.

[1] الحسن اليوسي، رسائل أبي علي اليوسي، مصدر سابق، ص 37.

[2] صبيرة عامر، تصنيف العلوم بين المعيارية والوصفية، مذكرة لنيل الماجستير في فلسفة العلوم، إشراف: عبد الوهاب فرحات، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية، 2011م – 2012م، ص 176.

[3] اليوسي، رسائل أبي علي اليوسي، مصدر سابق، ص 82.

المبحث الثاني: منطلقات النسق الفلسفي عند الحسن اليوسي

لايختلف اليوسي عن سابقيه من مفكري المغرب الإسلامي في وضع الأسس العامة لتصوره العقدي ونظامه الفكري في جميع تفاصيل كتبه ورسائله، الذي يربط فيه بين الخطاب الصوفي والفعل السياسي وبين العمق والبساطة وبين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة، وتتمثل هذه المبادئ فيما يلي:

أولا: الله– (الخالق) :

يؤسس اليوسي قبل الشروع في الفصل الأول من كتاب القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم بتمهيد يضع فيه المقدمة الأولى التي هي أصل العلم بقوله: "فاعلم أنه دلت الصنعة من جهة امكانها أو حدوثها أو كليهما، على ما سيجيء في محله، على وجود الصانع الحق تعالى" [1]، وهنا يتفق اليوسي مع ابن تومرت تماما في أن الصنعة دليل على الصانع قطعا، والصنعة حادثة والصانع قديم إذ لا قديم عندنا ولا واجب وجود إلا ذاته تعالى وصفاته القائمة بذاته وقد خلق الأشياء المختلفة لأنه تعالى مختار في فعله، وقد اقتضى الإختيار، أن له تعالى إرادة وقدرة، وعلما محيطا، وحياة دائمة، فكان له النفع والضرر، وقد وجب أن يكون تعالى قائما بنفسه [2]، إذ

[1] الحسن اليوسي، القانون، مصدر سابق، ص 106.

[2] المصدر نفسه، ص 106.

لو احتاج لم يستبد بالملك، فهو حاكم غير محكوم عليه، قاهر غير مقهور، آمر غير مأمور، فعلم ان النفع منه فضل، والضرر عدل [3] وهذا خلافا للمتعزلة التي توجب على الله الأصلح .

والملاحظ أن الحسن اليوسي اختار عن عمد التأسيس لعقيدة التوحيد وإجلاء معنى الربوبية والإلهية في المقدمة الأولى، لأن إغفال هذه الحقيقة، حقيقة الحقائق يؤدي بالضرورة إلى بناء تصورات فاسدة عن ماهية العلم الذي يؤسسه الله فينا بحكم الطبيعة الإنسانية في العقل الذي هو بدوره يؤسس الطبيعة (القوانين) .

ثانيا: الطبيعة (العالم) :

"فكان من اختياره ايجاد العالم، وكان من الحكمة في ايجاده أن يكون مظهرا لفضله بالإنشاء والإعطاء، والإغناء والإنعام والإكرام، ونحو ذلك، وكان من اختياره سبحانه أن يجعل منه من يعقل ذلك ويعلمه فيشهد به" [1] ولا حاجة لله بهذه الشهادة لا بالزيادة ولا بالنقصان ولا ليزداد سبحانه بذلك كمالا، ولا ليدفع به نقصا، كيف وهو القائم بنفسه الغني القاهر، ولكن المنفعة تعود على الشاهد ،وهذا طبقا لقوله تعالى: چ ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ھ ھ ھ ھ ے ۓ چ [2] ومصداقا لقوله تعالى: چ ئم ئى ئي بجبح بخ بم بى بي چ[3]، وهنا يدفع أبو المواهب فكرة سيئة عند بعض الفلاسفة تدعي ،أن الله استوحش وحدته فخلق الخلق للاستئناس بهم، معاذ الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، وقد فصل اليوسي وجوب الاعتقاد بالتمييز بين الخالق والخلائق وأن الخلائق من خلقه واختياره بالإرادة المطلقة يفعل الله تعالى ما يشاء ويفعل ما يريد [4].

---

[3] المصدر نفسه، ص 107.

[1] الحسن اليوسي، القانون، المصدر نفسه، ص 107.

[2] سورة فاطر، الآية: 15.

[3] سورة الأنعام، الآية: 18.

[4] الحسن اليوسي، القانون، المصدر نفسه، ص 107.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد حدد اليوسي ذوي العلم من الخلائق وهم ثلاثة أصناف: الملائكة والإنس والجن ومادة خلقهم، فالأول من النور المحض والثاني من أخلاط أربعة تراب ونار وماء وهواء والثالث من النار وقيل الهواء [5]، في مقابل الحيوان والنبات والجماد، وربما كان اليوسي دقيقا في تحديد مادة الخلق، فقد جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: چ ے ۓ ۓ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ چ [6].

وقد ربط اليوسي العلم بالعقل وجعله آلته، وهو مناط التكليف الشرعي، ففاقده من المخلوقات كالجمادات والعجماوات، لا تكليف عليه وكذا فاقده من الصبيان والمجانين .

ثالثا: قوة العقل :

وقد أشار الإمام اختلاف العلماء في مفهوم العقل وماهيته ،فيرى الشيخ أبو الحسن الأشعري: هو "العلم ببعض الضروريات" أي ببعض القضايا الكلية البديهية [1]، وقال القاضي [2]: هو "العلم بوجوب الواجبات، واستحالة المستحيلات، ومجاري العادات"، وقال الإمام الظاهري [3]: إنه "غريزة يتبعها العلم بالضروريات، عند سلامة الآلات"، وقيل هو: "قوة حاصلة عند العلم بالضروريات، يتمكن بها من اكتساب النظريات" وقيل: "هو نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية"، وكل هذه المفاهيم يقول اليوسي ترجع إلى معنى واحد، أن هذه الغريزة مبدأ وجودها عند إجتنان الولد، ثم لا تزال تنمو حتى تكمل عند البلوغ [4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[5] المصدر نفسه، ص 108.

[6] سورة الرحمان، الآية: 14 – 15.

[1] الحسن اليوسي، القانون، المصدر نفسه ،ص 110.

[2] المقصود به: أبو بكر محمد الطيب الباقلاني (ت: 403 هـ) المتكلم على مذهب أهل السنة وأهل الحديث.

أنظر: الزركلي، مرجع سابق،م 2،ص 278

[3] هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري (201 – 270 هـ) من تآليفه "الحجة" و "ابطال القياس"

أنظر:أبي الفلاح عبد الحي بن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ط 2 ،م 2 ، 1979 م-1399ه، دار المسيرة ، بيروت ، ص 258

[4] الحسن اليوسي، القانون، المصدر نفسه ،ص 111.

ثم يقسم القوة الغريزية الفطرية التي تنمو بالاكتساب من حيث هي عقل نظري وعقل عملي، وتقسيم هذه القوة من حيث هي على طرفين:

- إما أن تلاحظ من حيث تأثرها عما فوقها من المبادئ باستكمال العلوم والإدراكات فتسمى عقلا نظريا.

- أو من حيث تأثرها فيما تعلقت به بالتكميل، فتسمى عقلا عمليا [5].

ثم يذكر اليوسي في كتابه الفهرسة مراتب العقل وقد قسمها الحكماء إلى أربعة:

* الأول العقل الهيولاني: وهو قوة محضة استعدادية ليس معها شيء من الإدراك.

* الثاني العقل بالملكة: وهو حصول إدراك الضروريات والاستعداد للنظريات.

* الثالث العقل بالفعل: وهو حصول ملكة استنباط النظريات من الضروريات.

* الرابع العقل المستفاد: وهو أن تكون العلوم النظرية متمثلة حاضرة لا تغيب، فإن أريد جميعها فهو أمر ممكن ولكنه صعب إلا بإذن الله إكراما لبعض عباده مثل الأنبياء أو الصالحين [6].

وقد يلاحظ في القوتين الكمال والحكمة، ففي الأولى القوة النظرية، معرفة أعيان الموجودات وأحوالها وأحكامها، على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية وتسمى حكمة نظرية.

أما الثانية فهي القيام بالأمور على ما ينبغي وتسمى حكمة عملية وقد فسروا الحكمة بجمع القوانين بأنها خروج النفس من القوة إلى الفعل في كمالها الممكن علما وعملا [1].

غير أن اليوسي تعذر نيل التحقيق علما وعملا دون التأييد بنور الشريعة فرجعت الحكمة بالحقيقة إلى الشريعة، وهي في الدين الصادق بمجموع العلم والعمل على ما يرضي الله تعالى [2].

وتنقسم الحكمة سواء النظرية أو العملية لكليهما إلى ثلاث:

فالعملية إلى: علم الأخلاق، علم تدبير المنزل، علم السياسة.

والعلمية إلى: الإلهي، والرياضي والطبيعي، وسنشرح هذه الأقسام عند تقسيم العلوم إن شاء الله تعالى.

---

[5] المصدرنفسه، ص 111.

[6] الحسن اليوسي، الفهرسة، ص 10.

[1] الحسن اليوسي، القانون، المصدر نفسه ،ص 112.

[2] المصدر نفسه، ص 113.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند الحسن اليوسي

أولا:المؤلف الذي جاء فيه التصنيف

خصص اليوسي كتابين هامين لهما قيمة علمية كبيرة ضمن فيهما من تصنيف العلوم وهما: الفهرسة، والقانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم.

1-الفهرسة:

وهو كتاب يتكلم عن فائدة العلم ووجوب تخليده في بطون الأوراق حتى لا يضيع، لأن الحفظ في الصدور كان شأن الأئمة الصدور ثم ذهب ذلك فلم يبق اليوم إلا الحفظ في السطور [1]، وأن العلم حياة الأرواح، فكما أن قوام الأبدان الإنسانية بالتغذية بالطعام والشراب المعتاد، فقوام الأرواح بالتغذية بالعلم المستفاد، ويقول اليوسي "وإني أريد بعون الله وتوفيقه أن أسطر في هذه الفهرسة مما حضرني من الحكم والفوائد والملح وغير ذلك من الأمور التي ينبغي تخليدها" [2]، وقد بين اليوسي منهجه في التأليف.

---

[1] الحسن اليوسي، الفهرسة، مصدر سابق ،ص 2.

[2] المصدر نفسه، ص 2.

فقسم كتابه إلى قسمين، مقدمة تحتوي على ثلاثة عشر فائدة، فالأولى: في تفسير معنى الحكم والفوائد والملح، والثانية: بين فيها أن العقل مناط التكليف اجماعا، والثالثة: وقت العقل عند الصغير، ومراتب العقل، والرابعة: في كون العقل عرضا أو جوهرا، والخامسة: في تعريف العلم، والسادسة: في أن العلم قد يحمل معنى المعلوم، والسابعة: أن العلم بالمعنى المذكور صناعة، فالعالم أي ذو العلم، والثامنة: في تقسيم العلوم، والتاسعة: في مبادئ العلوم، والعاشرة: في تعريف المناظرة وأقسامها بحسب استقراء قواعد الشرع والحادية عشر: في شروط المناظرة وآدابها وفوائدها، والثانية عشر: في المذاكرة وفوائدها، والثالثة عشر: في الإقراء .

ثم خمسة فصول .

الفصل الأول: في ذكر أشياخه في التعلم مع الالمام بشيء من الفوائد الواقعة معهم .

الفصل الثاني: في ذكر الأشياخ في الدين ولو بطريق التبرك كذلك .

الفصل الثالث: في ذكر شيء مما ألهم الله تعالى في آية أو حديث أو شعر أو كلام من فهم على طريق الإشارات (لغة المتصوفة) .

الفصل الرابع: في ذكر شيء مما خاطبت أو خوطبت به من نثر أو نظم .

الفصل الخامس: في جمع الفوائد الملقوطة من أي نوع كان والله المستعان [1].

وهو كتاب زاخر لمن أراد أن يدرس شخصية أبو المواهب العلمية، ويقف على ما أتقن من علوم وفنون ضاهى بها كبار المصنفين من أمثال ابن خلدون، وقد أوتي اليوسي فتحا ربانيا وقريحة وقادة وفطنة ذكية يقول : فبأدنى سماع ينفعني الله تعالى [2] وما ذلك على الله بعزيز.

2- القانون:

وهو كتاب عرف به مصنفه بقوله "فهذا بعون الله قانون يشتمل على أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، وما يتعلق بشيء من ذلك على وجه الإشارة، والإختصار في العبارة" [3]، وقد ألف اليوسي كتاب القانون وفق منهج دقيق في ترتيب موضوعاته، فهو يدرج تحت كل باب عددا من الفصول ، ثم يختم بخلاصة جامعة لأشتات من الفوائد، ويقول اليوسي، أنه :"لم يقصد

---

[1] الحسن اليوسي، الفهرسة،المصدر نفسه ، ص 6.

[2] المصدر نفسه، ص 79.

[3] الحسن اليوسي، القانون،مصدر سابق، ص 88.

في هذا الكتاب استيفاء كل فن من الفنون، فإن ذلك لا يسعه موضوع عادة، بل ضبطها والإشارة إلى جملة منها، تنبه على ما وراءها، ونوثر في ذلك القوانين على الجزئيات" [4].

وقد كشف اليوسي فائدة الكتاب والغرض منه في قوله "هذا الكتاب إنما وضع لضبط القانون في الجملة، ليكون الطالب على بصيرة منها علما وأخذا وتركا" [5].

وقد جاء الكتاب في ثلاثة أبواب :

الباب الأول: في أحكام العلم، ويتضمن خمسة عشر فصلا، وخاتمة .

الباب الثاني: في أحكام العالم، ويتضمن ستة عشر فصلا، وخاتمة .

الباب الثالث: في أحكام المتعلم، ويتضمن سبعة عشر فصلا، وخاتمة .

وقد تناول أبو المواهب في خضم هذه الفصول شرح ماهية العلم لغة وعرفا والتصور والتصديق والحادث والقديم والضروريات والرد على كل منكر بها، والإحساس والخبر والنظر، والنظر إما صحيح وإما فاسد، وفي شرح الدليل وأنه يكون عقليا ونقليا...

ثم تناول المراد بالعالم وهو من له العلم بمعنى الفن، وكذلك ماهي آداب العالم في نفسه سواء في تحصيله أو تدريسه، واختلاف المدرسين والتلاميذ والمدارس. وقد ذكر الفرق بين التأليف والتصنيف وأقسام الكتب وأنواعها... وطرق نشر العلم وبيان أصول هذه الطرق، وبين في الفصل التاسع أن الاشتغال بالتعليم أفضل من بعض العبادات وأن التصنيف أفضل من التدريس والكل منفعة للناس .

ثم تناول المراد بالتعلم من حيث اللفظ وآداب التعلم ،وأن يتحرى الصالح للمشيخة وأن يتعلم الطالب العبر والتأدب في الدرس وفضل الرحلة في طلب العلم، ثم يختم الباب الأخير بتفصيل الناس بحسب الإنتفاع بهدي الله وانفراد المعلم والمتعلم بالشرف وأنهما شريكان في الأجر.

إن هذه المسحة الوجيزة لمحتويات الكتاب "القانون" تبرز مدى رحابة فكر اليوسي وشموليته وموسوعيته وهو عمل ضخم يضاف إلى موضوع مبادئ العلوم وأقسامها مثل ما قام به الإمام ابن عبد البر (جامع بيان العلم وفضله) وابن خلدون (المقدمة) وغيرهم .

ثانيا: شكل التصنيف لقد ضمن اليوسي لتقسيمه للعلوم في كتابين كما عرفنا سلفا وهما :الفهرسة والقانون، ومما جاء في القانون في الفصل العاشر قوله: "العلوم على الجملة، إما قديمة

---

[4] المصدر نفسه، ص 88.

[5] المصدر نفسه، ص 88.

وإما حادثة، وإن شئت قلت إما فلسفية وإما ملية، أو إما قديمة أو إما إسلامية، وهو أضبط لأن من القديم ما ليس بفلسفي كعلوم العرب، غير أن هذه لما لم تكن علوما مهمة، صح أن لا يبالى بها في التقسيم، بل يقتصر على ذكر الفلسفية والإسلامية، وما سوى ذلك يذكر تبعا" [1].واعتبارا للنص فإن العلوم عنده تنقسم إلى قسمين رئيسيين وهما:الأول: قسم العلوم الفلسفية، الثاني: قسم العلوم الإسلامية. ثم يقسم العلوم الفلسفية، فيقول: "أما الفلسفية، فمنها مقبول في الملة ومنها مردود، والمقبول منه مأخوذ ومنه متروك، ولنبدأ بتقسيم الفلسفيات جريا مع عباراتهم فيها، مع الإلمام بما يقبل وما لا" [2] وهنا يشير اليوسي إلى أن العلوم الوافدة على الملة تصفى وتعرض على عقيدة التوحيد فما توافق يقبل وما لا يتوافق يرفض ويحظر، "والعلم إما مقصود لذاته أو لغيره، أما الأول فهو الفلسفة الأولى، المقصود بها تكميل النفس الناطقة، والإطلاع على حقائق الأشياء بقدر الطاقة، وهو إما نظري وإما عملي، فالأول إما مجرد عن المادة مطلقا، وهو العلم الإلهي، أو في الذهن فقط، وهو العلم الرياضي، أو مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي" [3].

وقد عرض اليوسي هذا التقسيم بكل أمانه بحسب ما جاء في تصنيف أفلاطون وأرسطو ،في الفلسفة الأولى (اليونانية) .

وأما الثاني وهو العلم العملي، إما متعلق بنفس الشخص من حيث هي، ويسمى سياسة النفس وعلم الأخلاق، أو بها وبما يحتاج إليه من شهوات قواها، وهو: علم تدبير المنزل أو بما يعم وهو الملكية والسلطنة ...

وأما المقصود لغيره، فإما للذهن وما يناط به من المعاني وهو المنطق وإما للسان وما يناط به من الألفاظ وهو الأدب، وهذا محدث [1].

وأما العلم الرياضي فهو البحث عما تجرد عن المادة في الذهن خاصة، وأنواعه أربعة : علم الهندسة، علم الحساب، علم الهيئة وعلم الموسيقى (علم الأصوات والنغمات) [2].

وقد صرح اليوسي بوجوب إعادة تقسيم العلوم باعتبار المناط على وجه يحيط معها بالعلوم الشرعية واللغوية، وهي إشارة منه إلى أن فن تقسيم العلوم عملية مستمرة في الزمن لا تتوقف

---

[1] الحسن اليوسي، القانون ،مصدر سابق، ص 146.

[2] المصدر نفسه، ص 146.

[3] المصدر نفسه، ص 146

[1] المصدر نفسه، ص 147.

[2] الحسن اليوسي، الفهرسة،مصدر سابق، ص 16.

لإدراج علوم جديدة مثل علم العمران البشري ،أو لاعتبار إعادة هيكلة التصنيف وفق رؤية جديدة، ثم يشرع اليوسي في بيان تمايز العلوم بتمايز موضوعاتها .

أما علم الهندسة : فموضوعه الكم المتصل القار الذات، ومادته النقطة وهي شيء لا ينقسم كالجوهر الفرد في الطبيعيات ،ومن النقطة تتولد الخطوط والدوائر والأشكال .

وعلم الحساب: فهو العلم الباحث عن العدد من حيث انقسامه إلى الزوج والفرد والصحيح والكسر وما يعتريه من الأحوال كالجمع والضرب والقسمة ونحو ذلك .

وأما الهيئة : فهي العلم الباحث عن الأجرام الفلكية أو عنصرية من حيث الكم والكيف والحركة والسكون ويشتمل على النظر في الكواكب وتسييرها والأرض ومعمورها والزمان وأحواله وغير ذلك.

وأما علم النغم : فهو العلم الباحث عن الصوت من حيث تركبه مناسبا مستلذا، وتقدير الإيقاع على الآلات المخصوصة به، ومنفعته التأثير في النفوس بسطا وقبضا [3].

أما العلم الطبيعي وأنواعه : فموضوعه الجسم الطبيعي أي المادي من حيث ما يعتريه من المتغيرات كما وكيفا ويشتمل على أنواع لأنه يقع فيه البحث عن المواد عموما من السماوات والعناصر والآثار العلوية والكون والفساد والمعادن والنبات والحيوان وفي النفس وما يستتبعها من الإنفعالات، وهو يتفرع إلى عشرة علوم: علم الطب وعلم البيطرة، علم الفراسة الحكمية، علم تعبير الرؤيا، علم الأحكام النجومية، علم السحر والطلسمات، علم السيميا، علم الكيمياء، علم الفلاحة وعلم البيطرة . وقد بين اليوسي أن العلم الطبيعي إذا أضيف إلى الرياضي يسمى الفلسفة الثانية كما أن الإلهي هو الفلسفة الأولى، وإذا أضيفت الهندسة والحساب والهيئة إلى المنطق فهي التعاليم .

وأما علم المنطق: فهو العلم الباحث عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث يتوصل فيها بالمعلوم إلى المجهول ويشتمل على مباحث الألفاظ والقضايا والأحكام .الثاني: قسم العلوم الإسلامية لقد تطرق اليوسي في العلوم الفلسفية إلى العلم الإلهي ،وهو العلم المختص بالموجود من حيث هو، أو ذات واجب الوجود ،أو مجموعهما على الخلاف في موضوعه، وقد جعله الأقدمون خمسة أنواع [1]: – الأمور العامة كالوحدة والكثرة والعلة والتقدم ونحوها .

---

[3] المصدر نفسه، ص 17.

[1] اليوسي، الفهرسة،المصدر نفسه، ص 15.

- مبادئ الموجودات .
- إثبات الصانع وما يصح له وما يمتنع عنه .
- تقسيم المجردات .
- احوال النفس بعد المفارقة .وزاد أهل الإسلام نوعا سادسا سموه السمعيات، وهو مبحث النبوءة والمعاد ،وزادة المعتزلة مبحث العدل المعروف عند الأشاعرة بالأفعال، وقال اليوسي، هذا هو علم الكلام عندنا، وسموه إلهيا لاشتماله على مباحث الإله تعالى وهو معظمه ،وسميناه علم الكلام إما لكثرة الكلام فيه، أو لأنه يورث قدرة عليه ،أو لأنه هو الكلام لشرفه [2].وقد عرض اليوسي الأقسام الخمسة قبولا ورفضا من قبل جمهور المتكلمين في الملة قائلا: "إن القسم الأول ،من الخمسة أثبته المتكلمون للانتفاع والاتساع، ونبهوا فيه على الصحيح والباطل" [3]وأما الثاني ،فلا حاصل له إذ كل شيء حادث، وأما الثالث ،فهو المقصود، وأثبتوه على الوجه الصحيح من كونه تعالى واجب الوجود، لا على ما يعتقده الفلسفيون، وأما الرابع ،فلا حاصل له، فإن أريد به العقول العشرة فهي باطلة باتفاق، والله لا نسميه عقلا لأن أسماءه توقيفية، وأما الخامس، فهو داخل في مباحث السمعيات والمعاد .وقبل أن يشرع اليوسي في بيان العلوم الملية تطرق إلى علم الناموس الأعظم أو السياسة السماوية وموضوعها الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء وهو ،أحكام الوحي والنبوءة، ولننظر في خصوص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من الوحي، وما صدر عنه من حكم وحكمة، فنقول: إن كان النظر في الكتاب المنزل عليه صلى الله عليه وسلم فهو علوم القرآن وإن كان في رقم اللفظ، فهو علم الرسم، وإن كان في التلفظ فهو علم القراءة وإن كان في معناه فهو علم التفسير، وفيه علم الناسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النزول، وغير ذلك من العلوم الكثيرة، والعلوم كلها في كتاب الله تعالى تقتنص بواسطة التفسير وفهم أهل الحقائق والإشارت[1].أما علم الفقه وأصوله: فإن كان النظر في استنباط الأحكام تفصيلا فهو نظر الفقيه، وإن كان إجمالا فهو نظر الأصولي .أما علم أصول الدين: فهو استنباط الأحكام الأصلية الإعتقادية، وهو علم التوحيد، علم الكلام، وقد نبه اليوسي أن كتاب الله تعالى كاف لاثبات العقائد وهو يغني عن نقل العلم الإلهي من الفلسفة إلى الملة [2].أما علم التصوف: فهو النظر في

---

[2]المصدر نفسه، ص 16.

[3]المصدر نفسه، ص 20.

[1]اليوسي، الفهرسة،المصدر نفسه، ص 19.

[2]المصدر نفسه، ص 20.

أقوال الأحكام الباطنة لإصلاح القلب بالتخلية والتحلية .وعلم السنة والحديث: وهو النظر في أقوال النبي وأفعاله وتقاريره ويتفرع عنه علم الحديث وهو النظر في الرواة، فالعلوم الشرعية الكبار كما يقول اليوسي، هي: علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، علم الأصول، ثم تتبع ذلك علوم أخرى نذكر منها إجمالا:علم السيرة وموضوعه أحوال النبي، علم الشمائل وموضوعه خصوص أحوال النبي في خلقته وملبسه وقيامه وجلوسه ... وأما ما يستعان به على الجملة، علم اللغة وعلم الإعراب، وعلم التصريف، علم البيان، علم المعاني، علم البديع وهذا كله في كلام العربي على الإطلاق، ثم علم العروض وعلم نقد الشعر وعلم الكتابة وعلم الأدب .ثم أشار اليوسي إلى تداخل علم العربية بالمنطق، فالعربية إصلاح للسان وإصلاح للأذهان فقضايا المنطق مبثوثة في أساليب العرب، وعلم غريب اللغة وعلم أيام العرب وهو تاريخ خاص في البحث في حروب العرب وما وقع فيها من الكلام شعرا ونثرا، ثم علم التاريخ وموضوعه الأخبار وهو النظر في الدول ومددها وأعمار الناس واختلاط البلدان وخلائها وقد يختص التاريخ بشيء معين فيكون تاريخ للبلدان أو الأعيان أو المساجد [3] ... وعلم القصص وعلم الأمثال والحكم وعلم القيافة [4]،

وعلم الزجر [1]، وعلم الأنواء، وهو الاستدلال بالنجوم على المطر وعلم الرمل وهو الإستدلال بأشكال تخط في الرمل أو غيره على أمور غيبية ، وعلم الحيل كعلم الشعبذة [2] وعلم النيرونجات[3].

والملاحظ أن اليوسي أخرج العلم الإلهي وعلم الحساب من العلوم الإسلامية ليضعها في قسم العلوم الفلسفية وكذلك علمي المنطق والطب ثم يستدرك ويقول أنها مأخوذة في الملة أيضا،

---

[3] المصدر نفسه، ص 29.

[4] القيافة: وهو معرفة النسب الإنساني بتوسم الصورة، وهو شعبة من علم الفراسة الحكمية. أنظر : أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ط1 ،م1 ،1405ه -1985م ،دار الكتب العلمية ، ص 329.

[1] الزجر: وهو الاستدلال بحيوانات طائرة أو ماشية أو جمادات من حيث حركاتها أو أصواتها أو أسماؤها على أمور الغيب، فمثلا زجر الطير، فإن طار عن اليمين تفاءل وإن طار على الشمال تشاءم ، أنظر : أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة) ، المرجع نفسه ، ص 338 .

[2] الشعبذة: وهو علم مبني على خفة اليد وهو ليس من السحر ولكن من فروعه، وأيضا من فروع الهندسة ، أنظر:المرجع نفسه ، ص 345.

[3] النيرونجات: وهو علم يعتمد على التمويه والتخييل وهو من فروع السحر، أنظر : المرجع نفسه ، ص 341.

والحقيقة أن اليوسي أراد أن يقول أنها علوم مشتركة وليست خاصة بالملة وحدها. وقد ذكر اليوسي أن تشعب العلوم وتفريعاتها لا تسمح له أن يبسطها كلها فقد بسطها أصحابها في مواضعها، ونفس الشيء بالنسبة إلى هذا البحث فإن تتبع اليوسي في تفاصيل تصنيفه يحتاج إلى رسالة كاملة. وهذا ينم على سعة اطلاع شخصية اليوسي على مختلف العلوم، ويمكن أن نوضح ذلك بشكل تخطيطي لأصناف العلوم عنده .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رسم توضيحي لأصناف العلوم عند الحسن اليوسي

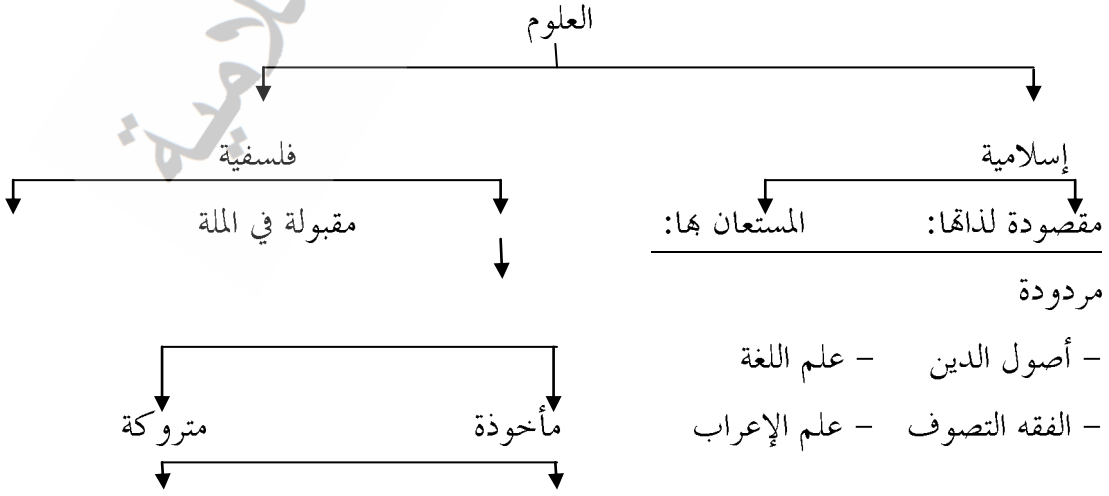

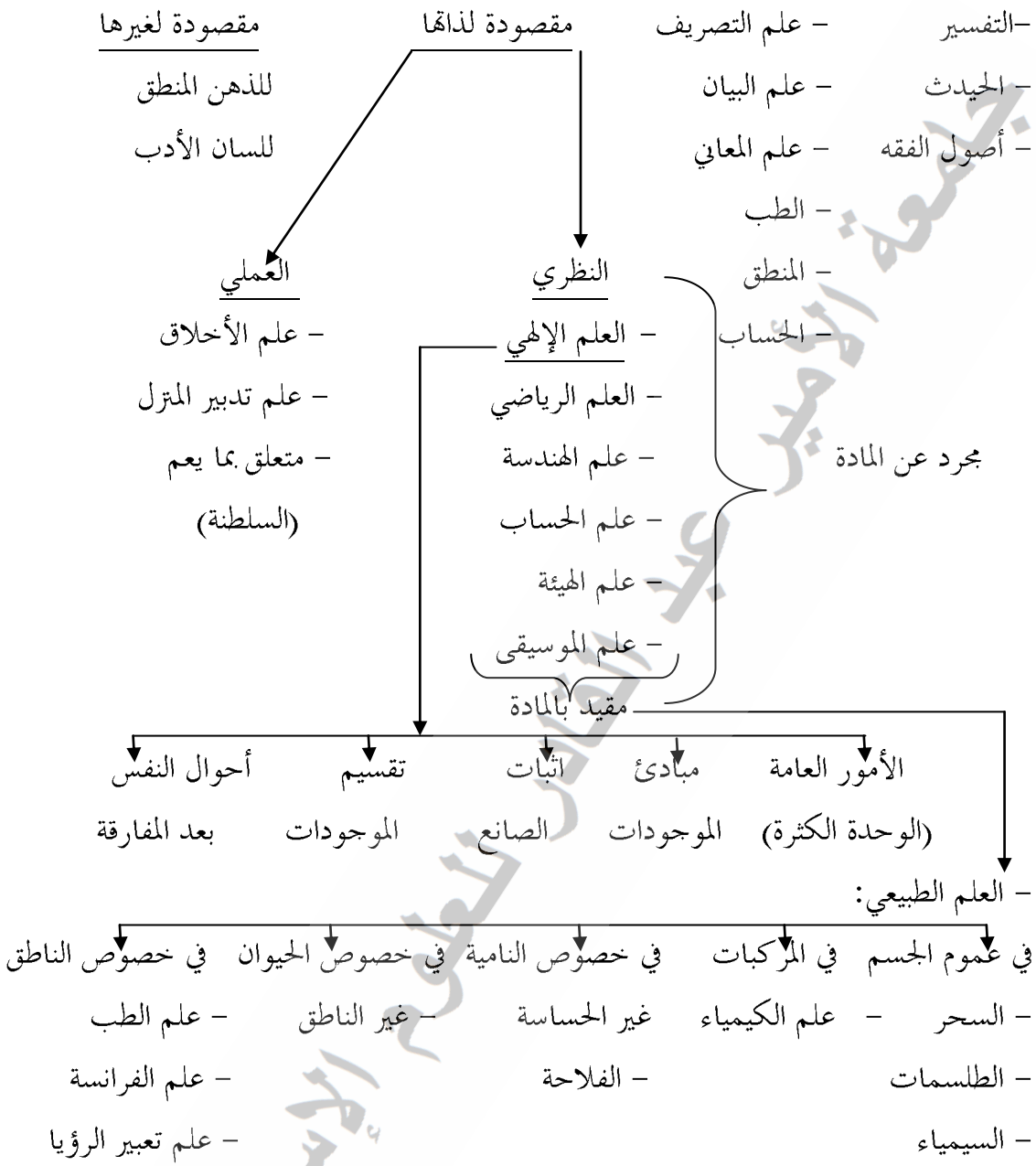

ثالثا:أساس التصنيف

بدأ اليوسي في مقدمة "الفهرسة"، حيث جاء في الفائدة الثامنة أن بعض أئمتنا قسموا العلوم إلى ثلاثة: "علم الفقه للأديان ،وعلم الطب للأبدان، وعلم التصوف للجنان، وما سواه فضول أو هذيان" [1] ويرد اليوسي : إنما ذلك إن أريد فيه المقاصد، أي مقاصد العلوم، فمقصد الفقه هو حفظ الدين، ومقصد الطب حفظ البدن، ومقصد التصوف حفظ القلب، وكل علم كان مقصده

[1] اليوسي، الفهرسة، ص 12.

حفظ هذه الأمور الثلاثة فهو معتبر، وكل العلوم التي أدت إلى ذلك صحيحة ونافعة سواء كانت مقصودة لذاتها أو وسيلة إليه ،فهو علم نافع [2]، ويذكر اليوسي أنه لا يحل لإمرئ أن يتعلم علما حتى يعلم حكم الله فيه ،حتى لا يكون سعيه فيه عبثا [3].

ويشير اليوسي إلى أقسام العلوم كما اشتهرت بالثنائية عند المصنفين كون العلوم إما عقلية وإما نقلية، وقد يقال إسلامية وإما فلسفية، ويزاد في هذا التقسيم أن يقال: الفلسفيات إما مقبولة في الملة وإما مردودة، والمقبولة إما مأخوذة وإما متروكة، وهذا التقسيم الثنائي هو الذي اعتمده اليوسي ولكن بطريقة خاصة، ليس بالشكل الذي ذهب إليه ابن سينا والفارابي بإقحام العلوم الإسلامية في تصانيف جاهزة، بل عرض العلوم الفلسفية على الوحي الرباني (القرآن والسنة) وجعل فيها المقبول في الملة والمرفوض (المحمود والمذموم) والمحمود منها فيه المأخوذ والمتروك، وتسمى العلوم الدينية التي موضوعها الكتب السماوية بالناموس الأعظم دلالة على شرفها وشرف مصدرها.

ثم تخصيص ما نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من وحي اشتمل على كل العلوم، وقد أعطى للعلم قيمة ذاتية ،يقول اليوسي: "واعلم أيضا أن العلم بالشيء من حيث ذاته خير من الجهل به، فإن العلم غذاء العقل، ونزهة الروح، وصفة الكمال والفرق الوحيد بين علم وآخر هو ثمرته" [4].

فالعلم الإلهي "هو العلم الباحث عن الموجود، وهو تبيين المعتقد الحق من الباطل، وسمي إلها لأن فيه أحكام الربوبية، وهذا العلم هو المقصود بالذات للإنسان في كماله، وفوزه في الدارين، وكل ما سواه من العلوم تبع له، فما كان منها دينيا فوسيلة إليه، وما كان دنيويا فبمثابة الخدم، ولهذا توفرت

رغبات العقلاء على طلبه" [1] ،فمن خلال هذا النص يتضح أساس الهيكل التصنيفي للعلوم عند الحسن اليوسي، حيث يجعل الغاية الكبرى لكل العلوم سواء كانت شرعية (إسلامية) أو فلسفية، وسيلة وخدمة للحقيقة الدينية ،وتأخذ مرتبة الشرف والفضل بحسب الإقتراب أو الإبتعاد من الفوز في الدارين .

---

[2] المصدر نفسه، ص 12.

[3] المصدر نفسه، ص 39.

[4] المصدر نفسه، ص 40.

[1] اليوسي: القانون،مصدر سابق، ص 149.

وانطلاقا من هذه الرؤية العقدية الواضحة، جعل اليوسي علم الكلام أو أصول الدين أو التوحيد أشرف العلوم على الإطلاق لشرف غايته، يقول "لا شك أن غاية هذا العلم أشرف الغايات وموضوعه أعلى الموضوعات، ومعلومه أجل المعلومات" [2].

وقد سحب هذه الرؤية على جميع تفاصيل العلوم تصويبا وتدقيقا، فأنكر الإعتقاد في الكوكب والنجم وإسناد التأثير إليهما، فمن أسند هذه الآثار الواقعة في عالم الكون والفساد، وذلك كنزول المطر أو وقوع رخاء أو صحة أو استقامة ملك أو شمول عافية أو أضداد ذلك إلى هذه القرانات بوجه التأثير فهو شرك بالله [3]، فمعيار المحمود والمذموم هو ما خدم عقيدة التوحيد .
وقد جعل العلوم الفلسفية إنتاج بشري محض تعتريه الأخطاء، ولذلك جعلها فلسفيات مقبولة في الملة وأخرى مردودة والمرجع في ذلك هو الوحي الرباني (القرآن والسنة) فبعد ان عرضها كما هي عند أصحابها والمشتغلين بها ،أعاد إدماجها بحيث تصطبغ بالصيغة الإسلامية فعقيدة التوحيد عند اليوسي أساس كل هيكل تصنيفي للعلوم .

رابعا: علاقات العلوم في نسق اليوسي :

لقد استطاع اليوسي برحابة فكره وشمولية اطلاعه على علوم الأوائل (الفلسفية) والتمكن في علوم الشريعة وعلوم اللغة والمنطق إلى ابراز عمق العلاقة بين العلوم جميعا سواء الفلسفية أو الملية. وقد أوضح ذلك جليا مبرزا لهذه الحقيقة تحت عنوان وهو: ما وقع في القرآن من الإشارة إلى

[2] المصدر نفسه، ص 182.
[3] المصدر نفسه، ص 157.

أنواع العلوم[1]. فالقرآن بحر واسع قد وقعت فيه الإشارات إلى جميع العلوم، فمثلا من علم المنطق في الأقيسة كقوله تعالى: ﭽ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ [2] وقوله: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[3] وفي علوم الطب قوله: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[4] ، وفي العلم الطبيعي ذكر القرآن خلق كل دابة من ماء، وخلق الإنسان من طين ومن صلصال ومن حماء مسنون، وعلم الهيئة ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[5] ،وعلم الحساب، كقوله تعالى : ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﭼ[6] ، وذكر القسمة، في قوله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[7] ومنه علم التاريخ والقصص وأصول الصنائع وأسماء الآلات، والنجارة والخياطة والحدادة والنسج والفلاحة وصناعة الفخار والملاحة والكتابة والصبغ، وفيه الصيد والكيل والوزن والبيع والشراء، ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [8].

وقد جاء اليوسي بالآيات القرآنية الدالة صراحة أو بالإشارة إلى علوم الكون (الآفاق) والأنفس (العلوم الإنسانية) فالجمع بين القراءتين قراءة الكتاب المنظور وقراءة الكتاب المسطور، كما مر بنا مع ابن تومرت وابن خلدون أن العلوم تخدم بعضها بعضا، وتتداخل فيما بينها كعلم العربية والمنطق فيذكر اليوسي أنهما علمان مندمجان، بل إن المنطق مودع في كلام العرب، فيقول عن هذه العلاقة: "وليكن في علمك أن علم العربية مع كونه بالذات لإصلاح اللسان، لم يخل من المعاني التي ترتاض بها الأذهان حتى تنال علم المنطق، فكان له فيه النصيب الوافر يعرفه من له خبرة بالعلمين، وفطانة عند موقع النظرين" [1].

وقد أبدع اليوسي في ابراز علاقة العلوم والتقاطعات الحاصلة بين علوم الأوائل والعلوم الناشئة في البيئة الإسلامية (علوم الملة) فيتحدث عن العلم الإلهي وأقسامه الخمسة وما زاده أهل الإسلام من مباحث كالسمعيات، دمج مبحث العدل عند المعتزلة، ومبحث الأفعال عند الأشاعرة وزادت

---

[1] اليوسي، القانون،المصدر نفسه، ص 210 .

[2] سورة الأنبياء، الآية: 22.

[3] سورة الأنبياء، الآية: 99.

[4] سورة النحل، الآية: 69.

[5] سورة الإسراء: الآية: 12.

[6] سورة البقرة، الآية: 196.

[7] سورة الحجر، الآية: 44.

[8] سورة الأنعام، الآية: 38.

[1] اليوسي، الفهرسة،مصدر سابق، ص 26.

الإمامية من الشيعة مبحث الإمامة، والسنية التصوف، وتوسعوا أحيانا في مباحث الآجال والأرزاق [2].

فاعتبر أن ما زاده أهل الإسلام امتداد للعلم الإلهي الذي جاء به الأوائل الفلسفيون بعدما أخضعوه إلى التعديل والتصحيح ورد مباحثهم التي لا تتفق مع عقيدة الملة .

كما قسم العلوم الشرعية إلى غائية ووسيلية، فجعل علم التصوف والأصول وعلوم القرآن غائية مقصودة تطلب لذاتها وعلم اللغة والمنطق وعلم الجدل، علوم آلية مساعدة لا تطلب لذاتها، فالمنطق والاشتغال به لا يكون إلا في الحدود التي تعود بالفائدة على العقائد الإسلامية وذلك بتقريرها والدفاع عنها كالاستدلال على وجود الله، وله فائدة أيضا في علم أصول الدين وأصول الفقه [3].

وقد قسم اليوسي أيضا العلوم إلى كلية وجزئية والعلاقة بينهما علاقة تضمن (علاقة الجزء بالكل) والجزئي مبادئه في الكلي دون العكس [4] وقد اوجب لهذا الأمر ان نعرف نسبة كل علم إلى الآخر، هل هو جزئي أم كلي لترتيب المقدمات وأيهما المقدم وأيهما التالي .

لقد وضع الحسن اليوسي نسقا من العلوم يتعاضد بعضها مع بعض في علاقة تكاملية تاريخية تراكمية فهو لم يرفض علوم الأوائل جملة بل نقحها وصوبها لتنسجم مع روح الوحي الإسلامي فقد تستفيد العلوم الملية المقصودة لذاتها من العلوم المساعدة ولو كانت علوم دخيلة مثل المنطق، والحساب، وعلم الهيئة والفلك... إلخ .

فعلاقات العلوم في النسق اليوسي تعبر عن وحدة متكاملة فلا تكاد تنتهي من علم حتى تدخل في أطراف علم آخر ولا تتناول موضوع علم بالدراسة ،حتى تجد نفسك مرغما للاستعانة بوسائل علوم أخرى .

خلاصة لقد أرسى الحسن اليوسي في هيكله التصنيفي مبدأ العلوم وهو "واجب الوجود" والصنعة دليل على الصانع، والعلم بالصانع وحي ،ولا يسمى **"عقلا"** وقد عرف بأسمائه.

---

[2] المصدر نفسه، ص 15.

[3] انظر: مقدمة المحقق، حميد حمايي، لكتاب: الحسن اليوسي، مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، ط 1، ج1، ، دار الفرقان، الدار البيضاء ص 27.

[4] اليوسي،الفهرسة،المصدر نفسه، ص 39.

ويتجلى أيضا في النسق اليوسي فكرة وحدة العلوم وتكاملها وخدمة بعضها البعض نحو الغاية المنشودة وهي التوحيد الخالص، إن غاية العلوم جميعها هي الفوز في الدارين الدنيا والآخرة، وهي ثمرة طلب العلم القصوى (السعادة)، وأن أساس تصنيف العلوم عنده هو ،مدى الإقتراب أو الإبتعاد عن خدمة الغاية الدينية والفائدة الشرعية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السادس : ابن عجيبة و تصنيفه العلوم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : ترجمة ابن عجيبة

أولا:اسمه، نسبه، مؤلفاته

هو: أحمد بن محمد المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري [1]، والمكنى بأبي عباس الحسني نسبا، التطواني دارا، الفاسي تعلما، المالكي مذهبا، الشاذلي طريقة [2].

ولد الإمام في قرية (أعجبيش)، ومن قبيلة (أنجرة) التي تسكن الجبال المحيطة بمدينة تطوان الواقعة في أقصى شمال المغرب، وكان مولده – رحمه الله – حسبما أورد في فهرسته سنة (1160 هـ)[3] وهو مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب.

نشأ الشيخ ابن عجيبة في بيت صلاح وتقوى، وأقبل على حفظ القرآن وهو في سن مبكرة، وقد تميز الشيخ بالقدرة على التركيز العلمي، وتوقد القريحة، ورحل إلى مدينة القصر الكبير، وأقام فيها نحوا من عامين، اجتهد خلالهما في تحصيل العلم حتى قال على نفسه: (أهملت نفسي، ونسيت أمرها، وكنت أقرأ سبعة مجالس بين الليل والنهار)، ولم يقنع الطالب بما حصل في القصر الكبير، بل زاده شغفا في القدوم إلى تطوان، وهي موئلا للعلم والحكمة [4].

وأقبل على تحصيل العلم في شتى الأبواب بكل جد، وتنوعت مجالسه بين العلماء من أهل الفقه والتفسير والحديث، واللغة والنحو والصرف والمنطق، ولم يبلغ التسعة والعشرين سنة حتى جلس للتدريس في مساجد تطوان ومدارسها.

ومن مؤلفاته كتب كثيرة منها "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" في أربعة مجلدات وكتاب "الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية" و "الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجروميـــة" جمع فيه النحو والصرف و "فهرسة" لأشياخه وكتاب "ايقاظ الهمم في شرح الحكم" [5].

ويقول عن نفسه عما حصله من العلوم "والذي حصلناه من علوم الأذهان (العقلية)، علم المنطق، والكلام على مذهب أهل السنة، والمهم من علم الهيأة (الفلك) ومن علم الأديان: علم القرآن، خصوصا التفسير وحصلنا الفقه بأنواعه وأصول الفقه وأصول الدين، وحصلت أيضا علم الحديث

---

[1] خير الدين الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ص 245.

[2] عاصم ابراهيم الكيالي، مقدمة تفسير الفاتحة الكبير، مرجع سابق، ص 4.

[3] المرجع نفسه، ص 4.

[4] المرجع نفسه، ص 4.

[5] الأعلام للزركلي، المرجع نفسه ،ص 245.

وعلم السير وعلم المغازي والتاريخ، والشمائل وعلم اللسان: علم اللغة والتصريف والنحو والبيان وأنواعه أما التصوف فهو علمي ومحط رحلي، فلي فيه القدم الفالج واليد الطولى" [1].

ثانيا:حياته الروحية

بعد أن نال الشيخ "ابن عجيبة" الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من علوم عصره العقلية والنقلية، وحصل جائزة رئاسة العلم في بلاده، حبب إليه سلوك طريق التصوف وقد وافق هذا الوقت ظهور حركة الشيخ "العربي الدرقاوي" مجدد الطريقة الشاذلية، وقد عقد "ابن عجيبة" فصلا في فهرسته، سجل فيه تجربته الفريدة في تصوفه ومجاهداته سرعان ما أثمرت بحار من علومه وأشرقت في صدره أنواع العرفان ووقع له الفتح الكبير والمدد الصافي الغزيـــــــــــر .

وأعطي الشيخ مرتبة الإمامة والإقتداء والتربية والتكميل يقول الشيخ الكوهن: "كان نظره إكسيرا، إذا أتاه أو التقى معه من يعرفه يرقيه في ميدان حسنات الأبرار سيئات المقربين، حتى كثرت على يديه الأتباع والمريدون وحصل لهم تنوير الباطن، ونالوا مقامات العارفين" [2].

ويقول عنه العسكري: "كان حجة الطائفة الدرقاوية مبينا لأحكامها، وناشرا لأعلامها سبر على علومها حتى صار ينبوعا لشموسها، وأقمارها ،ونجومها" [3].

والعلم النافع عند "ابن عجيبة" هو علم القلوب ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها من الفضائل، فيبحث أولا عن عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السر، فيظهر كل واحد من عيوبه فإذا تطهر من الجميع تحلى بصفات الكمال كالإيمان والإيقان والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى أيضا بالحلم والرأفة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة [4].

ويقول الكوهن عن مؤلفاته: "تآليفه عليها لوائح نفثات أهل المعرفة الكمل، فإنه ناطقة أسرار أهل الله وكلامه عال، أحل مشكلات لقوم وفك طلاسم أسرارهم وتكلم بما أبهر عقول الأعيان".

ويعتقد "ابن عجيبة" أن كتاب الله محشو بالتصوف، بل هو لبه وخالصه فكل من تصدى لتفسيره من غير تحقيق علم التصوف فهو متطفل عليه ،إنما يحوم على القشر دون اللب والصحابة رضوان

---

[1] عاصم ابراهيم الكيالي، مقدمة تفسير الفاتحة الكبير، المرجع السابق، ص 5.

[2] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، مصدر سابق، ص 7.

[3] المصدر نفسه، ص 7.

[4] ابن عجيبة، ايقاظ الهمم في شرح الكلمات، تح: محمد احمد حسب الله، دط، دت، دار المعارف، القاهرة، ص 484.

الله عليهم كانوا على بصيرة من أمرهم ويقين من ربهم وثبات من دينهم والتابعون كانوا كذلك على أثرهم .

فلما ذهب المشاهدون لنور النبوة والمشاهدون لمن شاهده كرت الدنيا على الناس بزخارفها وأجلب عليهم الشيطان بخيله ورجله فداخلت القلوب الشهوات والغفلات وكثرت الهفوات والرعونات فانفرد قوم أحيا الله قلوبهم بنور الإيمان وعصمهم من الدنيا والشيطان فبدأوا على سنن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،وهم الصوفية [1].

ثالثا:حياته العلمية

لاشك أن الحياة العلمية "لابن عجيبة" تتجلى بصورة واضحة فيما خلفه من آثار ومؤلفات وتبلغ حصيلة ما كتبه ما يزيد عن خمسة وأربعين تأليفا بعضها ضخم في مجلدات وبعضها متوسط الحجم وبعضها صغير الحجم ،وجل ذلك لا زال مخطوطا لم يعرف نور الطباعة بعد [2].

وقد ألف "ابن عجيبة" في : التفسير والقراءات، والحديث والأذكار النبوية، والفقه والعقائد واللغة والتراجم والتصوف، وكان من أشهر كتبه : التفسير والقراءات :

1- البحر المديد في تقسير القرآن الكريم .

2- التقسير الكبير للفاتحة وهو الكتاب الذي اعتمدنا عليه في تصنيف العلوم وقد صنف هذا التفسير قبل تصنيفه للبحر المديد وهو واضح من كلامه في آخر تفسير الفاتحة الكبير حيث يقول "ويتلو إن شاء الله تفسيره سورة البقرة" [3].

3- التفسير الوسيط للفاتحة وتوجد منه نسخة مخطوط في 17 صفحة في خزانة الرباط تحت رقم (148 ك) .

4- الدرر المتناثرة في توجيه القراءات المتواترة ويشتمل على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتهم .

5- الكشف والبيان في متشابه القرآن .

أما في الحديث والأذكار النبوية :

6- أربعون حديثا في الأصول والفروع والرقاق ، ذكره في الفهرسة .

---

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير،المصدر نفسه، ص 15.

[2] المصدر نفسه، ص 9.

[3] المصدر نفسه، ص 9.

7- الأنوار السنية في الأذكار النبوية : منها مخطوطة بمكتبة تطوان تحت رقم (853 م) .

8- الأدعية والأذكار الممحقة للذنوب والأوزار : مخطوطة بتطوان تحت رقم (274 ق.م) .

وفي الفقه والعقائد :

9- رسالة في العقائد والصلاة: منها مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت (مجاميع شنقيطي 4/7) وهي رسالة صغير ة الحجم غزيرة العلم .

10- رسالة سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر: مخطوطة بالخزانة العامة بالمغرب تحت رقم (148ك) .

11- الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية: توجد نسخة منه تحت رقم (2004د/1: ق.م) بالخزانة العامة للرباط .

12- أزهار البستان في طبقات الأعيان: وقد ترجم فيه "ابن عجيبة" لأرباب المذاهب الفقهية والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب الإمام مالك، من زمانه إلى زمان "ابن عجيبة" على ترتيب وجودهم كل قرن على حدة ثم أتبعهم بذكر النحويين والمحدثين وبعض الصوفية وقد ذكر "ابن عجيبة" أنه لم يتمه وهو مؤلف جدير بالنشر .

وفي التصوف :

13- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية: وهو شرح كبير لمنظومة ابن النبا السرقسطي في آداب وقواعد الصوفية، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة .

14- ايقاظ الهمم في شرح الحكم بن عطاء الله وقد طبع أكثر من مرة [1].

وللشيخ مؤلفات كثيرة تنم على وقف حياته لطلب العلم ونشره وإعادة بعث روح العقيدة الإسلامية الصافية لأهل السنة والجماعة ونبذ خرافات الفرق والمذاهب الطائشة .

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير،المصدر نفسه، ص 13.

المبحث الثاني: منطلقات النسق الفلسفي لابن عجيبة

لقد انطلق **ابن عجيبة** من مفاهيم أساسية تتكرر في كل مصنفاته ولا يغفل عنها طرفة عين وتعتبر هي المقدمات الأولية التي يرتكز عليها موقفه الإعتقادي ونظامه الفكري ، هي مبثوثة كنفحات صوفية تسري بحروف التعلم ومن بين هذه المنطلقات :

أولا: واجب الوجود (الله) :

"وأعلم أن الحق جل جلاله واحد في ملكه لا شريك معه ولا ضد له ولا ند له كان ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان عليه كان في أزل أزليته لطيفا خفيا، حكيما قديرا ،لطيفا لا يدرك خفيا لا يعرف، قائما بذاته متصفا بمعاني أسمائه وصفاته فأراد سبحانه أن يعرف بذاته وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته" [1].

وفي هذا النص يقترب" **ابن عجيبة**" من "**ابن تومرت**" في أن الله كان في الأزل لا شيء معه فأراد أن يعرف فخلق المخلوقات ليدلهم على معرفته، وهي فكرة تعبر عن موقف الفصل في نقطة وكيفية الخلق بين الله ومخلوقاته ،كان وحده لا شيء معه قبل الأكوان والأزمان ثم كانت الأكوان والأزمان وهذا الفصل بين الخلق والخلائق هو روح التوحيد الخالص .

يقول ابن عجيبة "وظهوره تعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطف كبير إذ لا يمكن شهوده ومعرفته إلا بواسطة هذه التجليات ولو ظهر بالأوصاف التي كان عليها في الأزل بلا واسطة لتلاشت الكائنات واضمحلت" [2].

والواضح أن هذا النص يدفع عن الشيخ "ابن عجيبة" التهمة التي تزعم أنه يقول بوحدة الوجود أن الله ومخلوقاته شيء واحد، فهو يثبت في كثير من نصوصه أن لغة أهل التصوف (الإشارة) خاصة .

ولا يمكن للعلوم الرسمية أن تكشف الحقيقة الصوفية، "وأعلم أنه لما كان لا ظهور للذات إلا من أنوار الصفات ولا قيام للصفات إلا بالذات والصفات لا تفارق الموصوف صار كأن هذا عين هذا،

---

[1] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، تح : عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر ، القاهرة,ص 24.

[2] ابن عجيبة، ايقاظ الهمم، مصدر سابق، ص 322.

فنطقوا بتلك العبارة نحو شيء للجمع وفرارا من الفرق وهو إصلاح منهم (يقصد الصوفية)..."[3].

قال : ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:

چ ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح چ [1].

قال: في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطنا بقدرته ظاهرا بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته، حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنعة بالذوات فهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته وقدرته[2]: چ ذ ث ثث ث ٹ ٹ ٹ ڈ چ [3]

وقد بين ابن عجيبة أن موضوع علم التصوف هو واجب الوجود أو الذات الأقدس وأن واضع هذا العلم هو النبي صلى الله عليه وسلم، علمه له الله بالوحي والإلهام فنزل به جبريل عليه السلام أولا بالشريعة فلما تقررت ،نزل ثانيا بالحقيقة ،فخص بها بعضا دون بعض[4].

وحكم الشارع فيه ،فرض عين ،وهو من أشرف العلوم على الإطلاق ،ولا يوجد تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم ،فلا يستغني أحد عنه في وقت من الأوقات. فواجب الوجود هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، فالظاهر كل ما هو كثيف ، والباطن كل ما هو لطيف ،(الكثافة واللطافة) .

ثانيا:الوجود (المخلوقات) :

والحاصل أن الحس ما أظهره الله تعالى إلا لتقبض منه المعنى ،وهي معرفة الحق سبحانه وتعالى وهو معنى قول الشيخ أبي مدين رضي الله عنه "الحق مستبد والوجود مستمد" فالحق تعالى مستبد أي قائم بنفسه والوجود وهو الحس الظاهر مستمد من المعاني الباطنية فلو انقطعت مادة المعاني التي تمد

---

[3] المصدر نفسه، ص 325.

[1] سورة الجاثية، الآية 13.

[2] ابن عجيبة ،ايقاظ الهمم،المصدر نفسه، ص 326.

[3] سورة الشورى ،الآية : 11 .

[4] ابن عجيبة ،تفسير الفاتحة الكبير،مصدر سابق، ص 16.

الحس "انهد" الوجود أي اضمحل وتلاشى [1] چ ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ چ[2]

ثم يجعل "ابن عجيبة" من الظواهر أنوار، قلت: أنوار الظواهر هي ما ظهر على تجليات الأكوان من تأثير قدرته وإبداع حكمته كتزيين السماء بالكواكب والقمر والشمس وما فيها من إبداع الصنع وتمام الإتقان وكتزيين الأرض بالأزهار والثمار والنبات وسائر الفواكه وكتزيين الإنسان بالبصر والسمع والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة. قال تعالى: چ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٿ چ[3] ، وقال أيضا: چ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ چ[4] .

فهذه أنوار الظواهر وأنوار الأوصاف هي العلوم والمعارف والأسرار والمراد بالأوصاف أوصاف الربوبية كالعظمة والعزة والجلال والجمال والكبرياء والكمال ،وغير ذلك من أوصاف الذات العلية والذات لا تفارق الصفات فإذا أشرقت السرائر بأنوار معرفة الصفات فقد أشرقت بأنوار معرفة الذات للتلازم الذي بين الصفات والذات [5]، فالعالم الجسماني هو محل ظهور حكمته تعالى لأن من أسمائه تعالى الحكيم وهو أيضا محل لظهور آثار تصرفات الأسماء والصفات من إعزاز وإذلال وقبض وبسط وإحياء وإماتة وهو أيضا محل ارتباط الأسباب بمسبباتها واقتران العلل بمعلولاتها.

وبهذا وقع الحجاب عن شهود مسبب الأسباب [6] فهنا يتكلم "ابن عجيبة" عن قوانين الطبيعة بحيث ينزع عنها الأثر الفاعل والمباشر ويرده إلى الله سبحانه وتعالى – مسبب الأسباب –فإنهماك

---

[1] ابن عجيبة ،الفتوحات الإلهية، مصدر سابق،ص 298.

[2] سورة فاطر، الآية : 41.

[3] سورة التين، الآية : 4.

[4] سورة الكهف، الآية : 7.

[5] ابن عجيبة ،ايقاظ الهمم في شرح الحكم، المصدر السابق ،ص 252.

[6] ابن عجيبة ، الفتوحات الإلهية، المصدر نفسه ،ص 297

الناس في طلب تحصيل هذه الأسباب لتحصيل مسبباتها غفلة وجهل وبذلك منعوا من تحصيل المواهب والفوائد وحجبوا عن ربهم لأنهم وقفوا مع خيال الحس ورؤية الأغيار فغابت عن قلوبهم أنوار الملكوت وأسرار الجبروت ،من إصلاحات الصوفية أنهم يعبرون بالحس عما يدركه البصر من الأجسام الكثيفة وبالمعنى عما تدرك بالبصيرة من المعاني اللطيفة القائمة في الأجسام وهي أسرار الذات وصفات المعاني ،فالوجود كله دائر بين حس ومعنى، الحس ظاهر والمعنى باطن وهذه فكرة نجدها فيما بعد عند"هنري برغسون" [1] عندما يقسم الأنا إلى سطحي وعميق، فالأنا السطحي مرتبط بالعالم المادي والأنا العميق مرتبط بالعالم الروحي فأحكام الحس العبودية وهي النقائص وأحكام المعنى الربوبية وهي الكمالات والمطلوب هو الترقي من عالم الحس إلى عالم المعاني [2].

وما الأسباب المادية ما هي إلا متجاورة بالإقتران يقع عندها الآثر وليس بها لأن الآثر بالله وما الأسباب إلا جعلية ومن هنا قال الأشاعرة بمبدإ التجويز أي بجواز أن تنقلب طبائع وسنن الطبيعة إلى ضدها لأن الله فعال لما يريد وأن الظواهر مخلوقة كلها بالمباشرة وبلا توسط لسبب .

---

[1] فيلسوف فرنسي(1859-1941)ذو نزعة روحانية من أهم كتبه "المعطيات المباشرة للشعور".أنظر:محمود يعقوبي ،مرجع سابق،ص271

[2] ابن عجيبة ،الفتوحات الإلهية،مصدر سابق، ص 298.

وحقيقة الأمر أم الإمعان في آيات القرآن تهدينا إلى القول : بأن تأثير العلل الطبيعية لا يتنافى ومشيئة الله فالعالم مجموعة من الأسباب التي تعمل بإرادة الله وإذنه فالعناية الإلهية ترفعنا من العدم في كل لحظات الوجود.

ثالثا: الإنسان (الروح)

تطرق "ابن عجيبة" إلى مفهوم الإنسان وأطوار نموه وقدرته على بلوغ الحقيقة المطلقة فأشار إلى تطورات الروح ووسائل المعرفة التي تمكنه من ذلك.

فقسم أطوار نمو الإنسان ونشأته إلى: [1]

1-طور الجنين.

2- طور الطفولة.

3- طور الشباب.

4- طور الكهولة.

5- طور الشيخوخة.

چ ٹ ٹ ٹ ڤ چ[2] وأول ما يدرك الإنسان الحس فيحس ألم الجوع والبرودة وغير ذلك من الأمور الضرورية ثم التمييز بين أمه وغيرها ،والمسافات القريب والبعيد ،ثم الخيال ومنشأ الخوف والوهم ثم عقل التمييز بين الضار والنافع، ويعتقد "ابن عجيبة" أن العقل فطري يولد معنا "وأول خلق العقل عن اجتنان الولد في بطن أمه ثم لا يزال ينمو حتى يكمل وهو نور خص به هذا الآدمي من دون الحيوانات شرفا له وهو يتفاوت في النور بحسب القسمة الأزلية" [3].

وبهذا الشرف اعتبر الإنسان أكرم المخلوقات على الإطلاق، أتدري من أنت أيها الإنسان؟ ولماذا خلقت؟ وما المراد منك؟: أنت نخبة الأكوان، وأنت في الأصل قطب الزمان، أنت المقصود الأعظم من هذا الكون [4].

و لم يغفل "ابن عجيبة" إلى وسائل المعرفة فأشار إلى تطورات الروح التي تمر بمراحل ابتداء من:

---

[1] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية،المصدر نفسه، ص 319.

[2] سورة نوح، الآية: 14.

[3] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية،المصدر نفسه،ص 319.

[4] المصدر نفسه، ص 302.

النفــــــــــــــــــــــس والعقل إلى القلب والروح والسر، وكل طور له حد ينتهي إليه في العلم والإدارك[5] :

1-أما النفس : فحد علمها وإدراكها زينة ظاهر الكون اغترارا بمتعة ظاهرة وغفلة عن عبرة باطنة، واشتغالا بحظوظها وهواها .

2- أما العقل: فحد علمه وإدراكه افتقار الصنعة إلى صانعها، فهو يقرر الصنعة ويردها إلى صانعها.

3- أما القلب: فحد علمه وإدراكه التوجه إلى خالقه بترك الأغيار وطلب الأنوار فقد انطلق من العقال وشد في طلب مولاه الرحال .

4- وأما الروح: فحد علمها وإدراكها مواجهة أنوار الملكوت طالبة أسرار الجبروت قد استراحت من تعب السير لكنها لم تتمكن من السر.

5- أما السر: فحد إدراكه أسرار الجبروت قد نفذت البصيرة مع أنوار الملكوت وهذا منتهى السير، قال تعالى: چ ثى ثي جحجم حجچ[1] .

ويرى "ابن عجيبة" أن القبض على الحقيقة المطلقة من اختصاص أهل التصوف الذين استطاعوا اختراق الحجب والكثافة وبلوغ مرتبة **السر** وهي محل الشهود والنظرة وهذا هو مقام السر وهو خارج مدارك العقول [2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[5] المصدر نفسه، ص 319.

[1]سورة النجم، الآية: 42.

[2]ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية،المصدر نفسه، ص 319.

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند ابن عجيبة

أولا:المؤلف الذي جاء فيه التصنيف :

لقد أورد **"ابن عجيبة"** تصنيفه في كتابه الشهير "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" وصنف هذا الكتاب ضمن كتب التفسير والقراءات، وكان أول ما صنف منه هو التفسير الكبير للفاتحة حيث قال: "ويتلو إن شاء الله تفسيره سورة البقرة" [1] ولكن ناسخ المخطوطة قال في تعقيبه: أن التفسير الكبير للفاتحة كان تفسيرا مستقلا ثم أنشأ تفسيرا آخر هو البحر المديد [2].

والعجيب أن "ابن عجيبة" عندما يقدم تفسيره "البحر المديد" يضع عشر مقدمات ضرورية قبل الشروع في هذا العمل الضخم (التفسير) وأول هذه المقدمات هي:

المقدمة الأولى: في تقسيم العلوم وذكر أصولها وفروعها وبعض مبادئها على وجه الاختصار مخالفا في ذلك جميع العلماء والمفسرون الذين يجعلون أول ما يتقنه المفسر اللغة العربية وأسرارها والناسخ والمنسوخ والعلم بالسنة ...

الثانية: في كيفية ابتداء نزول القرآن وأول ما نزل منه وذكر المكي والمدني والمختلف فيه.

الثالثة: في سبب جمعه واختلاف رواياته وحصرها في عشرة أو سبعة وآداب القرآن والقارئ.

الرابعة: في علومه الظاهرة والباطنة.

---

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير،مصدر سابق، ص 9.

[2] المصدر نفسه، ص 9.

الخامسة: في شروط المفسر وآدابه، وذكر العلوم التي يحتاج إليها.

السادسة: في معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه.

السابعة: في طبقات المفسرين وأول من تكلم في التفسير.

الثامنة: في ترتيب آياته وسوره، وفي تحزيبه وتعشيره ونقطه وتشكيله.

التاسعة: في تفسير لفظ القرآن والكتاب الفرقان والذكر والسورة والآية.

العاشرة: في فضل القرآن وفضل قراءته وتفاضل بعضه على بعض وذكر بعض خواصه.

ثم يقول ابن عجيبة: "هذه عشر مقدمات يستعان بها في علوم القرآن خصوصا وفي غيرها عموما"[3].

والملاحظ أن صاحب البحر المديد كان يدرك تماما أهمية فن تصنيف العلوم كطريقة وأداة منهجية لا بد منها لخوض تفسير القرآن المجيد لأن القرآن بحر لا يمكن الغوص فيه إلا بالمعرفة القبلية وهي اتقان استعمال وسائل الإبحار وهي عشر مقدمات، أولها العلم بتقاسيم العلوم بأصولها وفروعها ومبادئها ولو على وجه الاختصار لأن إفناء العمر فيها لا يترك لك فرصة للتفرغ لعلوم أخرى .

ثانيا: شكل التصنيف :

يبدأ "ابن عجيبة" في مقدمته الأولى في تقسيم العلوم وذكر أصولها وفروعها وبعض مبادئها بقوله: أعلم أن العلوم وإن تشبعت فروعها، فترجع أصولها إلى أربعة: علم الأديان، علم اللسان، علم الأذهان وعلم الإبدان [1].

وقد أشار إلى هذا التقسيم الحسن اليوسي من قبل ،وقبله على أساس أنه أريد به المقاصد، أما العلوم فكلها معتبر إذا كان نافعا وحكمة الله فيه ظاهرة، غير أن "ابن عجيبة" انتبه إلى ملاحظة اليوسي وتطرق إلى هذه العلوم الأربعة بالتفصيل وبين ما يقصد لذاته وما هو وسيلة لغيره على اعتبار أن الغاية والوسيلة كلاهما ضرورة ملحة ،وقد تناول العلوم على النحو التالي :

1-علم الأديان:

فموضوعه الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء عليهم السلام وهو علم الناموس الأعظم، ويسمى أيضا علم السياسة السماوية والمصالح الدينية والدنيوية، ثم يقتصر "ابن عجيبة" على خصوص نبينا

---

[3] المصدر نفسه،ص 5.

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ص 7.

محمد صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من الوحي فإذا كان البحث نظرا في الكتاب المنزل فهو علوم القرآن ،والنظر في حروفه علم الرسم ،والنظر في التلفظ به، علم القراءة ،ويتبع ذلك علم الرواية وعلم التفسير، ويعتمد في استمداده من كلام العرب ولغاتهم، وعلم التاريخ والحديث والسير والفقه، وأما غايته وثمرته فمعرفة ما أنزل الله تعالى من الأحكام والحكم للفوز بالسعادة في الدارين وبهذا يظهر شرفه وفضله لأن شرف العلوم وفضلها إما بموضوعها أو غايتها فمثلا كان الشرف للصياغة لأن موضوعها الذهب، فهي أشرف من الدباغة لأن موضوعها الجلود أو غايتها كالطب لكون غايته صحة الإنسان [2]

ثم يتوسع "ابن عجيبة" في تناول العلوم الشرعية علما علما بالتفريع والتفصيل لبيان وضبط موضوعه وواضعه واسمه واستمداده وحكم الشارع فيه وفضيلته وفائدته والغاية منه وكذلك تصور مسائله ونسبته من العلوم الأخرى أكلي أم جزئي فالفقه مثلا جزئي لعلم التصوف، كلي لغيره من العلوم سوى علم التوحيد [1].

فيضبط موضوع الفقه بالعبادات والعادات والمعاملات ،وهو النظر في أفعال المكلفين أما علم أصول الفقه :فهو العلم الباحث من الدليل الشرعي من حيث الإجمال، وعلم التوحيد: هو علم بالعقائد الدينية من الأدلة اليقينية، وهذا هو التوحيد العام أما التوحيد الخاص فهو شأن أهل التصوف وموضوعه الواجب والممكن والاستحالة، ويسمى أيضا علم الكلام وسمي العلم الإلهي واستمداده من الأحكام العقلية ولا شك أن غاية هذا العلم أشرف الغايات وموضوعه أعلى الموضوعات وهو كلام يتطابق تماما(لفظا ومعنى) مع كلام اليوسي ،ومعلومه أعلى المعلومات ثم علم التصوف الذي جاء كتاب الله العزيز محشو به بل هو لبه وحاله وأصحابه أقواما أحيا الله قلوبهم بنور الإيمان وعصمهم من الدنيا والشيطان وموضوعه الذات الأقدس وواضع هذا العلم هو النبي صلى الله عليه وسلم علمه له الله بالوحي والإلهام[2].

فالعلوم الشرعية الكبار هي هذه الستة: علم التفسير، علم الحديث، علم الفقه، علم الأصول، علم أصول الدين، وعلم التصوف. ثلاثة منها مقصودة، علم الفقه وعلم أصول الدين وعلم التصوف.

---

[2] المصدر نفسه، ص 9.

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ص 12.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

وإن كان النظر في أحوال النبي وأصحابه وما عرض له منذ ولد إلى ان توفاه الله تعالى فهو علم السيرة وإن كان النظر في أحوال خلقته وأخلاقه الكريمة وفي ملبسه ومأكله ونومه ويقظته ومتاعه وأثاثه وغير ذلك فهو: علم الشمائل .

2- **علم اللسان** :

فهو ما يتعلق بكلام العرب نثرا ونظما ولغاتهم التي يتحاورون بها، فإن كان نظرا في فهم معناها فهو علم متن اللغة وإن كان نظرا فيما يعتور اللفظ فهو علم التصريف وكذلك علم الإعراب وموضوعه الاسم والفعل والحرف وهو وسيلة لحفظ العلم

وهو فرض عين لمن تصدى لتفسير كلام الله أو كلام رسوله [1] أما لغيره فهو فرض كفاية .

ونسبته من العلوم : الجزئية لأنه جزئي لها وآلة توصل إليها ولا علم إلا وهو محتاج إله كمالا أو شرطا، وفائدته ملكة يحرز بها من الخطأ في النطق .

وإن كان نظرا في صورة اللفظ ومادته فهو علم الاشتقاق وإن كان نظرا في تطبيق اللفظ لمقتضى الحال فهو علم المعاني وإن كان نظرا في ايراد اللفظ الواحد بالوجوه المختلفة في وضوح الدلالة فهو علم البيان، وإن كان نظرا في الكلام الموزون من أشعار العرب فهو علم الشعر، ثم يفصل في ذلك فيذكر علم الميزان وعلم القافية ومجموع ذلك علم العروض وقد يقع البحث في حروب العرب وما يقع فيها من الكلام شعرا ونثرا وهو "علم أيام العرب" بمعنى الحروب ثم يتوسع في ذلك إلى علم التاريخ وهو يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية ،وقد يتخصص التاريخ في علم من العلوم فمثلا "علم القصص" أو "علم الخرافة" أو "علم الأمثال" أو "علم الحكمة" [2].

1- **علم الأذهان** :

فهو ما يشتغل العقل بإدراكه كالمنطق وعلم الكلام العقلي والحساب والهيئة وغير ذلك [3]، وعلم أن تمايز العلوم بتمايز موضوعاتها فعلم المنطق موضوعه التصور والتصديق وهو آلة قانونية

---

[1] المصدر نفسه، ص 20.

[2] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ص 25.

[3] المصدر نفسه، ص 25.

تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر ،وقد أشار "ابن عجيبة" إلى واضعه وهو أرسطو طاليس الحكيم وأول من أدخله في الإسلام: المأمون وسمي المنطق لأنه يقوي الفكرة الناطقية وهو مستمد من العقل والاستقراء .

ونسبته من العلوم الجزئية لأنه في اصلاح الجنان نظير النحو في اصلاح اللسان .

وإن كان موضوع العلم هو الموجود من حيث هو أو ذات واجب الوجود فهو: العلم الإلهي وجعله الأقدمون خمس أنواع [4] :

الأول: الأمور العامة كالوحدة والكثرة والعلة والتقدم ونحوها .

الثاني: مبادئ الموجودات .

الثالث: إثبات الصانع وما يجب له وما يمتنع عليه .

الرابع: تقسيم المجردات .

ثم توسعوا فضموا إليه التصوف ومبحث الآجال والأرزاق [1].

والملاحظ أن تصنيف "ابن عجيبة" متطابق تماما معنى ولفظا مع تصنيف "الحسن اليوسي" ثم يتناول "ابن عجيبة" الأنواع الخمسة كما تناولها اليوسي بنفس الرؤية الكونية التوحيدية ، ويختم بقوله ومبحث السمعيات والمعاد عندنا جسماني وروحاني، لا روحاني فقط كما يزعمون قال الشيخ اليوسي [2].

وإن كان موضوع العلم ما يبحث فيه عن حقائق الأشياء والإطلاع على مقاديرها فهو على قسمين :

إما مجرد عن المادة في الذهن "العلم الرياضي" وإما مقيد بالمادة "العلم الطبيعي"، فالعلم الرياضي عندهم أربعة: الهندسة ،والحساب ،والهيئة ،وعلم الأصوات والنغمة .

ويتفرع علم الهندسة إلى عشرة علوم : علم عقود الأبنية ، علم المناظر، علم المرايا المحرقة، علم مراكز الأثقال، علم المساحة، علم أنباط المياه، علم جر الأثقال، علم البنكامات (الآلة المقدرة للزمان)، علم الآلات الحربية، علم الآلات الروحانية (ارتباط النفس بالغرائب) وأما علم الهيئة: فيتفرع إلى خمسة علوم، علم الإيجيات (أوضاع الكواكب)، علم المواقيت، علم كيفية الأرصاد،

---

[4] المصدر السابق، ص 25.

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص 27.

علم تسطيح الكرة، علم الآلات الظلية (مقادير الظلال) وأما الحساب والنغم فلا تتفرع عنه علوم بل قضايا ومسائل .

وإن كان موضوع العلم الجسم الطبيعي المادي، من حيث ما يعتوره من التغيرات كما وكيفا، فهو :

العلم الطبيعي : ويشتمل على أنواع ويقع فيه البحث عن المواد عموما وعلى السماوات والعناصر والآثار العلوية والكون والفساد والمعادن والنبات والحيوان وفي النفس وقواها وما يستتبع ذلك من الإنفعالات، فقد يكون ذلك في عموم الجسم [3]وهو علم السحر وعلم الطلسمات وعلم السيمياء ويتفرع العلم الطبيعي أيضا إلى علم الفلاحة وعلم البيطرة وعلم الفراسة الحكمية وهي الاستدلال بخلق الإنسان على خلقه وإن كان نظره في مشاهدات النوم فهو علم تعبير الرؤيا، وإن كان النظر في حفظ الصحة فهو علم الطب .

ويجمل "ابن عجيبة" القول بأن: العلم الطبيعي إذا أضيف إلى الرياضي ،يسمى الفلسفة الثانية، فالفلسفة مركبة من العلم الرياضي بأنواعه، والعلم الطبيعي بأنواعه المتقدمة آنفا ،وهذه الفلسفة الثانية كما أن الإلهي هي الفلسفة الأولى [1] وإذا أضيفت الهندسة والحساب والهيئة إلى المنطق فهي التعاليم .

وقد أخذ أهل الإسلام منها ما عمت منفعته وعظمت ،كالمنطق والحساب والطب والتعبير وما يحتاج إليه من علم الهيئة .

---

[3] المصدر نفسه، ص 28.

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ص 32.

رسم توضيحي لأصناف العلوم عند "ابن عجيبة"

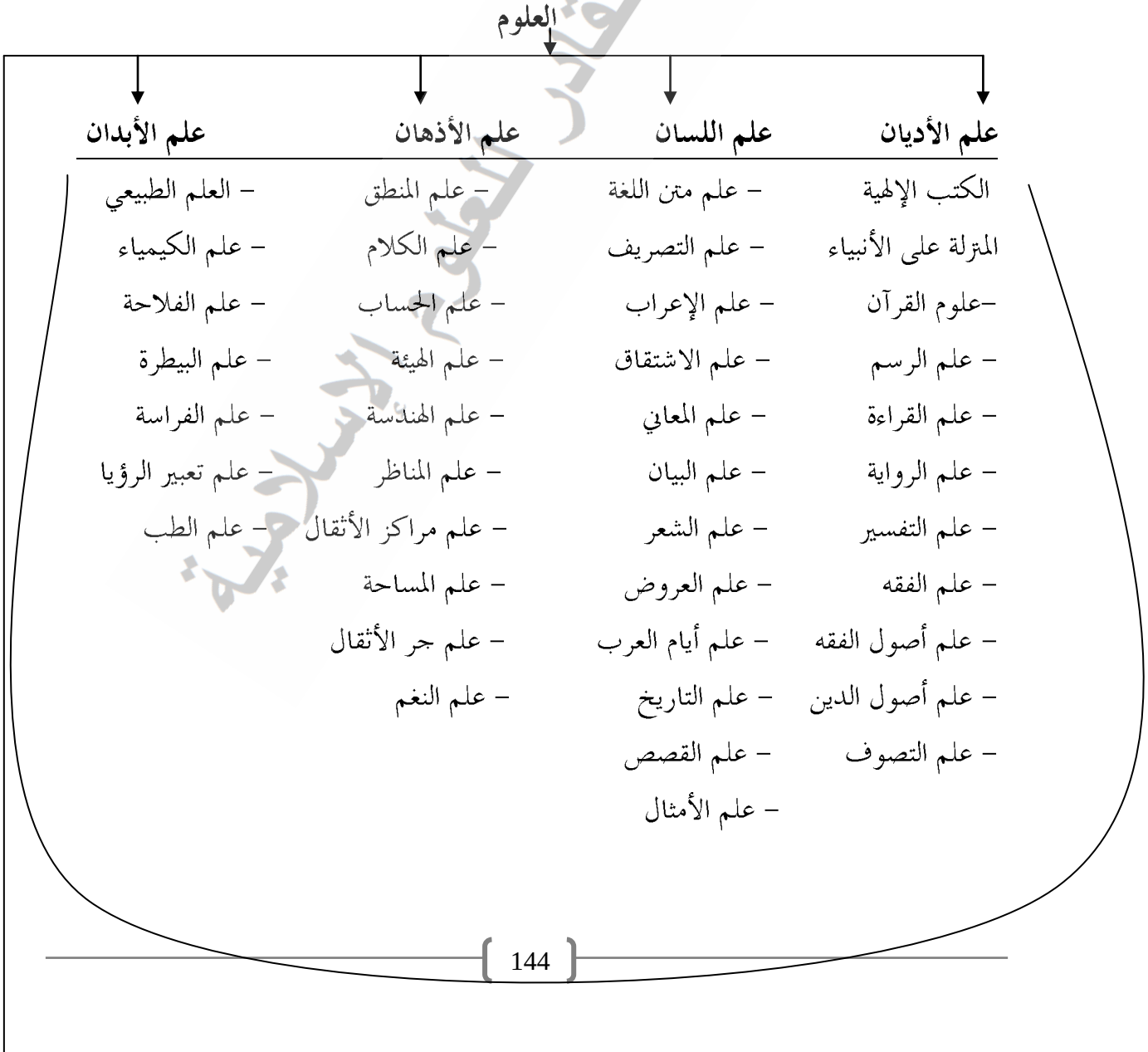

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دائرة العقل والشرع (محمودة)

خارج دائرة العقل والشرع (مذمومة)

- علم السحر
- والضرب بالحصى
- علم الطلسمات
- وعلم الأنواء
- علم القيافة
- علم الرمل
- علم الشعوذة
- علم النسب بتوسم الصورة
- علم الجزر
- علم النيرونجات

ثالثا:أساس التصنيف

لقد سار "ابن عجيبة" على خطى أساتذته الحسن اليوسي في رسم أساس هيكله التصنيفي وهو الوحي الذي جاء بالحقيقة العظمى والتي هي منبع كل حكمة ومجمع كل فضيلة فلا كمال للمعرفة ولا وصول إلى السعادة القصوى إلا بالإنطلاق من أساسا التوحيد وبالرجوع إلى غاية التوحيد ومورد ذلك وموضوعه كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من ين يديه ولا من خلفه [1]، وكل كمال ديني أو دنياوي عاجل أو آجل موقوف على العلوم الشرعية [2]، لأن غاية ما أنزل الله تعالى من الأحكام والحكم للفوز بالسعادة في الدارين وقد عرض "ابن عجيبة" علوم الأقدمين على الإجمال كالعلم الطبيعي والرياضي وهو الفلسفة الثانية، أما الفلسفة الأولى فهي العلم الإلهي وقد أوضح أن أهل الإسلام قد أخذوا منها ما عمت منفعته وعظمت كالمنطق والحساب والطب والتعبير وعلم الهيئة ... إلخ أما العلوم الأخرى فتركها المسلمون لقلت نفعها بل ورد الشرع لذم بعضها كعلم القيافة وهي معرفة النسب بتوسم الصورة (وهو شعبة من علم الفراسة) وعلم الجزر: وحاصله الاستدلال بحيوانات طائرة أو ماشية أو جمادات من حيث حركاتها وأصواتها على الغيب.

وهو منهي عنه، ومثله "الضرب بالحصى"، و"علم الأنواء" و "علم الرمل" و "علم الشعوذة" و "علم النيروجات" وسائر الحيل التي تغالط بها العقول.

---

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير،مصدر سابق، ص 9.

[2] المصدر نفسه، ص9.

وهنا يقف "ابن عجيبة" عند نقطة مفصلية وقف عندها كل من عرضنا تصنيفاتهم بدءا بـــــ: "ابن حزم" وهي:

الفصل بين ماهو محمود من العلوم وماهو مذموم قياسا إلى الشرع وحقيقة الدين الإسلامي القائمة على التوحيد.

فقد كانت جل التصنيفات السابقة لابن حزم تعتبر الفلسفة هي المحور الذي تدور في فلكه سائر العلوم، ولكن سرعان ما انقلبت هذه الشائعة عند مفكري المغرب الإسلامي في فن تصنيف العلوم إلى بطلانها واستبدالها بحقيقة أخرى أن أساس أو معيار (مقياس) تصنيف العلوم هو غايته وفائدته وثمرته الدينية الشرعية بمنظور إسلامي محض قياسا على نصوص القرآن والسنة، فما أقره الشرع نافع ومحمود ورفضه الشرع ضار ومذموم.

إن وضوح هذه الفكرة في أذهان مفكري المغرب الإسلامي الذين اهتموا بفن تصنيف العلوم كانت متأصلة وهي نقطة فارقة بالنسبة إليهم .

رابعا: علاقات العلوم في نسق "ابن عجيبة"

لا يفصل "ابن عجيبة" بين العلوم إلا فصلا منهجيا لتمييز موضوعات العلوم وغاياتها، ثم ينظر إليها مرة أخرى على أساس أنها وحدة متكاملة تخدم غرضا واحدا وحقيقة واحدة، وهي حقيقة التوحيد وأن جميع العلوم سواء كانت مقصودة لذاتها أو وسيلة لغيرها ترجع لهذا المبدأ: **چ ثى ثي جح جم حج چ**[1] ، ويقول "وأعلم أن جميع العلوم الرسمية كلها يبقى معها الافتقار إلى غيرها، أو إلى الزيادة منها، إلا علم الشهود إذا تحقق واطمأن العبد بالله، فإنه يحصل له الغنى الأكبر" [2]، وعلم الشهود هو التوحيد الخاص بأهل التصوف وهو يختلف عندهم على التوحيد العام الذي هو العلم العقائد الدينية من الأدلة اليقينية.

وقد رد "ابن عجيبة" جميع تقاسيم العلوم وإن تشعبت فروعها إلى أصول أربعة: علم الأديان، علم اللسان، علم الأذهان وعلم الأبدان. وتعتبر هذه الأصول الأربعة مقاصد كبرى، فعلم الأديان أو الناموس الأعظم له علاقة وطيدة بعلم اللسان إذ لا يمكن فهم ولا تبليغ حقائق الذين إلا عن طريق اللغة التي هي منطق اللسان وحقيقة علم الأذهان (المنطق) ولا تكون هناك صحة للنفس إلا

---

[1] سورة النجم، الآية: 42.

[2] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، مصدر سابق، ص 338.

بحفظ صحة البدن لتتفرغ النفس لطلب كمالها النظري والعملي عاجلا أو آجلا حتى قيل "إن حفظ الأبدان مقارن لحفظ الأديان، فهو فرض كفاية" [3].

ولا يفتأ "ابن عجيبة" أن يربط بين العلوم في تتابع وتلازم فعلم الكيمياء مرتبط بعلم الفلاحة وهذا بدوره مرتبط بعلم البيطرة ومنفعته عظيمة بالتبغ .

فلا يفتأ "ابن عجيبة" أن يربط بين العلوم في تلازم منطقي تتابعي وخاصة العلوم المتقاربة من حيث الموضوع ،فعلم الهندسة مثلا يتفرع إلى عشرة علوم :

علم عقود الأجنبية،علم المناظر، علم مراكز الأثقال، علم المساحة، علم أنباط المياه، علم جر الأثقال، علم البنكامات لحساب الزمان المرتبط بدروه بعلم الدين (الإسلامي) معرفة أوقات العبادات[1] كالصلاة والصوم والحج سائر الشعائر وعلم الآلات الحربية كالمجانيق وغيرها، ثم يربط علم الهندسة بعلم الهيئة والذي يتفرع إلى خمسة علوم متقاربة من حيث الموضوع، علم الإيجابيات (أوضاع الكواكب) وعلم المواقيت (أوقات العبادات) وعلم كيفية الأرصاد وعلم تسطيح الكرة ويربط بين علم الكيمياء والفلاحة وعلم البيطرة ثم يذكر في خاتمة كل علم أن منفعته وفائدته عظيمة بالتبع[2] ففكرة إندماج العلوم وتضافرها في خدمة الحقيقة الواحدة ظاهرة في تصنيف "ابن عجيبة" بمنظور صوفي يختلف عن تصور الحين اليوسي الذي يجعل بعض العلوم كلية وبعضها جزئية لكن "ابن عجيبية" يجعل كل العلوم جزئية إلا علم الشهود إذا تحقق للعبد لا يمكنه أن يلتفت لعلم آخر أبدا[3].

كما لم يفت "ابن عجيبة" أنه فرق بين العلوم المقبولة في الشرع والعلوم المذمومة التي تم إقصاؤها من نسقه التصنيفي حيث يقول: "وأعلم أنه قد بقيت علوم أخر شذت عن التقسيمات المتقدمة تركناها لقلة نفعها بل ورد الشرع لذم بعضها" [4].

فهو هنا لا يختلف عن مفكري المغرب الإسلامي من ابن حزم إلى الحسن اليوسي مرورا لابن عبد البر وابن تومرت وابن خلدون الذين جعلوا العلوم المحمودة متعاونة متضافرة من أجل خدمة

---

[3] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير،المصدر السابق، ص 32.

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ،ص 28.

[2] ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية، المصدر السابق ،ص 338.

[3] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه، ص33.

[4] المصدر نفسه، ص60.

الشريعة والعقيدة وسميت هذه العلوم بدائرة الشرع والعقل والعلوم المذمومة خارج دائرة العقل والشرع لأنها لا تخدم الغاية المنشودة .

ولقد أشار "ابن عجيبة" إلى اشتمال القرآن على أنواع المعارف وخابيات اليقين وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له [1]، فمثلا:

-علم القصص والأخبار چ ئے ئۆ ئۈ چ[2].

- علم المنطق چ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[3].

- علم التنجيم والهيئة چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ چ[4].

- علم الطب چ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ چ[5].

- علم الحساب چ تى تي چ[6].

- علم الهندسة چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک چ[7].

- وكذلك الصنائع وأسماء الآلات الضرورية.

---

[1] ابن عجيبة، تفسير الفاتحة الكبير، المصدر نفسه ، ص60

[2] سورة يوسف، الآية: 3.

[3] سورة الأنبياء، الآية: 22.

[4] سورة يونس، الآية: 5.

[5] سورة الأعراف، الآية: 31.

[6] سورة البقرة، الآية: 196.

[7] سورة المرسلات، الآية: 30.

كالنجارة والخياطة والحدادة والغزل والنسج والفلاحة والبناء والغوص والملاحة والكتابة والخبز والطبخ والغسل ... وغيرها كالصيد والكيل والوزن والبيع والشراء ثم يختم بقوله تعالى ﴿ ﴾ [8].

وهنا يسير "ابن عجيبة" مع أستاذه "الحسن اليوسي" في الجمع بين القراءتين، قراءة الكتاب المنظور علوم الكون ، وقراءة الكتاب المسطور الوحي (القرآن والسنة).

فالقراءتان تهدفان إلى غاية واحدة وهي الحق، خشية الله وهيبته والحياء منه مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ﴾ [9].

لقد حاك "ابن عجيبة" العلوم كالنسيج يشد بعضه بعضا في علاقات متداخلة متكاملة رأسها شرفا علم الموهبة (التصوف) وغايتها الحق تعالى أما العلوم المذمومة فمطرودة من نسقه بحكم الحيدة عن الشرع.

خلاصة ابتدأ "ابن عجيبة" في كتابه تفسير الفاتحة الكبير بالمقدمة الأولى في تقسيم العلوم وذكر أصولها وفروعها وبعض مبادئها لإدراكه أهمية الأدوات المنهجية والمعرفية ، يقول: هذه عشر مقدمات يستعان بها في علوم القرآن خصوصا وفي غيرها عموما، وأن أساس تصنيف العلوم ومبدؤها هو "واجب الوجود" وهو الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن .

علما أن "ابن عجيبة" لا يختلف عن أستاذه "اليوسي" في فكرة وحدة العلوم وتكاملها في خدمة الشريعة والحقيقة، أن غاية العلوم هو التدرج من كثافة المظاهر إلى لطافة الباطن لبلوغ الحقيقة المطلقة .

---

[8] سورة الأنعام، الآية: 38.

[9] سورة فصّلت، الآية: 53.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

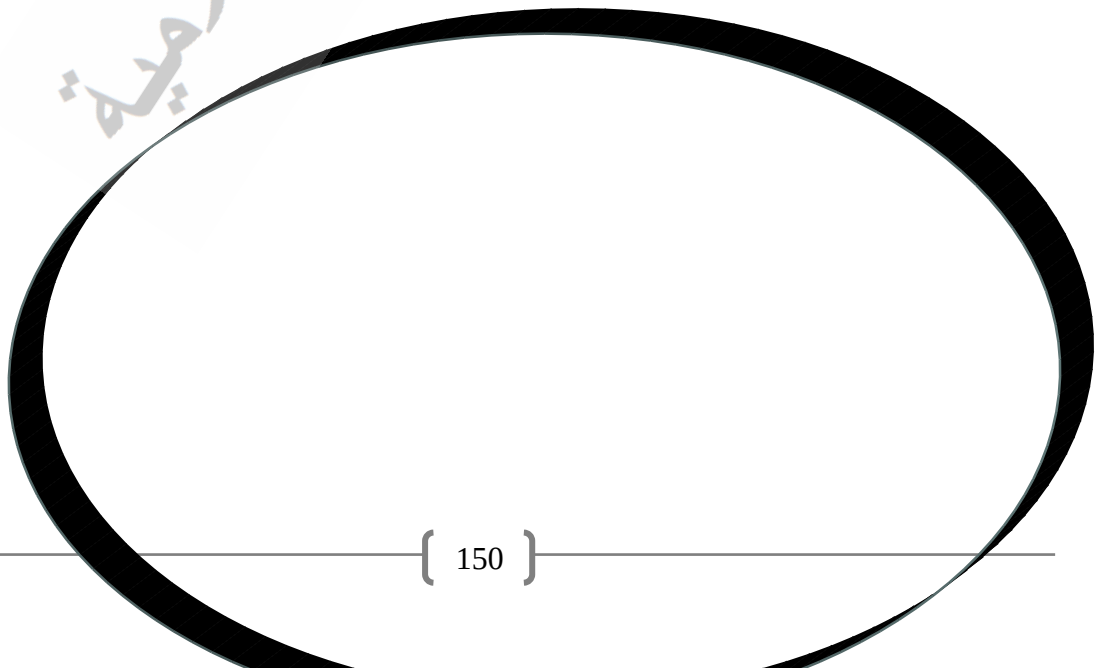

الخاتمة

لقد كانت تصانيف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي – نماذج الدراسة – مرتبطة برؤية توحيدية متميزة سواء في : **منطلقها أو بنائها أو غايتها** .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* **أما منطلقها** ، فيتمثل في مقدمات النسق الفلسفي والمفاهيم الأساسية التي يقوم عليها نظامهم الفكري ، ابتداء بحقيقة " المبدأ الأول" وهو "الله" كحقيقة ينطلق منها كل شيء ، فهو واجب الوجود ، خالق كل شيء سواه ، ويعتبر "ابن عبد البر" ، "معرفة الله أصل العلم " ثم بين مصادر المعرفة في العلوم الشرعية ، والتي ليس لأهل الفلسفة شيء منها ، فتصور جميع العقول لحقيقة الألوهية ناقصة وخاطئة بلا وحي ورسل ، وهي نقطة فارقة في بناء الهيكل التصنيفي في الفكر الإسلامي ، قال "ابن تومرت" "أصل العلم ومقصوده والمراد منه ، هو علم التوحيد الخالص" ، وقال "ابن خلدون" "هو أصل الوجود ، من حيث صدورنا عنه لاغير" ، وقال "اليوسي" "الصنعة من جهة امكانها أو حدوثها أو كليهما دالة على وجود الصانع الحق تعالى"، ثم جاءت ممكنات الوجود وهي الطبيعة والمخلوقات الصادرة عنه، التي يمدها بالوجود والعناية، ولولاه لاضمحل الوجود وتلاشى ، فظهور الوجود أنوار وتجليات الأكوان أقدار ، ويؤكد "ابن حزم" "أن الطبيعة خلقها الله لاتقبل التبديل و لا التغيير إلا بإرادته ، وهي قوانين ثابتة يمكن معرفتها ، ومن ضمن هذه الممكنات المكرمة في الوجود "الإنسان" الذي أشاد به أصحاب التصانيف كمخلوق مكرم بالمعرفة ، والذي جاء أحيانا برمز الجزء كالعقل ، البداهة ، اللغة والبيان والروح والقلب ،وبرمز الكل ما ينم عنه كإنسان يمتلك وسائل المعرفة، وهو في علاقة دائمة بمصادرها سواء ،الوحي أو الوجود .

* **أما بناؤها** ، فقد جاءت التصانيف من حيث الهيكل العام بمنطق التواصل والوحدة بين سائر العلوم العقلية و النقلية كل في موقعه يقوم بوظيفته ، فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض محتاج بعضها إلى بعض ، وهذا ما كان واضحا في علاقات العلوم في الأنساق التصنيفية ، فهي متدرجة وفق قوانين ضرورية تمهيدا لإيرادها مرتبة في التصنيف ، فمثلا النظر في القرآن والحديث تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها ، وهي أصناف ، منها علم اللغة وعلم النحو ،وعلم الأدب، وكذلك العلوم العقلية وضعت متواصلة مع العلوم الشرعية متكاملة معها ، "فابن خلدون" يضع علم الفرائض ضمن العلوم العددية ، كمظهر بين إلتقاء الفقه بالحساب مبينا ذلك في قسمة الحساب وتصحيح السهمان .

* **أما غايتها** ، فكانت كل التصانيف تهدف إلى وحدة الحقيقة وهي: معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة ، وقد أبعدت هذه الغاية العلوم المناقضة مع الشرع والعقل ، بإعتبار أنها لا تحقق الهدف بل تعارضه ، فكانت العلوم المحمودة متكاملة منسجمة والعلوم المذمومة متباعدة متنافرة .

لم تكن التصانيف قائمة على أساس الفصل بين العلوم النظرية المجردة والعلوم العملية ، بل ملتزمة بتحقيق الغرض ، وهو خدمة الدين سواء تعلق الأمر بالإقناع به عقلا أو العمل به سلوكا ، فلا فرق بين العلم والعمل في بناء تصانيف العلوم .

إن هذه الغاية هي الأساس الفلسفي الذي إنبثقت عنه هذه التصانيف سواء في بنيتها العامة ، أو في إنتظام العلوم المختلفة في تلك البنية .

لقد عمد هؤلاء المصنفون بتوظيف العلوم العقلية المقتبسة من الأوائل وإعطائها وضعا جديدا في تصانيفهم مخالف لوضعها في دائرتها الثقافية الأصلية ، وذلك بتدويرها حيثما كانت أغراض الشريعة لتتآلف مع سائر العلوم الشرعية بدل الفلسفية ، وهذا ما ذكره "ابن خلدون" على ما طرأ للمنطق والفلاحة من تغير في بنيتها لما دخلا إلى البيئة الإسلامية ، حيث حذفت منها أغراض الخطابة والسفسطة والسحر المناقضة للإسلام ، ومن قبله "ابن حزم" الذي أعاد توجيه أغراض الفلسفة إلى إصلاح النفس في دنياها بالفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد .

لقد تجلت خصوصية تصانيف العلوم عند فلاسفة المغرب والأندلس بتجاوز الطابع الثنائي التقابلي الموروث عن" أرسطو" ، والذي تأثر به بعض المشارقة كالكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم ، وإلى حد ما أبو حامد الغزالي ، في " الرسالة اللدنية " .

لقد بقي موقف التوفيق يتردد في أنساقهم التصنيفية بإقحام علوم الشريعة بمحاذاة العلوم الفلسفية على سبيل الإندراج أو التقابل .

غير أن تصور مفكرو المغرب الإسلامي كان تأصيليا رأسا، حيث جعلوا مدار العلوم المختلفة هي الحكمة الدينية وليست الحكمة الفلسفية ، وأن العلوم وحدة متكاملة من منظور شرعي .

فالعلوم التي لا تنسجم مع حقيقة الدين محظورة وخارج النسق ، ولا تفاضل بين العلوم في الرتبة أو الشرف إلا ما تعلق بموضوع التوحيد الخالص (الذات الإلهية) وكل العلوم ضرورية له .

إن الأساس الفلسفي لأصناف العلوم عند مفكري المغرب الإسلامي، هو : مدى الإقتراب أو الإبتعاد عن خدمة الغاية الدينية والفائدة الشرعية ، وهو أساس مخالف لكل التصانيف اليونانية أو الغربية أو تصانيف بعض المشارقة .

فهو ليس أساسا " ابستمولوجيا " يتعلق بنظرية المعرفة كعلاقة إدراكية بين الذات والموضوع ترتب فيها العلوم والمعارف حسب ملكات العقل من، نظر، وعمل، ومخيلة ، وليس أساسا" اكسيولوجيا " يعطي للعلم قيمة في حد ذاته ، ليرتفع بها الإنسان على مستوى الحيوانية في هذه

الحياة ، حيث تتفاوت هذه القيمة حسب العلوم المختلفة ، وليس أساسا " أنطولوجيا " بمفهوم الفلاسفة الذين يجعلون الوجود الأول المحرك الذي لا يتحرك ، أو الذي يفيض بالموجودات وهي ترتبط به كأصل واحد صدرت عنه في تصور غامض ، لا يعبر عن حقيقة وصفاء العقيدة الإسلامية .

بل أساس تصانيف فلاسفة المغرب والأندلس هو تكامل كل هذه الأسس "أبستمولوجيا" ، معرفة"الله" و"أنطولوجيا" ، هو أصل الوجود ،و "اكسيولوجيا" ، وجوب الإلتزام بقيم الدين الإسلامي لغاية الفوز في دار البقاء في إطار ما جاءت به الرسل (الوحي) .

هذا ما تيسّر بحثه ومناقشته في هذه الدراسة فما كان من صواب فمن الله و ما كان من زلل أو خطأ فمن الشيطان .

و صلى الله على محمد و آله و صحبه أجمعين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخّص البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخّـــــــــــــص البحث :

– لقد كان عنوان هذه الدراسة : تصنيف العلوم عند مفكري المغرب بالإسلامي ، دراسة استقصائية تحليلية نقدية ، وقد تمحور موضوع البحث حول الأسس الفلسفية التي تقوم عليها تصنيفاتهم ، من حيث تميزها برؤية خاصة .

وقد قسمت هذه الرسالة إلى سبعة فصول مع مقدمة وخاتمة :

–كان الفصل التمهيدي يهدف إلى التعريف بالموضوع وأهميته من الناحية العلمية والمنهجية في أبنية الأنساق المعرفية عموما والعلوم الإنسانية خصوصا .

ثم تناولت في كل فصل من الفصول الستة المتبقية كل مفكر على حدة ، ابتداء من :" ابن حزم" و"ابن عبد البر" و"ابن تومرت" و "ابن خلدون" و"الحسن اليوسي" و"ابن عجيبة" .

واشتملت الدراسة كل واحد منهم في ثلاث مباحث : الأول ترجمته ، والثاني نسقه الفلسفي ، والثالث تصنيفه للعلوم ، وكان لهذا المبحث الأخير العناية الأكثر بتسليط الأضواء ، أولا : على المؤلف الذي جاء فيه التصنيف ، ثانيا : شكل التصنيف ، بمعنى الهيكل العام لمواقع العلوم وترتيبها في نظرهم ، وثالثا : الأساس الذي تقوم عليه ، ورابعا : بيان علاقات العلوم في ذلك النسق من حيث الوحدة والإنسجام والتكامل أو المباعدة والتنافر .

وقد ختمت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال ما ورد من تحليل ومناقشة وكان من أهمها :

– أن فلاسفة المغرب الإسلامي قد إمتازوا بنقاوة الفكر وصفاء الرؤية في التأسيس لأبنيتهم التصنيفية القائمة على مبدإ" التوحيد" .

– وأن قيمة العلوم وشرفها سواء الشرعية أو الطبيعية أو الإنسانية تقاس بمدى إقترابها أو إبتعادها من خدمة الحقيقة الدينية .

– وأن غاية العلوم القصوى هي السعادة الأبدية في الدار الآخرة دار الفوز والبقاء .

لقد جاءت تصنيفاتهم مخالفة ومفارقة تماما للمعايير السابقة ، معيار التجريد و معيار العموم والتعقيد أو معيار المنفعة المادية القريبة، لقد كانت تصنيفاتهم أصيلة لا تشوبها أفكار دخيلة .

الفـــهارس العامـــة:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأعلام المترجم لهم .

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الـــمحتويات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا : فهرس الآيات القرآنية :

الآي
سورة البق
- وتلك عشرة كاملة .
سورة ا
-وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. - ومافرطنا في الكتاب من شيء .
-وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق
- هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا .
- نحن نقص عليك أحسن القصص.
- فيه شفاء للناس . - وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة .
-لتعلموا عدد السنين والحساب .
- إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . - لايسأل عما يفعل وهم يسألون . - لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها .
- أو لم يتفكروافي أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض ما بينهما إلا بالحق.
- يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني ...
- سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين ..
- ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . - وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري.
- وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا.
- إن أكرمكم عند الله أتقاكم .
- وأن إلى ربك المنتهى.
- خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار.
- اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فعال لما يريد .
- وفي الارض آيات للموقنين . - وفي أنفسكم أفلا تبصرون . - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .
- أفي الله شك فاطر السموات و الأرض
- لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم
- انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا : فهرس الأحاديث :

الحديث	الصفحة
– لا حسد إلا في اثنتين ، رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها .	63
– كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني .	81
– سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال : نور نبيك يا جابر .	87
– العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان .	88
– كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به .	89
– كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة .	89
– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبا المنذر أي آية معك في كتاب الله أعظم ؟ (مرتين) قال: قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم	58
– الْعِلْمُ ثَلاَثَةٌ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ .	67

ثالثا : فهرس الأعلام المترجم لهم :

العلم	صفحة الترجمة
– أفلاطون .	9
– أرسطو .	12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- جورج سارتون.	26
- الحسين بن علي الفاسي .	33
- المعتضد .	35
- ابن النغريلة	35
- ابن باجة	36
- عبد الرحمن الناصر	36
- أبوبكر محمد الطيب الباقلاني	124
- داودبن علي بن خلف الإصبهاني	124
- هنري برغسون	151

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا : قائمة المصادر و المراجع :

1- **القرآن الكريم** برواية حفص .

قائمة

المصـــــــــــــــادر :

- **أفلاطون :**

2- جمهورية أفلاطون، حنا خباز، ط 2، دار القلم، (الكتاب السادس من الجمهورية) 1980، بيروت.

- **أرسطو :**

3- منطق أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي،ط 1،ج2، وكالة المطبوعات، الكويت، دت.

- **ديكارت :**

4- مبادئ الفلسفة، تر، عثمان أمين ، دار النهضة المصرية القاهرة 1960.

5- مقال عن المنهج، تر: محمود الخضري، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.

- **ابن حزم :**

6- ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، ط 2، ج1 ، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1987.

7- ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي، ط 1 ، ج 4، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1983.

8- ابن حزم، الفصل في الملل و النحل، م5.

- **ابن عبد البر :**

9- جامع بيان العلم و فضله، ج2، دط ، دت ،دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **ابن تومرت :**

10- أعز ما يطلب، ت ح، عبد الغني أبو العزم، دط، دت، مؤسسة الغني للنشر ، مراكش.

11- كتر العلوم، تح: أينم عبد الجابر البحيري، ط9 ، دار الآفاق العربية، القاهرة.

- **ابن خلدون :**

12- ابن خلدون ،مقدمة ابن خلدون، ج1 ، خليل شحادة، دار الفكر ، بيروت، لبنان 2001م.

- **الحسن اليوسي :**

13- المحاضرات في اللغة و الأدب، دط، دت.

14- رسائل أبي علي اليوسي، تح: خليل القبلي، ط 1 ، ج 1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1981م.

15- الفهرسة، تج: زكريا الخثيري، جامعة محمد الخامس، الرباط.

16- أحكام العلم و أحكام العلم وأحكام المتعلم، تح: حميد حلمي، ط1 ، مطبعة شاته الرباط، المغرب، 1998م.

17- مشرب العام و الخاص من كلمة الإخلاص، ط 1، تح :حميد حماني، دار الفرقان ، الدار البيضاء،2000م .

- **ابن عجيبة :**

18- تفسير الفاتحة البير، تح: عاصم ابراهيم الكيالي،ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 2004م.

19- إيقاظ الهمم في شرح الكلمات، تح : محمد أحمد حسب الله، دار المعارف القاهرة، دط، دت .

20- الفتوحات الإلهية ، تح: عبد الرحمان حسن محمود، عالم الفكر ، القاهرة، دت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع:

- **محمد ناصر الدين الألباني :**

21- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، م1 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ص 820 .

- **محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري :**

22- الجامع المسند الصحيح المختصر، كتاب الجمعة ، باب التواضع ، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر ط1 ،م8 ، دار طوق النجاة ، بيروت ،لبنان .

23- كتاب العلم ، باب الإغتباط في العلم والحكمة ، تح : مصطفى ديب البغا ، ط3 ، 1983م ، دار ابن كثير ، بيروت .

- **مسلم بن الحجاج أبو الحسين :**

24- صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، ج1 ، بيروت .

- **سليمان بن الأشعث أبو داود :**

25- سنن أبي داود ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، م 2 دار الفكر ، لبنان .

- **اسماعيل بن محمد العجلوني :**

25- كشف الخفا ومزيل الإلتباس ،م2 ، دط ،دت ، مكتبة القدس .

- **أحمد بن حنبل :**

26- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ط2 ،1420ه- 1999م ،مؤسسة الرسالة ، ص 122 .

- **ابن منظور:**

27- لسان العرب، ط1ج9، بيروت، دار صادر، 1997م .

28- المنجد في اللغة و الأعلام، ط26 دار المشرق، بيروت، دت .

- **جميل صليبا :**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

29- المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني و المصري، بيروت، القاهرة.

- **محمد يعقوبي :**

30- معجم الفلسفة، ج2 ، التراجم، مكتبة الشركة الجزائرية .

- **أحمد بدوي :**

31- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، دط، دت .

- **جلال محمد موسى :**

32- منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية و الكونية، دار الكتاب اللبناني، دط، دت، بيروت .

- **العامري :**

33- الإعلام بمناقب الاسلام، تح، أحمد عبد المجيب غراب ، ط 1، دار الأصالة للثقافة و النشر و الإعلام ، 1988م .

- **الفارابي :**

34- إحصاء العلوم، ط1، دار و مكتبة الهلال، 1996، بيروت .

- **برجس غرام :**

35- مدخل الى علم التصنيف في المكتبات، ط1، مطابع الصباح، 1976.

- **مهدي فضل الله :**

36- مدخل الى المنطق التقليدي، ط2، دار الطليعة، بيروت 1979 .

- **على عبد المعطي محمد :**

37- قضايا الفلسفة العامة و مباحثها، ط2، دار المعرفة الجامعية، بيروت 1984م .

- **طه عبد الرحمن :**

38- تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، دت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- **زكي نجيب محمود :**

39- الكندي فيلسوف العرب (سلسلة أعلام العرب) المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و النشر، 2001م .

- **محمود زيدان :**

40- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام و فلاسفة الغرب و المعاصرين، ط 1، دار النهضة للطباعة و النشر 1989م، بيروت .

- **يوسف كرم :**

41 - تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، بالجامعة المصرية، 1936م.

42- تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعارف، القاهرة، دت.

- **أحمد عبد الحكيم عطية :**

43- تصنيف العلوم عند العرب و دراسات أخرى، دار النصر، القاهرة.

- **عبد المجيد النجار :**

44- مباحث في منهجية الفكر الاسلامي، ط 1، دار المغرب الاسلامي، 1992م، بيروت.

45- المهدي بن ثومرت ، حياته و آراءه و ثورته الفكرية و الاجتماعية و اثره بالمغرب،ط1، 1983م ، دار المغرب الاسلامي.

46- تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، ط 2 ، 1995م ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

- **خالد الحديدي :**

47- فلسفة علم تصنيف الكتب كمدخل لفلسفة العلوم، ط1، 1969م، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.

- **عزالدين بن الاثير الجزري :**

48- اللباب في تهذيب الأنساب ، ج 3 ، مكتبة المثنى ،دط ، دت، بغداد .

- **لسان الدين بن الخطيب :**

49- الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط 1 ، م 4 ، تح:محمد عبد الله عنا مكتبة الخانجي 1397 ه - 1977 م ، القاهرة .

- **الذهبي :**

50- سير أعلام النبلاء ، ط 1 ، ج 18 ، تح : شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسود ، دار النشر ، 1405 ه - 1984 م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- **الحميدي :**

51- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، د ط ، 1922 م ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة .

- **المقري :**

52- نفح الطيب، تح :إحسان عباس، د ط، م 1، دار صادر 1408 ه، 1988 م، بيروت.

- **الحموي :**

53- البغدادي، معجم البلدان، م5 ، دط، دار صادر، 1397ه ، 1977م ، بيروت.

- **أحمد بن ناصر الحمد :**

54- ابن حزم و موقفه من الإلهيات ، ط 1 ، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الاسلامي 1406ه ، مكة .

- **محمد أبو زهرة :**

55- ابن حزم حياته وآراؤه وعصره ، دط، دت، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- سالم يفوت :

56- ابن حزم ، الفكر الفلسفي بالمغرب و الأندلس، ط 1، 1986م، الدار البيضاء ،المغرب.

- ليث سعود حاسم :

57- ابن عبد البر و جهوده في التاريخ ، ط2 ، 1988م ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة .

- سيد عبده بكر عثمان :

58- اجماعات ابن عبد البر، دراسة فقهية مقارنة، ط1، 2000م.

- أحمد مختار العبادي :

59- في التاريخ المغرب و الأندلس ، دط، دت، دار النهضة العربية، بيروت.

- جيل دولوز :

60- فلسفة كانط النقدية، تحقيق أسامة الحاج، 1997م ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع .

- مصطفي شكعة :

61- الأسس الاسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته ، ط 3، 1998م ،الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة .

- محمد عابر الجابري :

62-فكر ابن خلدون العصبية و الدولة، ط 5، 1992م ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت .

- خير الدين الزركلي :

63- الأعلام ، ط15، ج 1 دار العلم للملايين، 2002م، بيروت، لبنان.

- محمد على عامر و محمد خير فارس :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

64- تاريخ المغرب العربي الحديث، (المغرب الأقصى، ليبيا) دمشق الجمعية التعاونية للطباعة، ج1، جامعة دمشق .

- **محمد بن أبي بكر بن خلكان :**

65- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، م2، دط ،دت ، تح : احسان عباس ، دارصادر ، بيروت .

- **أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة) :**

66- موسوعة مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ط 1، تحقيق:علي دحدوح ،مكتبة لبنان ناشرون ،1998م،بيروت ،لبنان .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرسائل الجامعية و الدوريات:

- رسائل الماجستير:

67- عمر بن بودينة، فلسفة تصنيف العلوم في الفكر الاسلامي و آثارها في التوجيه الحضاري، مذكرة ماجستير، إشراف صالح نعمان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية السنة الجامعية 2009م،2010م.

68- صبيرة عامر، تصنيف العلوم بين المعمارية و الوصفية، مذكرة لنيل الماجستير في فلسفة العلوم إشراف: عبد الوهاب فرحات، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة ، السنة الجامعية 2011م، 2012م.

- الدوريات :

69- عبد الوهاب فرحات، النزعة التأصيلية في تصنيف العلوم عند مفكري الاسلام ، مقال منشور ضمن كتاب إسلامية المعرفة و سؤال المشروعية، قسنطينة جامعة الأمير عبد القادر 1432ه، 2011م.

70- سالم يفوت، تصنيف العلوم لدى ابن حزم، مجلة دراسات عربية، ع 5، السنة 19، عدد مارس، 1983م.

- المواقع الالكترونية :

- http / ledrn .hoxxs .com/ t 357 –topic71

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا :فهرس المحتويات :

مقدمة..... أ
الفصل التمهيدي :..... 1
المبحث الأول : تعريفات تمهيدية..... 2
1 – التعريف اللغوي للتصنيف..... 2
2– التعريف الإصطلاحي للتصنيف 2
3– شروط عملية التصنيف 3
4– أسس التصنيف 3
5– أنواع التصنيف 4
6– تصنيف العلوم 5
المبحث الثاني : تصنيف العلوم عند اليونان 7
1 – تصنيف العلوم عند أفلاطون..... 7
أ– فلسفته 7
ب– تصنيفه للعلوم..... 8
2– تصنيف العلوم عند أرسطو..... 10
أ– فلسفته 10
ب– تصنيفه للعلوم 10

المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند الغرب (عصر النهضة) 13
1- تصنيف العلوم عند فرانسيس بيكون 13
أ- فلسفته 13
ب- تصنيفه للعلوم 14
2 – تصنيف العلوم عندأوجيست كونط..... 16
أ- فلسفته 17
ب- تصنيفه للعلوم 19
3- تصنيف العلوم عند ديكارت 19
أ- فلسفته 19
ب- تصنيفه للعلوم..... 19
المبحث الرابع . : تصنيف العلوم عند المسلمين 22
الفصل الأول : ابن حزم وتصنيفه للعلوم..... 27
المبحث الأول : ترجمة ابن حزم..... 28
أوّلا : إسمه ، مولده ، نشأته 28
ثانيا : الحالة السياسية 29
ثالثا : الحالة الإجتماعية 30
رابعا : الحياة العلمية 31
المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لإبن حزم..... 33
أولا : الله (الخالق) 33
ثانيا : الطبيعة (المخلوقات)..... 33
ثالثا : الشريعة 33
رابعا : اللغة (البيان) 33
خامسا : العقل..... 34
المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن حزم 36
أولا : المؤلف الذي جاء فيه التصنيف 36

ثانيا : شكل التصنيف 37
ثالثا :أساس التصنيف 37
رابعا :علاقات العلوم في النسق الحزمي 43
الفصلالثاني : ابن عبد البر وتصنيفه للعلوم 46
المبحث الأول :ترجمة ابن عبد البر 47
أولا : مولده ، نشأته ، مؤلفاته 47
ثانيا : الحالة السياسية 48
ثالثا : الحالة الإجتماعية 48
رابعا : الحياة العلمية 48
المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي عند ابن عبد البر.....49
أولا : معرفة الله 49
ثانيا : البداهة والوضوح .....
49
ثالثا : الإستدلال والنظر 51
المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن عبد البر.....52
أولا : المؤلف الذي جاء فيه التصنيف 52
ثانيا : شكل التصنيف.....53
ثالثا : أساس التصنيف 57
رابعا : علاقات العلوم في نسق ابن عبد البر.....58
الفصل الثالث : ابن تومرت وتصنيفه للعلوم.....
60
المبحث الأول : ترجمة ابن تومرت 61
أولا : إسمه ، نشأته ، شهرته 61
ثانيا : الوضع السياسي .....
62

ثالثا : الوضع الإجتماعي 63
رابعا : الوضع الثقافي والعلمي 63
المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لإبن تومرت..... 64
أولا : معرفة الله 64
ثانيا : وسائل المعرفة 64
ثالثا : الطبيعة (المخلوقات)..... 64
المبحث الثالث :تصنيف العلوم عند ابن تومرت..... 68
أولا :الؤلف الذي جاء فيه التصنيف..... 68
ثانيا :شكل التصنيف 70
ثالثا :أساس التصنيف 76
رابعا :علاقات العلوم في النسق التمرتي..... 77
الفصل الرابع : ابن خلدون وتصنيفه للعلوم 80
المبحث الأول : ترجمة ابن خلدون 81
أولا : إسمه ، نسبه ، نشأته 81
ثانيا : الحياة السياسية 82
ثالثا : الحياة الإجتماعية 82
رابعا : الحياة العلمية 83
المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لإبن خلدون..... 84
أولا : الله (الخالق) 84
ثانيا : الطبيعة (عالم الحوادث) 85
ثالثا :العقل (الفكر) 86
المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن خلدون 87
أولا :المؤلف الذي جاء فيه التصنيف 87
ثانيا : شكل التصنيف 89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : أساس التصنيف 94
رابعا : علاقات العلوم في النسق الخلدوني 95
الفصل الخامس : الحسن اليوسي وتصنيفه للعلوم 97
المبحث الأول : ترجمة اليوسي 98
أولا : إسمه ، نسبه ، نشأته..... 98
ثانيا :الحياة الإقتصادية والإجتماعية 99
ثالثا : الحياة السياسية 101
رابعا : الحياة العلمية 103
المبحث الثّاني : منطلقات النسق الفلسفي عند الحسن اليوسي..... 105
أولا : الله (الخالق) 105
ثانيا : الطبيعة (العالم)..... 106
ثالثا : قوة العقل 107
المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند الحسن اليوسي..... 109
أولا: المؤلف الذي جاء فيه التصنيف 109
ثانيا : شكل التصنيف 111
ثالثا : أساس التصنيف 117
رابعا : علاقات العلوم في نسق الحسن اليوسي 119
الفصل السادس :ابن عجيبة وتصنيفه للعلوم 122
المبحث الأول : ترجمة ابن عجيبة..... 123
أولا :إسمه ، نسبه ، مؤلفاته 123
ثانيا : حياته الروحية 124
ثالثا :حياته العلمية 125
المبحث الثاني : منطلقات النسق الفلسفي لإبن عجيبة 127
أولا : واجب الوجود (الله)..... 127

ثانيا : الوجود (المخلوقات) 128
ثالثا : الإنسان (الروح) 130
المبحث الثالث : تصنيف العلوم عند ابن عجيبة 133
أولا : المؤلف الذي جاء فيه التصنيف 133
ثانيا : شكل التصنيف 134
ثالثا : أساس التصنيف 140
رابعا : علاقات العلوم في نسق ابن عجيبة 141
خاتمة 145
ملخصات البحث 149
الفهارس العامة 151
فهرس الآيات 152
فهرس الأحاديث 155
فهرس الأعلام المترجم لهم 156
قائمة المصادر والمراجع 157
فهرس المحتويات 166

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية